





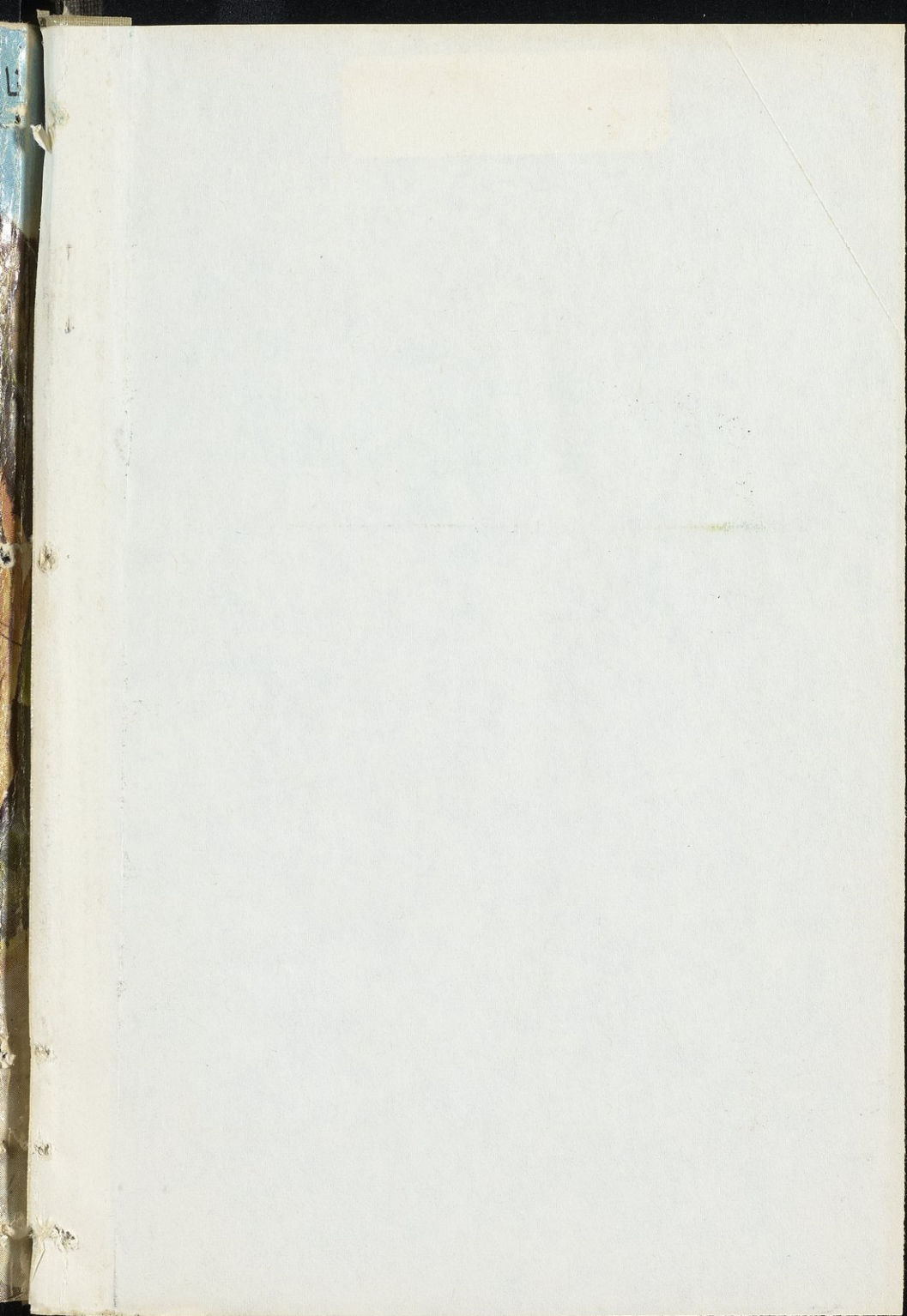


Princeton University Library



32101 073833855





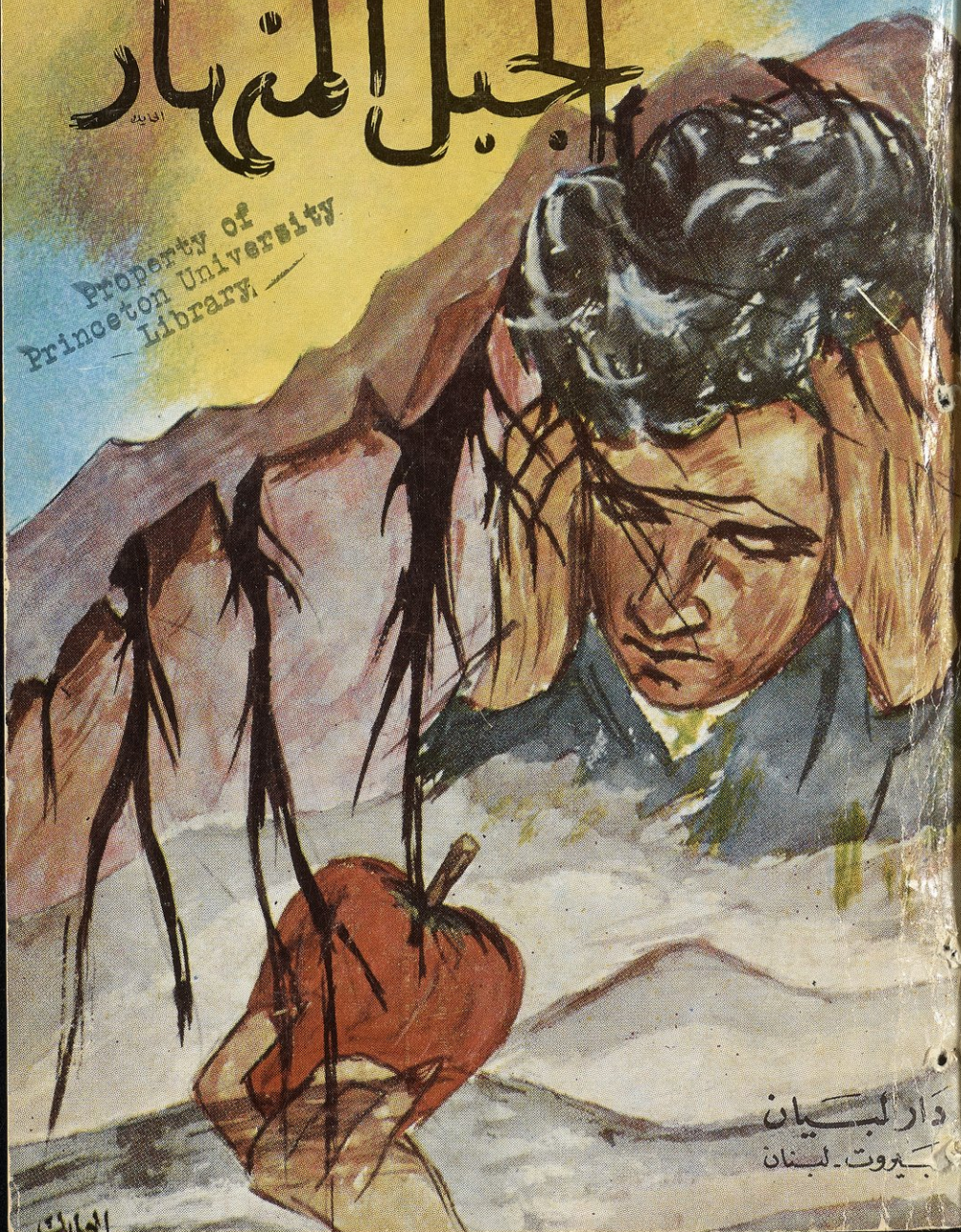


نايف أبو فرح

# الجيل المنهار

النايف

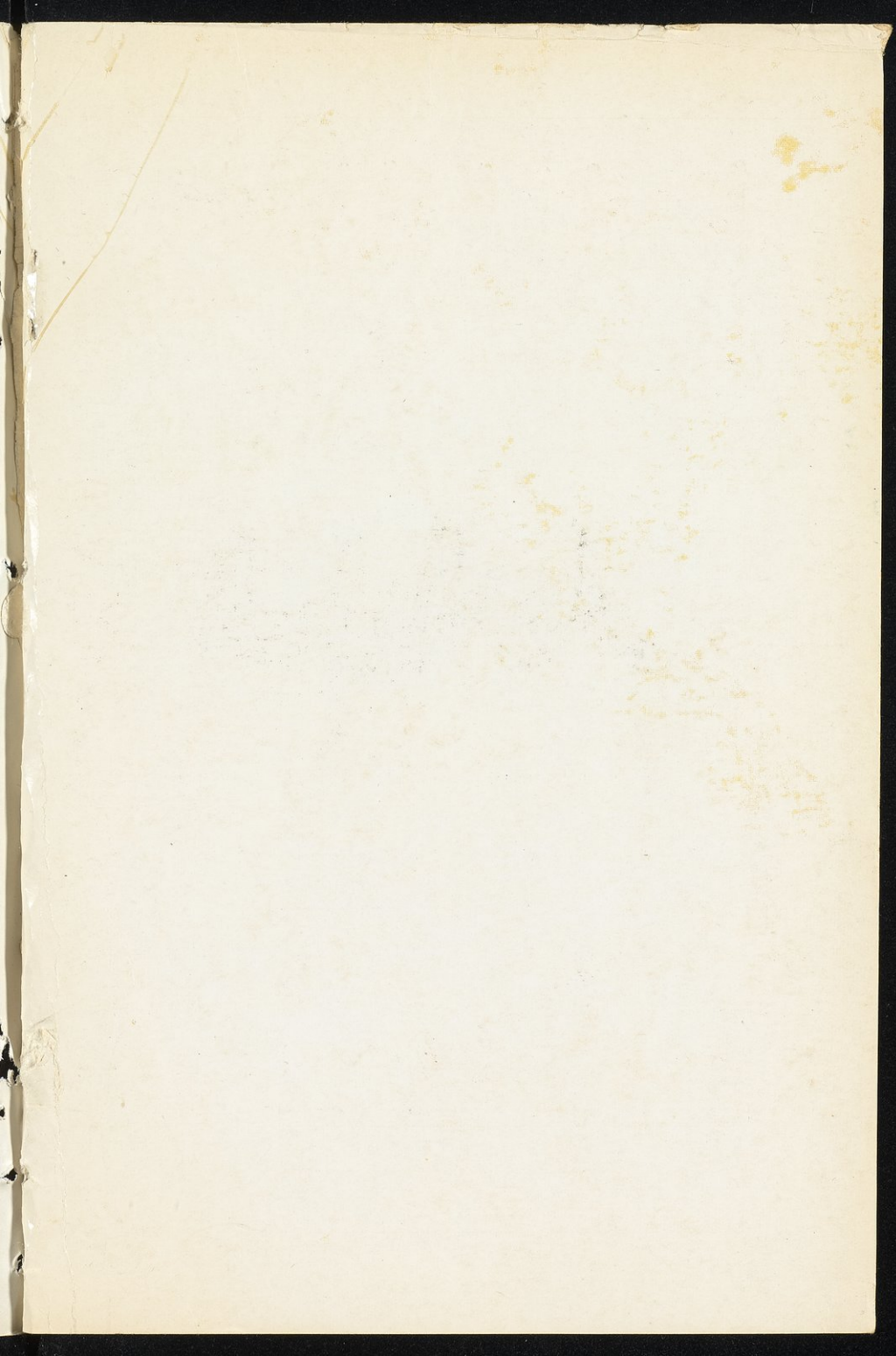
Property of  
Princeton University  
Library



دار البيان  
بيروت - لبنان

النايف







Abū Farah, Nāyif

نایف أبو فرح

# الجبل المنهار

منشورات

دار البیان - بیروت - لبنان



2262

·13292

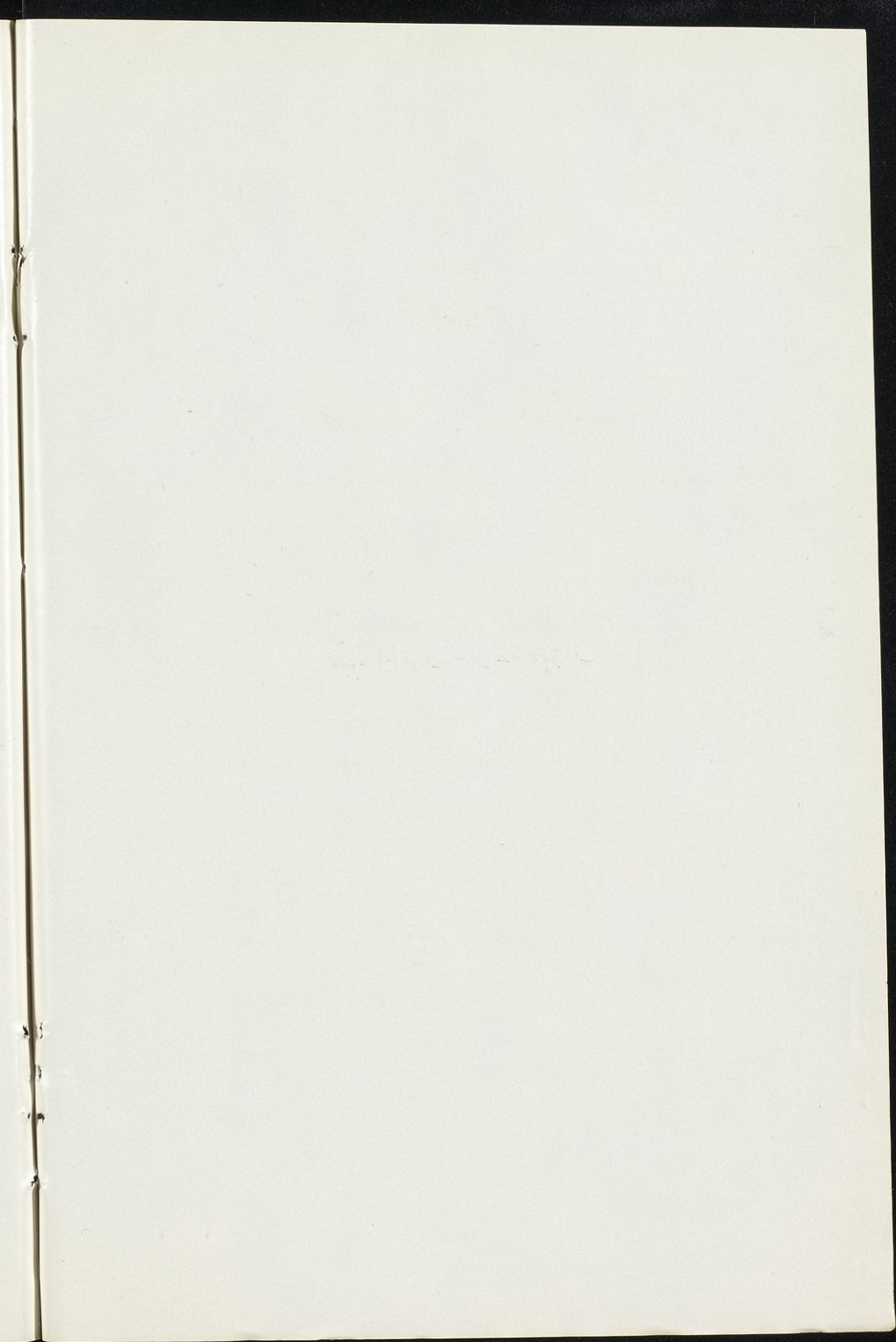
·349



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

6-10-74 19A5





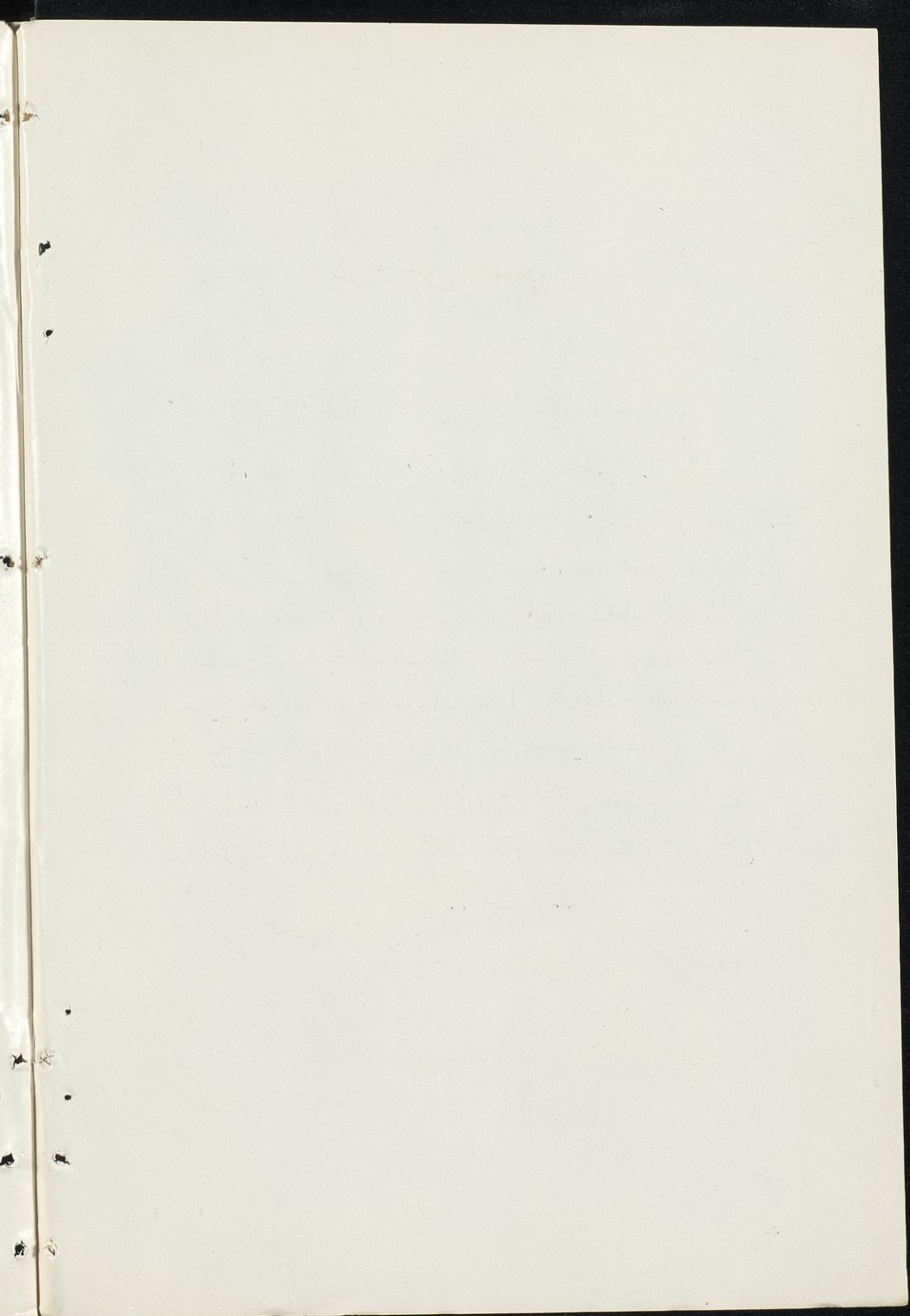


## الإهداء

الى جبل الخيال والجمال .. جبل القوة والمعرفة .  
الى طود شامخ هامه في السحاب .. يغازل الشمس في  
النهار .. ويسامر القمر والنجوم في الليل .  
الى الذي اصوله في أعماق الارض، متصلة بحدود اللانهاية .  
في أرض شهدت مولد ابطال .. ونهاية جبايرة . في أرض  
جبلت بدماء أجدادنا البواسل .. الدماء التي ضحوها في  
سبيل العزة .. في طريق الشهامة .. أجدادنا الذين سجلوا  
تاريخ بطولاتهم باحرف من نور على جبين الدهر .  
أجدادنا الذين حملوا منارة الحضارة الى أقصى حدود  
المعمور . فكانوا مثالا صالحاً وقدوة خير لسكان العالم أجمع .  
الى صنين .. الجبل الاله .

نايف ابو فرح





## عروس صين

هناك .. على أكتاف الروابي .. بين أشجار الخوخ والكرز  
والتفاح تغفو قرية هائلة بين أحضان صين .. فتحلم وتحلم  
بماض مجيد كله بطولات وتضحيات .. وتلقي برأسها على  
مرفق الزمن فيهمس بأذنها سر الحياة ومعنى البقاء . ويلقنها  
دروساً عديدة في التضحية .. في الشهامة .. في عزة ورفعة  
النفس .

نحن الآن في منتصف شهر كانون الثاني ، وقد لبست  
الأرض حلة بيضاء ، رصعت بدموع الطبيعة بعد أن حولها  
الزمهرير الى كرات وأشكال بلورية مختلفة القياسات  
والاحجام .

— الحالة هادئة ، والجو ساكن لا يعكرهما سوى وقع  
أقدام شيخ هرم يتوكأ على عصاه ، ويجر وراءه ثقل سنين  
شاقة أمضاها بالكد والعمل المتواصل . وقد شابته ببياض  
لمته نضاعة الثلوج المفروشة أمامه على امتداد البصر .

يعتمر لبادة غبراء اللون ، هرمية الشكل يسورها بكوفية  
صوفية سوداء . تتدلى أطرافها على كتفه الايسر ، وتلامس  
بعض شراريبها رأس شارببه الاشيب المعكوف الذي بقي  
محافظاً على رونقه منذ أيام شبابه .



ويلتف بعباءة بنية ذات دروب بيضاء صنعت من صوف  
الغنم الخالص ، خصيصاً لالتقاء الصقيع .

انه الآن صاعد بتمهل نحو داره العامرة ، وبصره يرافق  
جميع الاشياء التي يقع عليها . فيستوعبها مشهداً مشهداً  
وكأنه يتزود منها الزاد الاخير . ويقف بين الحين والحين  
ليستجمع بقايا قواه التي استنزفتها كثرة الثلوج وصعوبة  
الطريق .

وبعد جهد مضمّن وصل الى باحة منزله ، فتنفّس الصعداء ،  
وهم بولوج الدار . لكن صوت غندور في المراح أوقفه قليلا  
وتساءل ضمناً :

هل هو عطشان يا ترى ؟ .. وهل وسام اطعم الطرشات  
وسقاهم ؟ ..

ونزل الى المراح ليتأكد من ذلك بنفسه .

ان غندور لم يأكل سوى نصف علفه .. وأعطر بقي  
أمامه قليل من التبن .. والدابة السوداء بقي أمامها قليل  
أيضاً والبقرة واقفة ترنو الى فلوها المربوط بعيداً عنها دون  
أن تمد فمها الى معلقها . وهذا دليل على عطشهم جميعاً .

ان وسام لم يسقيهم بعد .. يجب ان يشربوا .. هل  
اناديه ؟ .. لا .. فالأدعه قابعاً قرب الموقد في هذا الطقس  
المصقع .. سأسقيهم ينفسي .

وفك غندور وأعطر ..

اف .. ما هذا الوهن في قدمي ؟ .. انني تعب .. تشدد

يا أبا وسام .. هل قصرت الى هذه الدرجة ؟  
وحاول ثانية .. وشعر بان قدماه سوف لا تقويان على  
حملة اذا بقي في المراح مدة أكثر .. انها الشيخوخة .. انه  
تعب السنين الماضية .. اذا لا نادى وسام .  
وتحامل على نفسه .. ووقف في باب المراح مسنداً كتفه  
على احدى عوارضه .. وبصوت ضعيف يقطعه بعض السعال  
نادى .

وسام .. وسام .  
وأجابه صوت قوي النبرات .. يدل على حيوية وشباب .  
نعم يا أبي .. ماذا تريد ؟ ..  
تعال الى هنا .. لقد فككت أعطر وغندور بقصد  
آراؤهم من العين . لكنني تعب لا استطيع أخذهم .  
ووصل وسام الى قرب والده .. وشاهد اعيائه ..  
وهاله الامر . ابي .. ابي لماذا ترهق جسدك ؟ .. لماذا تتعب  
نفسك ؟ .. هل هذه الامور بعدها من شأنك ؟ .. لا .. لا .  
أرجوك بأن لا تعود اليها ثانية .

تكلم وسام وقلبه على لسانه .. واللهفة ملء عينيه ..  
ان والده على قاب قوسين من القبر .. يجب أن لا يقوم بأبي  
مجهود يرضيه .. وكاتفه معاوناً اياه على صعود الدرج الحجري  
الموصل الى البيت .

ودق قلبه خوفاً وهلعاً على الوالد .. ووجف قلب الوالد  
من التعب والاعياء .. وامتزجت الدقات .. انها دقات



قلب واحد .. قلب اب ذاب في الآخر ليعطيه قوة التجدد  
الدائم ، والمناعة على البقاء .. وتآلف الجسدان .. انها  
جسد واحد .. جسد يذوب في الآخر رويداً رويداً ..  
ليفنى الاول ويبقى الآخر انها سنة التجدد في الطبيعة ..  
طريقها .. انها ارادة الله في خلقه .

ودخل ابو وسام الى البيت .. وذهب وسام ليسقي  
ابقاره ..

امال ..

من .. ؟ ابي ؟ .. نعم ماذا تريد ؟

ان وسام قد ذهب ليسقي الابقار من العين والطقس بارد  
في الخارج .. زيدي بعض الاخشاب للنار ، وضعي عليها  
قدر الماء .. ربما اراد غسل رجليه .

ان النار موقودة يا ابي ، وقدر الماء عليها .. اتريد  
شيئاً غير ذلك ؟ لا .. ابن والدتك ؟ ..  
انها في الداخل .. أأناديها لك ؟ ..  
لا ...

وسمعت ام وسام صوت زوجها .. وسعلت ، ثم نهضت  
واستقبلته باعوامها السبعين .. ببسمتها التي رافقتها طوال  
مدة زواجها .. وبادرتة .

اتسأل عني .. ؟ اتريد شيئاً .. ؟

واقتربت منه .. وأخذت العباءة .. ونفضتها من بقايا  
التبن العالقة عليها .. ووضعتها على كرسي قرب النار .

لماذا تأخرت الى هذا الوقت ..؟ لقد انشغل فكرنا عليك  
في هذا الطقس البارد .  
لا عليك يا رقيقة .. ان الله يساعدنا ويحرسنا من كل  
الشورور .

اين كنت ؟ ..

وجلس السيد نديم قرب الموقد .. وقرب يديه من النار ..  
وجلست زوجته بقربه وقلبها عليه .  
كنت عند جارنا ابو جميل اساعده على تدعيم جسر  
المربع الشرقي .

وظهرت اللفهة على قسماط وجه ام وسام .. وفي عينها .  
ماذا ..؟ اكسر الجسر !

لا .. هديني من روعك .. انه حاطت بعض الشيء ..  
وقد خاف ان يحدث له أى امر من جراء كثرة الثلوج .  
ان شاء الله لم يكن حادث خطر !

كان الخطر واقعاً ولا مفر منه .. لكن قدرة الله  
عظيمة .. ولو تأخر عنه ساعتين فقط لهبط السقف على من  
فيه .. وكان ..

الحمد لك .. الحمد لك يا ربي .. ابن كانت عياله ستذهب  
في مثل هذا الطقس المثلج ؟ .. اترى يا نديم ؟ .. هذه الشتوية  
لم يمر علينا مثلها من مدة بعيدة .. ان الثلج في المنطقة  
منذ اربعين يوماً تقريباً .. اليس كذلك ؟ ..



وسرّح فكره يستجلي خبايا السنين الماضية .. حقاً إنه  
شقاء قارص .

ماذا تسألين ؟ .. كانت اهالي القرية بكاملها تقريباً ..  
وكيف عرف جميع أهالي القرية ؟  
كان الجار يخبر جاره .. ووفود المنجدين لا تزال تتوافد  
اليهم حتى الآن على ما أظن .

يا الله .. ونحن كيف لم يصلنا الخبر ؟ .. ماذا ستقول عنا  
ام جميل .

لا عليك .. لقد سددت غيبتك وأخبرتها بعدم معرفتك  
بالحادث .. لكن يجب أن تنهني اليها غداً .

قوّاك الله وساعدك على عمل الخير .. فلا زلت معين  
المهلوف عند الحاجة .. ومثال الخير والصلاح في قريتنا  
الوادعة .

سامحك الله يا ام وسام .. إن هذا واجبي وواجب كل  
فرد .. واجب كل إنسان تجاه أخيه الإنسان .. أنا الشيخ  
الهرم أتقاعس عن نصرّة جاري ؟ .. وماذا ستقول عني الناس  
آنثد ؟ .. أتريدين الحق .. الله يديم هذه النخوة والغيرة في  
قلوب الأهالي .. فكل فرد من الحضور كان يريد الأوليّة  
ويضع نفسه في مواضع الخطر .

وأبي معروف لهم في ذلك ؟ .. إن أبا جميل مفضل على  
الجميع .. وفي كل حادث له الباع الطويل والرأي السديد .

وأنت ؟ .. أسمح لك صحتك بالقيام بهذه الأشغال  
الشاقة ؟ هوني عليك الأمر .. إن كانت صحتي لا تسمح لي  
بالقيام بذلك . فأين رأيي ..؟ أين نظرتي ..؟  
ونظر اليها بعتب .

هل نسيتيني يا ترى ؟ ..

لا .. لكن فاتني هذا الشيء . لأن صحتك كانت نصب

عيني ..

تكلمت السيدة رفقة بفرحة مكبوتة ولسان حالها يقول . انه  
ذات الاعتداد بالنفس ، يوم كان في عز شبابه .. لكنه اعتداد  
في محله .. وطففت فرحتها على فؤادها .. وصعدت على لسانها  
ثناء ومدحاً .

الله يساعذك على عمل الخير ، لأنك سند الملهوف ومعين  
المحتاج .. أنت مثل صالح لجميع اهالي قريتنا .

الله يسامحك على هذا الكلام .. هذا واجب يا رفقة ..  
واجب كل فرد .. واجب كل إنسان تجاه أخيه الانسان ..  
بماذا استر وجهي عن الله في يوم الحساب إن قال لي جارك في  
ضيق وأنت تستطيع مساعدته ، لكنك تقاعست .. أخبريني  
بماذا أجيب ؟ أقول كنت في جلسة هانئة قرب الموقد ؟  
أم في جلسة سمر مع الأصدقاء ؟ .

لا .. لا سمح الله أن تتأخر عن إغاثة المنكوب .. لكن  
صحتك .. صحتك الضعيفة .. يجب أن تداري صحتك ،  
وخصوصاً في مثل هذا الطقس البارد .



نعم .. صدقت .. ان صحتي ضعيفة .. لكن بقي لي  
بعض من القوة .. وقوتي هذه ليست ملكي ، بل ملك كل فرد  
كل إنسان من اخواني البؤساء .

على رسلك يا نديم .. فلتكن ارادتك .  
أنهى أبو وسام حديثه مع زوجته واتجه نحو أمال ،  
وبشائر الغبطة ملء اعطافه .. وجاوب ضميره ..

نعم ان عمل الخير واجب ومدعاة للفخر والاعتزاز ..  
وقطعت عليه أمال حبل تفكيره .

أبي .. أنادي وسام .. ان الشمس قد اشرفت على المغرب  
والصقيع اشتد في الخارج .

هوه .. هوه .. هاه هاه .. ها .

ودخل وسام وهو يحوحي ولهائه يسبقه .. وينفخ في يديه  
ليبعث بهما الدفء .. ويفركهما ببعض .. ويضعهما  
تحت ابطه .. وشاربه الأشقر الجميل أخذ قسطه من الجليد ..  
وتجمد .. وعلت ثغره البسمة عندما شاهد أمال .. وكلمها ..  
اصحیح تخمينني لهذه الدرجة ..؟ وتخافين علي من البرد ايضاً؟  
قالها وسام بغنج ودلع ، والمزح المرح يلف ابتسامته المشرقة  
رغم ما اصابه من الصقيع .

لا .. لا .. انا لا أحبك يا قاسي القلب .

وبرطمت .. وانعكس حنان قلبها على محياها .. وافسد  
عليها حيلتها .

لقد قبضت عليك يا ..  
 يا .. ماذا ؟ .. هه .. انا ذاهبة ..  
 لا .. تذهبي .. لماذا الغضب ؟  
 واقترب منها .. وقبلها فوق جبينها .. وأردف :  
 لا تغضبي يا أحسن شقيقة في العالم ..  
 عدت وقتلتها أخيراً ..  
 وردت له القبلة قبلات .. وساعدته على خلع ملابسه  
 المرشوشة بنتف الثلج ..  
 وكان إناء الماء الساخن في انتظارهما .. واحضرته مع  
 منشفة وصابونة وجلست قرب وسام في عتبة المربع ..  
 واخذت تسكب الماء فوق يديه ..  
 ومع نظرات الأم التي تطفح بالسرور .. ومع فرحتها  
 بولديها همست بأذن زوجها الممدد قربها في زاوية المربع فوق  
 جلد من صوف الغنم الأبيض الوثير ..  
 نديم .. انظر .. انظر الى جو السعادة الذي يرفرف  
 فوق رأس ولديك الحبيين ..  
 وناجت رهباً ..  
 يا الله .. يا من عليك اتكالي .. احفظها لنا معافيين ..  
 وأنت على كل شيء قدير ..



## هول الموقف

اجتمعت العائلة قرب الموقد لتتقي لفحات البرد ، ولسعات  
الزمهرير المتسربة من شقوق الباب والشبابيك .. وبدأ  
السكون شاملاً في منزل نديم جابر .. وهال هذا السكون  
صاحب الدار .. وتنحنح .. وكسر جدار الصمت الذي  
يلفهم وقال .. ما رأيك في صحة البقرة العتراء يا وسام ..  
انني قد شاهدتها على غير عاداتها .. انها قليلة الأكل .. أليس  
كذلك ؟ .

نعم يا ابي .. لكنها الآن احسن من البارحة .. لقد  
تركتها منذ برهة وهي تأكل بشهية .  
اعتن بها جيداً ، وانتبه للفدان .. ان هذه الشتوية قارصة  
الصقيع كما ترى .

اطمن يا ابي ولا تحمل اي هم .. انني بفضل توجيهك  
سأعتني بها ، وسيكون كل شيء سائراً حسب إرادتك .  
الله يوفقك يا ولدي ويقر عيني بك .. يا ترى هل اعيش  
لأراك ؟ . وصمت .. يا ريت .. لكن .  
ماذا يا ابي ؟ .. خير إن شاء الله ؟ .  
لا شيء .. لا شيء .. خاطر عابر راودني ..

وسحب من نرجيلته نفساً طويلاً .. وكرر السحب .  
ولم يتلق اية نتيجة .. ونظر اليها ان نارها مطفأة .  
واتجه نحو آمال .

ابن الملقط ؟ احضريه وضعي جمرة على النفس .  
حاضر يا ابي .. اتريد اي شيء آخر ؟ .  
هل غليت القهوة ؟ ..  
لا .. سأغليها الآن .

اعطيني الابريق .. اريد ان اشرب .  
وكان الابريق قرب ام وسام .. وناولته اياه .. وعادت  
الى مغزها تحذب عليه وتغذيه بخصلات من الصوف البني  
الناعم ( مور ) .

واحضرت آمال القهوة .. وقدمتها الى افراد العائلة .  
وبعد انتهائها من عملها جلست قرب والدتها وانهمكت بإتمام  
حياكة جوارب والدها .

اما وسام فقد كان خالي العمل . فتضجر واخذ ينكت  
الرماد المكوم امامه في الموقد برأس عود صغير .. تارة يجمه  
وطوراً يمده .. ويكتب حروفاً وحروفاً .. ويرسم اشكالاً  
واشكالاً .. وتجول في رأسه افكار وافكار .. ومن وقت  
لآخر كان يغذي النار ببعض قطع الخشب اليابس فتندلع  
ألسنتها .. وتتشابك .. وتحكي حكاية شتاء .. حكاية عمر .  
جو روتيني .. نفس الحديث .. ونفس الأسئلة .. وذات  
الأشياء في مواضعها .. نرجيلة .. جوارب .. ومغزل ..



ونار مشبوبة .. اشياء اعتادتها النفس وألفها النظر .. لكن  
اشياء اخرى كانت تجول في افكار الجميع .. نقص .. فراغ ..  
ملل .. كان يلفهم ، انهم يتوقون الى التجديد .. الى جو غير  
جوهم .. ان هذا الفراغ يجب ان يملأه آخرون .. جيرانهم ..  
اصحابهم .. وقويت الفكرة في رؤوسهم .

وقلب ابو سام من جنب الى جنب .. واعطى جسده  
وضعا مريحا .. ودغدغ مؤخرة رأسه بيده المعروقة .. وتنحنح ..  
وقال : وسام .

ورد عليه وسام وكأنه قادم من حلم بعيد .. وانتفض كمن  
ضُبط متلبسا بجرم ما .

نعم .. ماذا تريد ؟

واستهجن والده من بادرتة .

من اين انت آت ..؟ ماذا دهاك ؟ ..

انا ؟ .. آه .. لا شيء .. لكن .

لكن ماذا ؟ .. انني اراك على غير حالتك .. اترسم خطة

بعض المشاريع ، في رأسك ؟ .

مشروع .. مشاريع .. نعم .

ورقصت الفرحة في قلب الوالد .. يا ليته يوافق .. يجب

ان يتزوج .. يجب .. لقد اصبحت على حافة قبري .. هل يا

ترى سيحالفني الحظ وابقى على قيد الحياة لأشاهد له طفلا

يجبو ..

يا رب يا رب .. حقق لي أمني .. وكلم وسام ثانية ..

مشاريع ..؟ الظاهر انك كبرت البيكار .. إشرح لنا  
لنرى ما هي مشاريعك للمستقبل ؟ .  
لا يوجد شيء يستحق الذكر يا ابي ،، جل ما هنالك ان  
افكاراً كثيرة تراودني .. منها يتعلق بالعمل .. ومنها ..  
افصح .. افصح ومنها ماذا ؟  
ومنها ما يتعلق بك وبوالدتي .  
فيّ وبوالدتك ..؟ لقد اذهلتني .. فماذا تجبىء لنا  
للمستقبل ..؟

ابي . لقد بلغتما من العمر عتياً .. وكافحتما في هذه الحياة  
كفاحاً عظيماً ، جاوزتما به ذروة التضحية والتفاني في سبيلي  
وسبيل شقيقتي آمال ، وها اننا قد اصبحنا شابين .. وبلغنا  
اشدنا .. وذلك بفضل عنايتكما وتربيتكما الصالحتين .. وأملى  
الأخير نحوكما هو ان تستعد لزيارة بيت المقدس مع وفود  
الحجاج الذاهبين الى هنالك في عيد الفصح المجيد .  
وسام .. وجالت دموعه حنونة في مقلتي الأب ... أخفاها  
عن ولده مخافة ان يجرح احساسه .

ولدي .. بورك فيك من فتمى صالح يسير على طريق الخير  
والإيمان بالخالق الديان .. ان طلبك ليس بالبعيد عني .. وقد  
تداولنا بخصوصه انا ووالدتك .. لكن بعد اتمام امر مهم  
يشغل بالنا .

ما هو هذا الأمر؟ وهل هو مهم الى هذه الدرجة عندكما ،  
ليمنعكما عن زيارة قبر مخلصنا يسوع المسيح ؟



نعم انه مهم جداً .. واكثر مما تتصور .. وهو يتعلق ،  
وتوقف السيد نديم عن الكلام .  
اكمل .. اكمل يا ابي .. يتعلق بماذا ؟  
نعم سأكمل .. بعد ان تقول لي ما هي مشاريعك اذت  
الخاصة منها والعامّة

وكانت غاية الأب ان يعرف ما يجول في خاطر ولده دون  
ان يكون له شأن في توجيهه

انا ..!! لا توجد عندي مشاريع خاصة .. وكل ما  
هنالك انني اجث في امر اشغالنا الربيعية .. ان الوقت طويل  
امامنا .. اننا في نصف الشتاء كما ترى ..

معك حق .. لكن الذي لا يبيت لا يصطاد ،  
انني معك .. ما هي هذه المشاريع ؟ .. وما تفاصيلها ؟  
وكان في داخله يجل اهتمام ولده بأمر بساينه وكرومه  
وارزاقه ، ويكن له كل محبة وتقدير

ابي .. ان الدوارة الكبيرة في الشجار تأخذ جل  
اهتمامي ، لأن معظم اغراسها قد يبست ولم تعد تعطي انتاجاً  
كافياً .. لذا يجب علينا ان ننقبها على البلدوزر ونغرسها  
مطاعم كرز بنّي لمّاع طلياني وقوس قذح .

وسرح ابو وسام مع خياله .. وحط رحاله عند حلم ولده .  
وراي هذا الحلم في بداية تطوره .. ها هي الجرافة تقلب  
الارض بسهولة ما بعدها سهولة . انها تجعل قاعها وجهاً  
ووجهها قاعاً ، وتخرج اصول الاشجار القديمة من الاعماق ..

وتبصقها الى اعلى ، وها الصخرة الكبيرة التي عصت عليه  
عندما نقب الارض على زنوده اول مرة ولم يقوَ على قلعها ،  
انها الآن تتخلخل تحت وطأة دفع هذا الغول الجبار الذي  
يدعونه بلدوزر .. انه يستجمع قواه .. ويتقهقر الى الوراء ..  
ويهجم .. وينطح الجمود بقرنه الفولاذي .. ان الصخر يرضخ  
للقوة .. والارض تصبج كراحة الكف .. ان ولده يعمل  
بهمة ونشاط .. يغرس .. يسقي ، يشذب ، أما الاشجار  
فتنمو وتنمو ، وتزهر ، وتثمر ، ان الحلم قد اصبح حقيقة .  
وحلم آخر راوده .. حلم كان يعيشه في روحاته وغدواته ..  
في صحوه ورقاده .. وسام .. وابن وسام ، وسام يجب ان  
يتزوج ، ونطقت رغبته في لهفة وضراعة .  
الله يعطيك القوة يا ولدي .. ويأخذ بيدك ، ويحقق كل  
آمالك .. ويشفق عليّ فيك ، وسقطت دمعة حانية على خد  
الشيخ .. ولم يستطع إخفاءها هذه المرة .. وضاعت بين  
أخاديد وجهه .. ولاحظها وسام ، وهاله الامر .  
أبي .. أبي .. لما تفعل هكذا ؟ ان دمعتك قد حرقت  
قلبي .

واحتضن الاب ولده .. ومسح دمعه بشعره الأشقر  
الجميل .

وقبله فوق جبينه .. وكتفه بضراعة :

يجب ان تتزوج يا وسام .. يجب وشاركه قلب الأم  
والابنة .. شاركه في رغبته ، ونابت عيونهما عن لسانها في



استعطاف وسام .. وكان في اعماقهما نداء .. يجب ان  
تتزوج يا وسام . يجب .

وارادتا النطق .. لكنهما تهيبتا الموقف . . واحترمتا  
امارات الحنان الابوي المتدفق من عيني الاب .

واحتار وسام في امره .. ان مشروع الزواج هو آخر  
شيء يفكر به .. الارض ، الاشجار ، الطبيعة ، الصيد ،  
اجزاء من كيانه .. بعض نفسه . آماله كلها .. وكل امر  
من بعدها هباء ، لكن رغبة والده ، ووالدته ، انها يريدان  
تزويجه ليشاهدا له ولداً على حياتها . ( لا يوجد احب من  
الولد إلا ولد الولد ) هذه امنية الآباء والامهات لفلذات  
اكبادهم . يجب ان يحقق رغبتهما ، يجب ان يتزوج ، لكن  
ليس الآن . سيستمهلها والوقت كفيل بتحضير الاشياء . ان  
جميع الاعمال مرهونة بأوقاتها .. ورد على والده :

ابي .. انني رهن اشارتك . والثوب الذي ستفصلونه  
سألبيه .. لكن امهلني هذه الصيفية فقط ، من بعدها لكل  
حادث حديث .

وشعر السيد نديم بثقل الجو الذي اوجدوا نفوسهم به ،  
وبأنهم سوف يتضجرون . فغير مجرى الحديث ، وراودته  
فكره .

وسام .

نعم .

اذهب الى عند عمك ابو عفيف وعمك ابو مخول وادعوهما  
ليسهروا معنا .

حاضر .

والتحف وسام بشاله الصوفي ليتقي زهمة الثلج والزمهرير ،  
وخرج .

وقرع الباب عند السيد عبدو تامر .. وتجاوب مع صوت  
من الداخل ..

من الطارق ؟ ..

انا .. وسام ..

وسام ؟ .. تفضل .. ادخل .

وفتح الباب .. ودخل وسام الى حدود العتبة .. ووقف ..  
لماذا وقفت عندك ؟ ..

لا .. شكراً .. عمي ابو عفيف تفضلوا اسهروا عندنا  
الليلة .

لماذا ازعجت نفسك يا ولدي ؟ المحتاج نحن لدعوة كي  
نسهروا عندكم ؟ ..

لا يوجد اي ازعاج .. انا لم آت لادعوكم ، بل لاعطيكم  
علم فقط .

على رسلك .. اجلس يا ولدي .. اجلس .. سنذهب  
بصحبتك بعد قليل .



لا .. أنا ذاهب إلى عند بيت عمي أبو مخول لأدعوهم  
ايضاً .

رافقتك السلامة .. الله يسهل أمرك .  
وذهب إلى بيت ابو مخول .. وكان عندهم بعض الأصحاب  
والاقارب .. ودعاهم جميعاً .

× × ×

## سهرة في الضيعة

اكتمل شمل الاصحاب ، وتبدل جو المنزل عند السيد  
نديم جابر من سكوت ممل إلى حركة دائمة كلها حيوية  
ونشاط .

ابو نخول يدخل النرجيلة ويلقي بنكاته تلقائياً فيمقهه لها  
الحضور ويصفقون ابتهاجاً لفكاهتها المحببة الى القلوب .  
وابو وسام في مكانه المعهود ، يجلس فوق جلد الغنم الوثير  
ويدخن نرجيلته . ويجانبه هرة جمعت بعض الوان الربيع  
وحاكتها ثوباً لها .. جميلة .. جذابة .. وديعة ، نصفها  
غارق بين الصوف الابيض والنصف الآخر بعضه تحت يد ابو  
وسام يمسه باسترخاء ودعابة . وهي تموء غبطة وتمرر رأسها  
تحت يده من وقت لآخر . ووسام يتأهل بهذا ، ويرحب  
بذاك .. ويفسح مكاناً لآخر . وآمال تدور بصحون الجوز  
والزبيب على الحاضرين ، وتوزع محتوياتها مع ابتسامتها  
اللطيفة .

وتشعبت الاحاديث ، تعالج امور الضيعة ، لتقرر ما  
هو سيء وما هو صالح . وبدت اللسن كمشرط الجراح ،



تقر بصحة هذا وتنقح غيره وتندد بما هو غير صالح .  
وأخيراً مل القوم كثرة الجدل بعد تطرقهم لكل شاردة  
وواردة . وشعر رب البيت بتبليبل الجو وبتكاسل بعض  
الحضور وبدبيب النعاس يراود الأجفان . فتزحزح في جلسته  
قليلاً ، وسعل سعلة خفيفة ثم قال :

أتريدون التسلية بلعب الورق ؟  
مثلاً تريدون .

اجاب بعض الحضور .

وبحث عن وسام .. وكان مع شلة من رفاقه في زاوية  
المربع .. وناداه .

وسام .. اين الورق .. احضره لنرى من سيفوز هذه  
الليلة .

ونفض وسام وأحضر الورق .

تفضلوا .. تفضلوا .. شرف عمي ابو نخول .. عمي ابو  
عفيف .. لا .. إلعبوا أنتم الشباب في البداية .

هذا لا يجوز .. العبوا أنتم اولاً ونحن الشباب سنلعب  
بعدم .. إن السهرة طويلة ونحن في بدايتها .. بماذا تريدون  
أن تلعبوا ؟ .. طرنيب أم بحري .  
وضحك ابو عفيف .

بحري يا ابني بحري .. نحن الشيوخ نحب لعبة البحري .  
وانتم الشباب ستلعبون في الطرنيب إذا أحببتم .

مثلاً تريدون .. تفضلوا .. ووضع الورق أمامهم على  
طراحة مخرمفة الوجهه خضراء اللون .  
وتخلق الحاضرون حول اللعب .. وعلا الضجيج .. وكثر  
اللغط .. احتدم الجدل بين ابو عفيف وابو مخول عندما  
ظن أحد الشريكين أن شريكه قد غلط في لعبه .. وقال  
غاضباً :

أنا مضانج بستوني . لماذا رددت لي سباتي ؟ ..  
ولم يكن غضب ابو مخول أقل احتداماً من غضب شريكه ،  
ورد له الكيل كيلين .  
سباتي .. سباتي .. وأنا من اين سأجد لك سباتي .. إنني  
ألعب على ورتقي .

ألا يوجد معك سباتي ؟ ..  
لا .. لا يوجد معي سباتي .  
حسنأ .. انتبه إلى اللعب .  
ونكس لبادته إلى الأمام .. ومسح شاربه بيده .. وقتلها  
قليلاً ..

إنني شديد الانتباه .. انتبه أنت ولا تهتم بي .  
أثار هذا الشجار بين الشريكين حفيظة الخصوم .. وشعروا  
بنشوة النصر .. وشمتموا بالفريق الآخر التي تحزب لأبي مخول  
وقال أحدهم :  
إنكم لمتشاجرون كثيراً .. أنتم الآن في بداية اللعب ..  
حسنأ .. سنرى لمن ستكون الغلبة .



وسام .. النار قد خمدت .. إن سل الحطب قربك ..  
ضع منه بعض الأخشاب في الموقد ..  
آمال .. نرجيلة عمك ابو نخول انتهى نفسها .. ادعكي  
غيره وجددي القهوة .

لقى ابو وسام بأوامره لأفراد العائلة وتابع الإشراف على  
سير اللعب لأنه كان الحكم فيما بينهم .. ران الصمت فوق  
الجميع ، لأن الخصمين كانا يلعبان بثقة وروية ، وتعلقت  
الأفئدة بكل شاردة وواردة تصدر عنهما .

وأخيراً ربح فريق ابو عفيف عندما حالفه الحظ . وانهى  
الشوط ببندا كانت مسك الخطوم .. وكثر الجدل .. وعلا  
الضجيج ثانية .. وبدأ التزريك .. وكان ابو عفيف مجلياً في  
هذا المضار .

قوم لبش عالبيت غارا لعب الورق بدو شطارا  
قوم لبش عالبيت سرقا مثل الشرشوح ورا القرقا  
ولعب فريق آخر .. وتجلي الطرنيب بأهبي مظاهره ...  
وكان حماس الشباب شديداً .. وانهمك كل من الحضور  
بعمله .

ام نخول وام عفيف مع مغزليهما تتكلمن حول مستقبل  
أولادهن ومستقبل المواسم القادمة .  
والشباب منهم من كان يستمع لحديث يرويه أحدهم ، يدور  
حول رحلة صيد أصاب بها خطأً وقيراً .. ومنهم من كان  
يتابع سير اللعب .

كان لكل من الحضور شاغلاً يحصر اهتمامه به ما عدا  
أربعة مقل كانت تتبادل النظرات خلسة .  
فتظهر للعين البصيرة ما أخفته الأفتدة .  
إن عفيف تامر يقيم على هوى عارم من جارته الحسناء  
آمال . وهي تبادله حباً بحب .. ودليل ذلك نظراتها  
العاطفية الرانية إلى من تهوى .  
إنها نظرات بريئة في ظاهرها ، لكنها تدل على أشياء  
وأشياء ، بحسب قول الشاعر :

إذا اختلفى ما في القلوب من الهوى

( انظر إلى عين من تحب تنبيك ) ؟ .

إنها تدرج في نهاية العقد الثاني من عمرها .. هيفاء ، بعمر  
الورود .. قمحية البشرة .. أقرب إلى اللباض منها إلى  
السواد .. عيناها سوداوان تظللها أهداب سحرية .. انفها  
صغير جميل .. وفمها كرزي فاتن .. جذاب كياقوتة حمراء  
أو كجمرات كانون الوهاجة .. شعرها أسود فاحم كقطعة  
من الليل يجلل منكبها ويزيدها سحراً على سحر .. وكل عضو  
من أعضائها كان دليلاً قاطعاً على جلوسها فوق مربع الجمال عن  
جدارة والاستحقاق ..

وعفيف قد جاوز العشرين ربيعاً .. معتدل القامة ..  
أسمر البشرة .. تظهر على محياه سياء النجابة والذكاء .  
وكان التفاهم واضحاً بينهما ، وقد علمت بحبهما أخيراً  
جميع أهالي القرية .. ويورك هذا الحبيب من الشيوخ والعجائز ..



أما الصبايا والشباب فكان في قلب كل منهن حرقه وغصة ..  
لأن كل فتاة كانت تتمنى أن يكون عفيف من نصيبها ، وكل  
شاب يتمنى ان تكون آمال عروسته ..  
لكن سلم الجميع بالأمر الواقع . وبدأت الاستعدادات لبناء  
منزل جديد يشاد على سواعد أشبال أشداء .

## بدء الربيع

انهزمت فلول جيوش الشتاء ، أمام جحافل جيوش الربيع الحرارة . ولبست الطبيعة حلة فاتنة زاهية حاكتها يد الخالق . وقد دبت الحياة في القرية بعد ركود دام طيلة فصل الشتاء . وقد انتشر فوح الأريج فوق الروابي . ومادت الأزهار بقدودها طرباً على أنغام المياه المتراقصة في الأنهر والغدران والمنحدرات .. وسرحت أسراب النحل تسابق الفراشات على جناء الرحيق . والربيع في بسكنتنا له رونق مميز ، لا يشابهه سوى ربيع القرى المشابهة لها .

إنها تربيض في أعالي الجرد على علو الف وأربع مائة متر عن سطح البحر . هذا في وسطها ، أما من الجهة الشمالية فيزيد عن الألف وخمس مائة متر تقريباً . حيث يتصل منظران جميلان تعشقهما العين .. الثلج في أعالي صنين ، والاشجار المزهورة في بساتينها وضواحيها . ثم شال أخضر من الصنوبر مشلوح على أكتافها دون عناية ولا إتقان .. وتحت اقدامها يرقد وادي الجماجم حارسها الأمين .



ومع كل صباح تضحج الدروب بقطعان الغنم والماعز  
والأبقار .. وتتألف قطع من الموسيقى الشجية من نغاء الحملان  
وحذاء الرعاة ، وغناء الصبايا الذاهبات إلى الحقول بقصد  
العمل او النزهة .

وبين هذا الضجيج ، ومع الحذاء والغناء يندفع سميل من  
الفلاحين كل يسوق أبقاره امامه ، وعدة فلاحته محملة على  
دابته ، وفي رأسه أفكار وأفكار .

وفي المساء تعاد نفس المشاهد ، لكن بفارق الجوهر ،  
فقطعان الماشية تجتر راحتها وتندفع نحو زرائبها ، والصبايا  
الحسان يحملن صرر السليق ( اعشاب برية مختلفة ) ودلائل  
الصحة والنشاط تتفجر وروداً حمراء من وجفاتها. والفلاحون  
يجرون في أقدامهم ثقل سلاسل جهودهم وأتعايبهم ، وعلائم  
البشر تطفح فوق ثغورهم لاستبشارهم بفيض موسم عميم .

ابتدأ الليل يرخي سدوله ووسام لم يحضر إلى منزله مع  
بقية الفلاحين .. وكان في خلد والدته تساؤل .

لماذا تأخر يا ترى ؟ .. لماذا تأخر لهذا الوقت ؟

ووقفت على سطح المراح الممتد أمام المنزل .. وبصرها  
شاخص نحو الطريق المتعرج بين الأشجار المنشورة هنا  
وهناك .

يا إلهي .. لماذا انا خائفة عليه ؟ .. إنه شجاع ...

وقوي .. وفي أغلب الأحيان يتأخر أكثر من هذا الموعد ..  
لكن .. فكري مشغول عليه .. إنني أشعر وكأن قلبي يعصر  
تحت حجر الرحا .. يا ربي .. آه .  
ووضعت يدها على رأسها .

ما هذه السويداء التي تنتابني ؟

ولفتها موجة من دوار محموم .. وبدأت تهذي ..  
وحيدي .. وحيدي .. ولدي .. إنني خائفة .. إحفظ  
وحيدي يا رب .

وعادت إلى نفسها .. وتساءلت ضمناً .

لما هذا القلق ؟ .. وهذا الخوف ؟ .. أهو قلب الأم الذي  
يحسم الأمور ويحولها إلى أوهام .. ويتخوف منها وكأنها  
حقائق ؟ .. أم هي محطة خفية في العقل الباطن تلتقط رموز  
الأحداث قبل وقوعها .. ؟

ولم يدم قلقها طويلاً .. ها هو وسام يطل عليها بطلعته  
البهية ، ووجهه المشرق ، ممتطياً دابته القوية السوداء ومن  
أمامه ثوريه يقتحمان الدرب بهمة ونشاط ، وكأنهما لم يرافقا  
المحراث من طلوع الفجر حتى الغروب .. ولاقته إلى باحة  
الدار . وكانت آمال قد سبقتها إلى هناك . وبدأت بمساعدته .  
وربطت أعطر وغقدور على معلفيهما .. وهو ربط الدابة بعد  
ان أنزل أغراضه عنها .



## دنيا الفلاح

بدأ الدار يعجب بموجوداته ، فيألف أجمل لوحة في صدر الطبيعة دنيا الفلاح .. ففكر الله في إبداع هندسته ، وإبنها البار الذي يعطيها من قوته .. من زنده .. ويستقيها من عرق جبينه .. ويجمل وجهها بشامات حسان .. غابات وارفات الظلال ، وبساتين مزهرة .. ومروج واسعة خضراء .. وهي تبادل العطاء .

مواسم عامرة تملأ أهراءه بالغلل .. وتغمر قلبه بالطمأنينة والأمل .. هنا بقرتان سمراتان ترنوان بانظارهما إلى فلوليها وفي أعينهما نداء الأمومة دفء من حنان .. وفي أضرعها عطاء وعطاء . خيط دقيق من الحليب يسيل على الأرض ، فيجذب أنظار الفلويين نحوهما ، ومعدتيهما تردد نداء صامت ، يخرج من فمهما عجيج رتيب .

وهناك زريبة للغنم تجاورها زريبة أخرى للحملان .. هنا الأم .. وهناك الإبن .. هنا ثغاء .. وهناك نداء . وفي الجهة الأخرى خم للدجاج تتسابق إليه الحمراء والبيضاء والسوداء في صياح وقوقأة وشجار ، وبينهما ديك رزي أزرق يَحْتال كملك متوج .

وبعد انتهائهم وسام من تحضير العلف للجميع .

انشلح فوق المصطبة يجسده المكدود من عمل النهار الطويل  
المضني . فاستقبلته الأرض بوجهها المدلوك الناعم .. ببرودتها  
القليلة المحببة التي سرت في أوصاله سريان الكهرباء في الأسلاك .  
ولطفت من غلواء دمه المتدفق في شرايينه حاراً كحرارة إيمانه  
بجبه لأرضه وندت عن صدره آهة خافتة تشوبها مسحة من  
الهدوء والاطمئنان .

خي .. الله يرحم الموتى ..

واقتربت والدته من المصطبة ودلو الحليب في يدها تعلوه  
بقايا رغوّة تغيب حببياتها رويداً رويداً مع الأبخرة المتصاعدة  
من السائل الطازج ..

وسام .. وسام .. إنهض عن الأرض يا ولدي .. إنك  
متعّب .. سوف تأخذ برد وتمرض .

لا .. لا تخافي علي .. الجو حار .. أريد أن أبورد .  
آمال ..

ماذا تريد ؟

خذي هذا الدلو وضعيه في مكان أمين بعيداً عن القطة ،  
واحضري البساط القديم من المربع ، ومديه تحت أخاك كي  
لا يأخذ برد .

وردت في سرها .. إن الجاهل عدو نفسه . يا إلهي



أحرسه .. أحرسه .

وسام . إجلس يا روجي .. شقيقتك أحضرت لك  
البساط .

أف .. ما أتعبكن .. هكذا أنا مرتاح .. إزعاج .. دائماً  
إزعاج .. ونهض بنزق .

هه . قد جلسنا على البساط .. تفضلي .

كن هادئاً يا ولدي . إنني أريد صالحك .

وجلست بقربه .. ومررت أصابع يدها المعروقة بين

خصلات شعره الخرنوبي بعطف وحنان .

☆

## ملحمة الحياة

أطل قمر نيسان بمسائه الرابع عشر ، متكئاً على أكتاف  
صنين ، وانسلح نوره متهاكماً على صفائح الثلج المتجمدة في  
الأعالي . وانعكس لمعاناً بلورياً صافياً .. وتوهج الجبل الإله .  
وتلألأ نوراً مشعاً .

وانزلق النور رويداً رويداً نحو المنعطفات والوديان  
وطرد وحشة المساء .. ولف بسكنتنا بشال فضفاض من لهات  
حار .. لهات شوق أصعده قلب صب مشتاق للقاء حبيبته ..  
ومن بين أغصان صنوبرة هرمة انسل متخفياً وراء أشجار  
التفاح والكرز ، ليرصد ملحمة الحياة .. ابنة الطبيعة البكر ،  
متجسدة بالسيدة رفقه ووحيدها وسام .

لماذا تأخرت إلى الآن يا ولدي .. لقد شغل فكري  
عليك .

هه . هه . ها . تأخرت ؟ إنه العمل . وهل تنتظرين مني  
أن آتي إلى البيت قبل هذا الوقت ؟ ..

إن هياتك تدل على جدية واهتمام ... خير إن شاء الله ؟ ..  
خير ؟ .. لا يوجد إلا الخير .  
وعدل جلسته قليلاً ..

إن العمل كثير يا أماه .. ونريد ألا يسبقنا الوقت .



قالها بثقة وروية ..

جاوبت نفسها ام وسام .

لكن ولدي .. صحة ولدي قبل العمل والرزق .. إذا  
مرض أو حدث له أي حادث . فماذا ينفعني الرزق والعمل .  
وأمسكت دمعة صعدت من قلبها .. وكادت تنحدر من  
عينها .

نعم إن العمل كثير .. لكن عمل اليوم لليوم وعمل الغد  
للغد .. وصحتك قبل كل شيء .

الحق معك يا اماء .. إن صحي قبل كل شيء .. لكن أي  
خوف على صحي من العمل .. إن الرب قد أعطاني القوة  
لأعمل .. وهذه إرادته ( ستأكل خبزك بعرق جبينك أيها  
الإنسان ) .

هذه حجة قليل الخواص الذي لا يحب العمل .. وأنا  
على قدر ما سيهيني ربي من قوة سأعمل .  
اشتغل .. أنا لا اقول لك لا تشتغل .. لكن ساعة لك  
وساعة لربك .

لماذا لا تقولين اسبوع للكرم .. واسبوع للدوارة ..  
واسبوع للشعبي .. واسبوع للبستان .. واسبوع لله .  
يا أماء .. إن الكرم يحتاج إلى الفلاحة والتقليم وكذلك  
البستان .. ونريد تحضير أرض المزروعات الصيفية ..  
ونريد .

قلت لك الحق يجانبك .. لكن يد واحدة لا تصفق ..

الاستأجر معك عامل .. عاملين ليساعدك .

استأجر؟ .. وهل العطلة في أن استأجر .. ؟ وإذا  
استأجرت الفاعل فهل سأعطيهِ قلبي وفكري ورعايتي كي  
يهبهم إلى الدالية والتفاحة والخوخة .. لا . قلب العامل ليس  
كقلب صاحب الزرع على زرعه .

حسناً .. حسناً يا روجي .. لكن اشفق على نفسك قليلاً ..  
وهل يكون العمل من الفجر الى النجر .

نحن اليوم في أوج عجقة العمل .. اذا لم نغدو باكرأ مع  
الفجر . ونتأخر حتى المساء ، يذهب تعبنا سدى ..  
وتبور الأرض .

أف من الأرض .. أهي كل شيء في الحياة ؟ ..  
وسرح وسام مع خياله .. وحلق في ارجاء البعيد ..  
وردد ضمناً :

الأرض .. الأرض .. نعم هي كل شيء في حياة الفلاح  
المزارع .. وانطلقت أفكاره على لسانه آيات وحكماً .  
ان هذه الارض قد سقاها والدي من عرق جبينه ورواها  
من قطرات دماء قلبه الطاهر .. ان ابي قد أفنى جسده بها  
فأحياها ، وقدمها لي لقمة سائغة .. انها كانت قاحلة ..  
صخور جرداء .. وحوها من جرود وعرة المسالك الى جنات  
ذات زرع وضرع .

فبعد كل هذه التضحيات ، ايجق لي أن أدع تلك الحبات



اللؤلؤية من عرقه تجف وتغدو قحصاً ؟ .. أو أدع جسده  
الظاهر يفنى ويدبل بعد ان قدمه لي قرباناً ومحركات على  
مذبح نفسه الطاهرة؟ .. ابي الذي افنى نفسه بنفسه وأحياني ..  
ابي الذي ضحى بصحته .. بقوته .. وجعل مني فتى شديداً  
العضل .. قوي البنية ..

وقطعت عليه والدته حبل افكاره .. لكنها كانت معجبة  
في سرها .. ولسان حالها يقول ( ان هذا الشبل من ذاك  
الأسد ) .

الله يبقيك لي يا سندي .. نعم هذه طريقة والدك في  
العمل .. ولكن ..

لكن ماذا؟ .. دعيني اكمل .

ان أبي قد سلمني رسالة حياة .. رسالة خلود .. رسالة  
استلمها من والده .. ووالده استلمها من الآخرين .. والآخرون  
استلموها من اسلافهم . ابي سلمني رسالة .. وانا هي تلك  
الرسالة .. وعلي ان اسلمها كما استلمتها صحيحة من العيب ،  
سليمة من الشوائب .. علي ان اسلمها الى ابنائي الذين سيأتون  
من بعدي .

وضحكك رفقة ضحكة عميقة صدرت عن قلبها .

يا ايها الخبيث .. اتتكلم عن الاولاد؟ .. ماذا؟ اوجد  
عندك مشروع زواج وتحفيه عني؟

يا الله .. يا والدتي انت اين وانا اين ..

لا تقل اين ولا ما اين .. بما انك تتكلم بخصوص الأولاد

ستكون قد فكرت وحضرت العروس .. فمن هي هذه  
السعيدة الحظ يا ترى ؟ ..

معك حق .. عندما يوجد تفكير في الأولاد توجد عروس  
أيضاً .. لكنني أتكلم عن المستقبل .. وفي المستقبل سيكون  
لكل حادث حديث .

حسناً .. أكمل فلسفتك .. ماذا يوجد عندك أيضاً ؟  
هذه ليست فلسفة يا أمي .. هذا واقع .. فكل فلاح  
أو مزارع يحب أرضه يتكلم هكذا .  
حسناً .. قلت لك حسناً .. كنا عند الأولاد .. فماذا

يوجد بعدهم ؟

لقد عدنا الى المزاح .

أأنا أمزح ؟

وتبسمت .

انني لا أمزح .. أنا أتكلم جد .. أكمل يا سندي .

نعم .. انني سأكمل ولو استهزأت بي .

ان أبي قد علمني كيف سأحافظ على الأرض .. وعلي ان  
أعلم أولادي كيف سيحافظون عليها أيضاً .. ان الطريق  
امامي طويل .. صعب المسالك .. علي ان اجتازه بسلام ..  
علي ان لا أتهاون ولا أتخاذل .. علي ان لا أكبو ولا أعرثر ..  
لأنني أخاف أن تحل علي اللعنة .. أخاف أن يقال هذا ابن  
الذل .. هذا ابن الهوان .. أخاف أن يقال انه وصمة عار  
في جبين الدهر .. أخاف ان يقال انه جبل العثار ..



ابتعدوا عنه .

لا سمح الله .. لا سمح الله أن يقال عنك هكذا يا حبيبي ..  
يا وحيدتي الذي حملته في أحشائي تسعة أشهر .. يا من  
أرضعتك من ثديي .. وحنيت عليك .. وهزرت سيرك  
وأنت طفل .. ودلتك وأنت فتى طري العودة .. ورعيتك  
وأنت شاب .. يا ريحانة قلب والدتك .

انني قد زرعت فيك بذور الصلاح والايان بالله .. وأنت  
بهجة آمالي يا رجل المستقبل ويا درع الوطن ..

وأحس وسام بقشعريرة ناعمة تسري في أوصاله .. وبموجة  
من حنان تغمر كيانه .. كيف لا ودفق في فيض المحبة  
الأمومي ينزل عليه برداً وسلاماً .

نعم كان جسد والدته ملتصقاً به . لكنه لم يكتف بذلك ،  
بل أحب أن يغرف من عمير عاطفتها ما استطاع .. ودفن  
رأسه في صدرها .. وتمنى لو يتوقف الكون عن حركته ..  
وان تسجد الطبيعة في محراب الزمن .. وتنصت صاغية إلى  
إيقاع السمفونية الخالدة .. الأبدية .. الأزلية .. على ناي  
الشعلة الالهية .. قلب الأم .

ولم تكن والدته أقل منه نشوة .. وغمرته بحضنها ..  
وأعطته من فؤادها إلى آخر حدود العطاء .. وأكملت كلامها  
وكأنه وحي ملهم .

سندي وسام .. بكلامك الموزون قد أدخلت السلام إلى  
قلبي .. وأرحت ضميري .. الآن اذا رقدت رقدتي الأخيرة

أكون مطمئنة النفس .. مرتاحة البال .. أغفو وفي خلدي  
أمل .. وأصحو وفي عيني نور .. أطبق جفني على رسم  
تجلت فيه دلائل القوة .. دلائل العزم والنشاط .. وافتحتها  
لأجد أملي في هذه الحياة .. رجائي في الآخرة .. لاجدك  
يا ولدي .. أنت الابن البار وقد تكلم جبينك بأكليل  
المجد .. أكليل حبكمته يد الانسانية بخيوط من نور المعرفة ..  
وأضاءت خلايا نفسك المظلمة .. وجعلت منك رجلاً حصيفاً ..  
شديد الانتباه .. يدخل الى الحياة وقد تسلح بسلاح التفكير ..  
والتصميم .. والعمل ..

أمي .. أمي ..

وأراد وسام أن يقاطع هذا الوحي المنزل .. ولم يستطع ..  
وكانت قوة هائلة غير منظورة تضغط على شيء مجهول في  
نفسه .. وأراد البكاء .. وحاول مراراً .. ولكنه لم يجد  
اليه سبيلاً ..

لا .. لا تقاطعني ..

ووضعت يدها على فمه برفق وحنان ..  
وسام .. سر في طريق النجاح والتقدم .. وابتعد  
عن كل مسببات الرسوب في هذه الحياة التي ما ان تعطيك  
ياقلال حتى تأخذ منك بشراة ونهم ..

— ابتعد عن النساء الشريرات .. لأنهن علة العلل ..

— ابتعد عن معاقرة الحمرة .. لأنها تبلبل أفكارك ،

فتكذب عندما لا تريد ..



- ابتعد عن المقامرة .. لانها تنحدر بك إلى الدرك  
الأسفل .. إلى الانحطاط .. إلى الرذيلة .. وإذا انحدرت  
إلى تلك المهابوي هناك الطامة الكبرى .. لأنك تفقد كل شيء  
يدعونه قيم اخلاقية .. فتسير إلى مطامحك على أنقاض نفسك ..  
وتحقق آمالك على حطام قلبك .. تشعر باللذة والارتياح  
مغذياً جسديك بفتات نفسك المريضة .. لكنك تكون قد  
هدمت حياتك بمعول النقائص والرذائل .. فتسير وتسير إلى  
القبر بخطى حثيثة .. ساعتئذ ستندم عندما لا تجدك ساعة  
ندم .. وتعني حقيقتك المرة .. لكن بعد فوات الأوان .  
إنك الآن كأشجار الربيع باثقاً كاللدوح .. فألأشجار ان  
لم تتعدها بالتقليم والرش الدائم .. تحصل في نهاية الموسم على  
إنتاج فاسد .. الاثمار ينخرها الدود والأشجار تمرض جذورها ،  
وتؤكل جذوعها ، وتيسس فروعها .

هكذا حياتك يا بني .. فان لم تتعدها بالأعمال الصالحة ،  
وتجعل عقلك رادعاً لشهواتك وتغذي جسديك الغذاء الجيد ..  
فانك تسير إلى النهاية المحتمة . ألا وهي الموت العاجل .  
استوى وسام في جلسته .. واستقبلت نفسه الوداعة  
نصائح والدته كما تستقبل الأرض العطشى وابل المطر . وردد  
كلماتها في سره مراراً .. وفاض نور المعرفة على لسانه تمام  
شكر ومديح .

امي ..

وأخذ نفساً طويلاً .

إن كلامك وحي إلهي .. نور رباني أضاء أمامي السبيل .  
ونصائحك تائم تقيني مصائب الدهر وحدثانه .. كنت أعمى  
فأبصرت .. وضالاً فاهتديت .. كنت تأمهاً في مهامه الحياة  
وفلواتها خلو من أي سلاح ادافع به عن نفسي ..

أما الآن فقد وجدتك يا اماء .. وبوجودك قد وجدت  
ذاتي ايضاً .. وجدت نفسي الضالة .. نفسي الشريدة ..  
إنني أقول وجدتك وأنت معي منذ البداية .. لأن غشاوة  
الجهل وعماء البصيرة قد وضعتا بيني وبينك سداً منيعاً ..  
وحجبتا عني الحقيقة .. وأنت هي الحقيقة . لأن من عرف  
الحقيقة كان الحقيقة نفسها .

إنك ينبوع المعرفة .. تسيرين في جدول السعادة بين  
حقول الامل ، فتروي بمائك العذب صحارى عقول جففتها  
الجهل .. وتعيدين البهجة والسرور إلى قلوب عضها الدهر  
بناب الأسى .. وتحيي الرجاء بنفوس فقدت الثقة برحمة  
باريها .. وتعيدين الخراف التائهة في مغاور الحياة ومجاهلها إلى  
حظيرة الامان ..

اماء .. انت المنارة الساطعة فوق قمة الجبل .. ونورك  
ينقذ الذين تاهوا في اوقيانوس المخاطر ويهديهم الى بر الطمأنينة  
والسلام .

أنت ..



وكانت آمال قد حضرت صينية العشاء . ونادت والدتها .  
ونادت وسام .  
ونهدت رفقته ..  
كفى .. كفى .. يا سندي .. لا فض فوقك .. إنهمض  
لنأكل ، واتكل على ربك في جميع أعمالك .. وهو يهديك  
البركة .. ويحفظك ..

## معارك . . . ومملكة

لبست القرية حلة سوداء داكنة ، حاكها الليل من تنهداته الطويلة ، وصبغها بدم فؤاده الجريح الذي طعنه النهار بحربة من نور نفذت منه الى الصميم .

ان الليل في حرب دائمة مع النهار والنصر بينهما سجال ، لأنها ملكان جباران . . . مملكتها الطبيعة الخالدة . . . وعرشها القدر . . . وجيشها الزمن .

نعم ان عروسها الطبيعة . . . وعندما يستأثر بها أحدهما بعد معركة طاحنة تستنفد جميع قواه ، يعود الآخر ويجمع شتات جيشه المهزوم . . . وينقض على خصمه على حين غفلة منه . وتنشب بينهما من جديد معركة دامية تكتب فيها الغلبة للمتفوق الواثق .

ويبقيا هكذا دواليك حتى انقضاء الزمن . . . إذا كان للزمن انقضاء ونهاية . . .

ومع تطاحن هاتين القوتين الهائلتين . ومع انسلاال خيوط الفجر الاولى ، مشت القرية زاحفة إلى الحقول والبساتين ، ورائدها العمل . . . ومبتعاها الإنتاج الوفير .  
وبين هذه الجموع المتدفقة كان وسام جابر في الطبيعة ،



يستقبل نسيم الصبح العليل بصدرة الريح •

وبوصوله إلى الكرم في محلة ( المحروقة ) أطلت الشمس  
من وراء صنين • • فكانت وإياه ، وكأنهما على موعد ،  
ولامست بنورها الوهاج شعره الخرنوبي الأجدد • فبدأ كأنه  
تاج من الذهب مركب على هام جميلة صنعتها يد الخالق  
وأبدعت في صنها •

الجبهة عريضة واسعة • • والحاجبان . كأنها سيفان محينان ،  
تفصل بينهما فرجة صغيرة يبتدىء منها أنف مستقيم الأرنبة ،  
معتدل الحجم • • تحيط به عينان عسليتان تشع منهما قوة  
الذكاء والمعرفة • له شارب أعكف • قاني الشفتين • جميل  
الذقن • مربع القامة •

وكان يجسده المتناسق التركيب مثلاً للقوة والجمال • •  
وكانت نفسه البكر لا تقل جمالاً عن جسده • • جمال استمدته  
من محيط القرية العامرة بالتقوى والفضيلة ، العابق بشذى  
أعمال والديه الدالة على الخير والصلاح • واظب على العمل  
بهمة ونشاط • • وأعمل مقصده في الدوالي مشدباً ومقلماً ،  
قاطعاً الفروع الفاسدة والتقدمة ليحصل في المستقبل على دالية  
سليمة من كل عيب • • لأن الفرع الفاسد تمتد عدواه إلى الفروع  
السليمة فتصاب بالمرض ، ويتوقف نموها • • وهناك الطامة  
الكبرى عندما يستفحل الفساد ويتعذر تلافيه •  
وداوم على عمله هذا حتى انتصاب الغزالة في قبة الفضاء •

وكان الجوع قد فعل فعله في معدته الحناوية .. والحر والتعب  
قد أخذوا منه كل مأخذ . فجلس على صخرة عجوز .. ومسح  
بكلتا يديه ما تصبب على جبينه من عرق .

وبينا هو كذلك ، إذا بصوت يناديه كأنه نعمة القيثار .  
وسام .. أخي وسام .

واتجه نحو الصوت متخطياً الجلول المعلقة فوق بعضها  
كأنها درج يوصل إلى السماء .  
وشاهدته أمال .. وقالت له .

وسام .. سلة الأكل هنا على المصطبة .. قرب القبو تحت  
الشبوق الكبير .. أنا ذاهبة إلى العين لأملأ الأبريق .

حسناً .. اذهبي .. لكن لا تتأخري كثيراً .. إنني جائع .  
واتجهت أمال نحو عين سين القريبة التي تقع شرقي القبو  
(كوخ صغير) على طريق ضيقة تغفو بين شجيرات الدفران ..  
وتبدو من البعيد وكأنها شريان يخرق قلب التلة التي ترقد على  
أقدامها العين .

ووصل وسام إلى المصطبة .. وجال بنظره باحثاً عن سلة  
الأكل .. ووجدها .. وأفرغ محتوياتها على بساط سندسي من  
العشب الأخضر الموشى بأزهار البابونج الزكية الرائحة ،  
وأزهار الاقحوان .. وشقائق النعمان .

وكان بقربه حوض للأزهار الصيفية ، فيه عدة نبتات من  
الأنطريون .. وبعض أزهار برية أخرى .. يظلمه شبوق كبير



متفرع الأغصان ( شجرة سنديان ) ترقص على أفنانه أجواق  
الحساسين .

وعادت آمال تيمس بقدها تيمها ، حاملة بيدها ضمة من  
حشائش الحقل المتنوعة .. نخو بعبو .. قرص عني .. حبلبوب .  
وفي اليد الأخرى إبريق ماء عذب .. وفي رأسها آلاف الآمال  
والأحلام . وجلسا يأكلان بشهية وإقبال .. وجرى حديث  
شيق قبل ذلك .

ماذا أحضرت لنا اليوم في هذه الزوادة يا أمال ؟

أحضرت لك ؟ افتح الصرة وانظر .

حسناً .. سأفتحها .. لكنني سأعرف ما يوجد بداخلها  
قبل ذلك .

وقرب أنفه من صرة الأكل .

حزرت . نعم حزرت .. تين مطبوخ .  
نعم .

وعجبي .. ولبني .. وزيتون .. أليس كذلك ؟

نعم . حزرت .. ولكن كيف عرفت .. هل أنت

مبصر ؟

طبعاً ..

لا .. إنك لا تقول الحق .. لقد فتحت الصرة في

غيابي .

لا .. أبداً .

على كل حال حضرت .. وهل يوجد اليوم أطيب من  
حشائش الحقل مع الزيتون ؟

لا ..

وضحك متهكماً .

هذه زوادة الفلاحين القليلي الحظ مثلنا .. لكنها ..  
وضحك ثانية .

ما هي قيمة زوادتنا إذا قارناها مع زاد المحوظين الذين  
يأتون بقصد الترويح عن النفس . فراريج .. كاتو .. معمول .  
جدي مذبوح . عرق . وسكي .

لا يا وسام .. لا تغلط .. إن أكلنا صحي أكثر من أكلهم  
بكثير . هؤلاء يأتون إلى ربوعنا مرة أو مرتين في العام بقصد  
التزهة وشم الهواء . بينما نحن نرافق طبيعتنا الحلوة في كل  
صباح ومساء .. هم يهربون من شغل المدينة وضجيجها .. من  
الجلوس الدائم على الكراسي والأرائك .

لا تغلطي يا أمال .. وهل الجلوس على الكراسي والأرائك  
يهرب منه ؟ .. أهودق بالمعول ؟ .. أم صراع مع الصخور  
والمهدة في يدك طول النهار ..

إن كلامك صحيح .. لكن كثرة الراحة تعود على  
الكسل .. والخمول .. وتضعف الجسم .. بينما العمل يجوهره .  
أكملي أكلك وكفى فلسفة وهزاراً .

لقد رأيت منك العجب .. أنك تدعي عدم صلاحية



طعامنا .. وأراك قد أكلت ثلاثة أرغفة ، وأتيت على محتويات  
الزوادة بأكملها .. وشربت ابريق الماء شربتين .  
أظنك قد تمثلته قلة عرق .. أليس كذلك ؟  
وضحكت .

حقاً أنت عفريتة .. أتخسدينني على الأكل والشرب أيضاً؟  
لا .. أنا لا أحسدك .. أعمل مدني أفضل .  
يجوز .. من يدري .

وقلب شفتيه بتهكم وسخرية .. ونهض .. وقال .  
انهضي .. إن العمل أفضل من الجدل الفارغ .  
حسناً .. سأنهض .

وقامت .. ولملمت حوائجها .. وكسرت بقايا الخبز ..  
وذرتها في الهواء .. ونادت العصافير بصوتها الشجي .. ودعتها  
إلى الوليمة .. وكلمت وسام .

أنا ذاهبة أتريد أن أبقى معك .  
إلى أين ؟  
أريد أن أسلق .

الآن ليس وقت السليق .. تعالي واجمعي ما أقطعه من  
أغصان الكرمة .. ودعي السليق إلى المساء .

حسناً .. مثلما تريد .. أين أصبحت في تقليم الكرم ؟  
إنني الآن في جل الشعبي .. وأظنني أحتاج إلى يومين أو  
أكثر لأنتهي .

وانطلق الاثنان نحو العمل وثامرا الدوالي .. وأنشدا  
مواويل العتبا وأبو الزلف .  
وكان في كرم قريب منها شاب قوي نشيط ، يشاركها  
العمل والغناء .

إنه عفيف تأمر .  
ومع الغروب عادا إلى البيت . . واستقبلها ابو وسام  
بوجهه الباش .

أهلاً وسام .. أهلاً آمال . عافاك الله يا ولدي .  
الله يعافيك ، ويبقيك سنداً لنا أبد الدهر .  
وسام كيف الكرم ؟ كيف حفافيه ؟

إنه جيد يا أبي .. وحفافيه يوجد بها بعض الانهيار ..  
لكن ليس كبقية السنين .. حائط الدوارة انهار قسم قليل  
منه .. وغيره حائطان أو ثلاثة وقعت منهم بعض الأحجار .  
وأظنها بحاجة إلى يومي عمل على ما أظن .

حسناً .. قبلما تجلس ، اسأل والدتك إذا كانت تحتاج إلى  
أي شيء من السوق .. وأحضر لي علبة تنباك معك .. بيت  
عمك أبو عفيف قادمين ليسهروا عندنا الليلة . ونادى زوجته .  
رفقه .. رفقه .. أين أنت ؟ ..

وردت عليه زوجته من المربع الآخر .

إنني هنا .. ماذا تريد ؟ ..

وكانت ام وسام برفقة مغزها تجدل على عرناسه خيوط  
آمال وأحلام لا يعلم باطنها إلا الله .



تعالى .. إنني هنا في انتظارك .

نعم ها أنا آتية .. خير إنشاء الله ؟

لا يوجد إلا الخير ..

وابتسم ابتسامة ذات معنى .. وعاد بذاكرته إلى الماضي

البعيد .. إلى يوم ذهب والده ليخطبها له .

إنك تبدو شديد الاهتمام .. خير ؟ .. أوجد شيء

يزعجك ؟

نعم يوجد .

وصمت هنيئة مفكراً .

يوجد .. يوجد ..

كررتها بلهفة .

وماذا يوجد ؟ .. لقد شويت أفكاري .

سأقول لك .. لما الاستعجال ؟ ..

يوجد .. وملبوك .. ولما الاستعجال .. قل .. قل ..

لقد حطمت أعصابي .

حك السيد نديم برأسه وأردف .

إنني لا أدري .. الأمر هين وصعب .

وضح .. وضح يا نديم .. إن عملك وتصرفك يذهلان

العقل . كيف الأمر هين وصعب ؟ .. ماذا دهالك ؟ . أتتكتم

علي ؟ ..

أتتكتم عليك ؟ .. ولماذا ؟ .. لقد ناديتك لأستشيرك

بالأمر .

اف .. ما أطول بالك .. أفصح .. وضع ..  
هدئي روعك .. إجلسي هنا .  
وأفصح لها مكاناً بقربه .  
ها أنا قد جلست .. الظاهر ان الأمر جليل .  
مثما قلت .. إن الأمر مهم جداً .. يتعلق بنا جميعاً .  
قل .. عجل ..  
وظهرت الالهفة على وجه ام وسام ..  
إن السبب جميل تامر قد فاتحني بخصوص خطبة أمال  
الضعيف .

فما رأيك في الموضوع ؟

وارتبكت السيدة رفقة .. وثبتت نظرها في زوجها  
وكأنها فوجئت .. لكن هذا ما كانت تنتظره .. وهذا أملها  
منذ سنوات .. وقالت على فرحة مكبوتة .  
في وجودك أنحن لنا رأي ؟ .. إن الأمر الذي تلاقينه  
صواب أعمل به .

أتعنين انك موافقة .. أليس كذلك ؟ .. وما هو رأي  
أمال يا ترى ؟ ..

أمال ؟ .. لست أدري .. لكن ..  
وكبتت كلاماً أرادت أن تفصح عنه ، لكنها فضلت  
الصمت .

لكن ماذا ؟ .. أوجد أي أمر تخفيه عني ؟



لا سمح الله أن أخفي عنك أي شيء .. في طوال هذه  
المدة التي قضيتها معك ، هل لاحظت انني أخفيت عنك أمراً  
ما ؟ .. لكن .. لاحظت .. وسكتت أيضاً .

وماذا لاحظت .. إفصحي .. تكلمي ..

لقد لاحظت ان آمال وعفيف يجبان بعضها منذ مدة  
بعيدة ، وكلما تسنح لهما الفرصة يتبادلان نظرات هوى وكلمات  
ود .. لكن ضمن الآداب طبعاً .. ومثلما تعلم ، ان هذه  
الأمور لا تخفى على ام مجربة .

على ام مجربة ؟ أم على ..

وغمز بعينه وأكمل ..

أم على حبيبة ؟ ..

تنور وجه ام وسام .. وصعد الدم قانياً إلى وجنتيها ..  
وشعرت بنشوة ابنة العشرين تسري في أوصالها .. وقلبيها  
يرتعش رعشات الهوى والغرام .. لكنهما عادت وألبست  
وجهها قناع الجد وقالت .

إن هذا الوقت ليس وقت مزاح .

حسناً .. الآن وقت ماذا إذن ؟ ..

وقهقه ضاحكاً ..

إن هذا الكفاية .. كفى ضحكاً وهزاراً ..

وعبست . وبرطمت ..

حسناً .. حسناً لا تعظي .. نادي آمال لناخذ رأيها ..

ناديا أنت .. أنا لا أعرف .  
 ماذا ؟ .. هل أخذت القصة من جد ؟ .. الآن ليس وقتها .  
 وضحك ثانية .  
 إنني أعرفك .. أنت كل عمرك تأخذ القضايا بالمرح .  
 اضحك .. اضحك .. الدنيا بسمة .. ماذا سنأخذ معنا ؟  
 لست أدري .. لست أدري ..  
 قالتها بنزق وصمتت هنيهة .. وفكرت .. ثم أردفت ..  
 ووسام .. هل علم بالموضوع ؟  
 الحمد لله على رضاك .. نعم قد علم .. ووافق أيضاً ..  
 نادي آمال .  
 آمال .. آمال .. أين أنت .. تعالي إلى هنا . إن والدك  
 بحاجة إليك .  
 نعم ها أنا .. ماذا تريدان ؟ ..  
 أتيت ؟ تعالي .. اجلسي هنا .  
 وأفسحت لها مكاناً بقرها .  
 خير إن شاء الله ؟ .. ماذا في الأمر ؟  
 اجلسي .. اجلسي .. يوجد قضية هامة نريد أن نأخذ  
 رأيك بها .  
 ها قد جلست .. خير ؟ ..  
 وغمز أبو وسام زوجته .. أسألها .. وردت عليه بعينيه  
 أيضاً .. أسألها أنت .  
 أنت .. أنت .. أنت .. أنت .



وتحيرت، أمال .

ما بالهما يا ترى ؟

ووقعت القرعة على الوالدة لأنها تعرف عقلية الابنة  
بالسليقة .

أمال .. وكانت أمال بكليتها آذان صاغية .

يا بنيتي .. لقد فاتح عمك جميل تامر والدك بخصوص  
خطبتك لولده عفيف .. واحببنا أن نأخذ رأيك في الموضوع  
قبل أن نرد عليه خبر .

وجمت أمال وزغردت الفرحة في فؤادها .. وسكتت  
خفراً وحياءً .

ماذا دهاك ؟ .. لماذا لا ترددي ؟ ..

ونطقت عروس المستقبل بتأتأة وتردد .

الرأي رأيكما .. والثوب الذي ستفضلانه ألبسه ..

أتعنين إنك موافقة .. أليس كذلك ؟ ..

لقد قلت مثلما تريدان .

مثلما نريد ؟ حسناً .. لكن لسنا نحن من نبغي الزواج .

إننا سنبدي لك رأينا في الموضوع ، ونرشدك إلى طريق

الخير .. والشر . وعليك أن تختاري بين الطرفين .. إن

هذا شيء يتعلق بحياتك الخاصة .. ونحن لا دخل لنا بها ..

أتوافق على ما قلت يا أبا وسام ؟ ..

واتجهت نحو زوجها تستشده على صحة قولها .

نعم .. حقاً ما نطقت .. إننا قد قمنا بواجبنا نحوك . على  
قدر المستطاع .. وربيناك إلى أن أصبحت صبية . وعلمناك .  
وهذبناك ..

هذه هي حال الدنيا يا بنيتي .

وربت على كتفها .. واستطرد ..

إن الزواج سر إلهي اوجد لتجدد الطبيعة نفسها بنفسها .  
أنا في وجودك يا أبي ليس لي قول .. لأنك نور أضاء ظلام  
حياتي ليهديني سواء السبيل .. وامي .. امي الحبيبة التي  
أرضعتني سر الإخلاص والمحبة .. ورافقتني بنصائحها إلى إن  
أصبحت في هذا العمر .. هل يعقل أن تقدما على أي عمل قد  
يضر في مصلحتي ، ويعكر صفو عيشكما الهني ؟ .. لا ..  
أعملا الذي تريا فيه الخير .

أمال ..

نطقت ام وسام والوقار يجلل كلمتها .

أنت اليوم صبية ، وعن قريب ستنتقلين من حياة البنوة  
في بيت أهلك ، إلى حياة الزوجية في بيت غريب عن جوك ..  
غريب عن حياة بيتية يرعاها حنان الأم وعطف الأب ..  
إنك ستستعيزين عنا بأهل زوجك ، لأنها سيصبحا والديك .  
لذا يجب ان تعامليهما بنفس معاملتك لنا .. ويجب أن تعيشي  
مع زوجك عيشة الزوجة الوفيمة التي ترافق شريك حياتها في  
السراء والضرا ، .. وتعاون وإياه على الدهر ..



نعم يا اماء ..

دعيني أكمل .. لا يجوز أن تندفعي مع تيار الزواج مثل  
كل الفتيات الجاهلات .. لأن الزواج ليس لعبة تنتهى بها .  
انني اوضح لك هذه الأشياء ، ومصالحتك نصب عيني ..  
الزواج يا ابنتي طريق طويلة مملوءة بأشواق الحياة ومشاكل  
المجتمع .. الزواج شركة .. شركة أبدية ، لا يفصم عراها  
إلا الموت ، قبل أن يكون نزوات عابرة .. وإذا لم يكن  
طرفا الشركة متفاهمين ، هناك المصيبة الكبرى .. لأن كل  
مشكلة يكون سلاحها الأنانية وحب الذات تكون نتيجتها  
الحقد الدائم ، وحب السيطرة من أحد الطرفين ..

يا اماء .. ان كلامك حكم سأحفظها ما حييت .. وأنت  
وابي ستكونان مثلي الأعلى بكل أعمالى .

لا تقاطعيني .. دعيني اكمل .. إن الذي يعرفه الكبير  
لا يعرفه الصغير .. يجب على كل فتاة تدخل إلى محراب الحياة  
الزوجية أن تتحلى بسلاح الصبر والتروي .. يجب أن لا تقاوم  
بعلمها إذا أبدى أي نفور أو جدال .. يجب ان تظهر له دائماً  
العطف واللين .. وأن تلاقيه إذا كان خارج البيت بوجه باش  
ضاحك . لأن مشاكل العمل تشوش أفكاره في بعض الأحيان ..  
وإذا لاقته الزوجة بوجه عابس تزيد اموره تعقيداً .. ويصبح  
ميلاً إلى القتال .. لكن إذا لاقته بوجه ضاحك .. وتأهيل .  
وترحيب .. فإنها تدخل السرور الى قلبه .. وتدفن جميع

مشاكله اليومية في أحضان عطفها وحنانها .. لأن الرجل مثل  
الطفل في بعض الأحيان .. إنه يحتاج الى العطف والحنان ،  
أكثر مما يحتاج الى الوفاء والإخلاص والمحبة .

كانت آمال تستمع الى نصائح والدتها وفي خلدتها ثقة  
واطمئنان .. ثم شرود لتندمج مع عفيف بجوده المرح ، وسر  
حالتها يقول .. إنني لك يا حبيبي بكل ما أملك من محبة  
وإخلاص . قلبي . تفكيري . عملي . شعاري . أملي الأبدي  
في هذه الحياة . كلمات موسيقية فعلت بقلبها الكبير فعل  
الخمرة المعتقة ، وقيدته بسلاسل الوفاء حتى الأزل .

وأخرجتها والدتها من شرودها .. وضمتها الى صدرها ..  
ومررت يدها فوق جبينها . وقبلتها .. وغلت آمال بعبها .  
وعرفت من بحر حنانها ما طاب لها .

أمال .. ابنتي ..

قالتها السيدة رفيقة بتؤدة وسكينة .

أنت أساس يبنى على كاهلك الوطن .. يجب أن تكون  
جميع أعمالك محمودة .. ومزاياك حسنة .. يجب أن تقومي  
بجميع واجباتك بتفهم وروية نحو بيتك وزوجك .. في  
علاقتك مع أقاربك ومعارفك .. مع أولادك .. كي تقدمي  
الى الوطن رجال أعمال غايتهم التقدم والازدهار في مضمار  
الرقى والعمران .



إن المرأة التي تجهل ما عليها من واجبات ومسؤوليات ..  
المستهترة بتربية أطفالها .. التي تتشاجر دائماً مع زوجها ..  
تحل عليها اللعنة .. يقال عنها ليتها لم تولد .. لأنها تكون قد  
قدمت الى الوطن رجالاً مخنثين .. زرعت في نفوسهم بذور  
الشر والفساد منذ نعومة أظفارهم .. عالة على المجتمع ..  
يهدمون بأعمالهم المنحرفة كل ما بنته أيادي أجدادهم الصالحين ..  
يخرجون قملة .. سفاكين .. يشير اليهم الناس بالأصابع  
ويقولون ..

هؤلاء اولاد تلك المستهترة . اولاد تلك الجرثومة القذرة .  
ابتعدوا عنهم .

تابعت أمال بقية الحديث ، وقلبي يرقص طرباً .. ها  
حلمها قد تحقق .. وفازت أحلامها سيطلب يدها ..  
وردت على والدتها بثقة وروية .. كأن هذا الأمر لا  
يعنيها ..

امي .. أبي .. لقد رعيتماني الى أن أصبحت شابة ..  
وزودتماني زاد بركة ووفاء وزرعتما في نفسي بذور أعمالكم  
الصالحة .. انكما مدرسة الحياة وقد لقتناني درساً لن أنساه  
ما حيت ..

علمتاني التضحية والتسامح .. ودربتاني على الوفاء  
والاخلاص ..

.. أنتما مثال الزوجين التي خلقت الحياة لهما كي يعيشا بها

عيشة هائلة .. سعيدة .. تظللها سحابة الرفاه والطمأنينة ..  
لا عليكما اني سأسير على طريق رسمتها يد القدر بألوان  
عصارة نفسيكما الطاهرتين ..

وأجايتها والدتها .

حسناً ما قلت يا بني . . انك وأخاك وديعتنا  
في هذه الحياة . . . ليمارككما الله ويهديكما سواء  
السميل ..



## خطبة أمال

أمال .. إنني أسمع قرعاً على الباب .. لعل وسام  
قد أتى .

وأنا قد سمعت أيضاً .

انهضي يا أمال .. وانظري من الطارق . ونهضت أمال  
وفتحت الباب .

أهلاً عمي جميل .. لقد شرفت الدار بقدمك .. أهلاً  
خالتي ام عفيف .. تفضلوا ..

اهلاً بك يا بنيتي .. مساء الخير .. هل والدك هنا ؟  
نعم تفضل ..

من ؟ .. ابو عفيف .. اهلا وسهلا .. شرفتموا .

ووقف ابو وسام .. وأخذ السيد جميل بالأحضان ..  
وأجلسه على جلد وثير قرب النار .. ودخلت ام عفيف ..  
واستقبلتهما السيدة رفقة بالترحاب .. وكان لوم .. وكان  
عتاب ..

لماذا طولتي غيبتك علينا يا ام عفيف ؟

وتنحنت السيدة سامية .. وأجابت ..

حقاً لقد طالت غيبتنا .. لكنكم دائماً بالفكر ..

وعلى قول المثل « ان للظروف أحكام ) واليوم أيام ربيع ..  
وأنت أدرى بكثرة العمل .

اف من العمل يا اختاه .. ان العمر ينتهي والشغل لا  
ينتهي .

مثالها قلت .. اف من هذا العمر .. ركض وكد .. وخبزنا  
كفأة يومنا .. لكن ما العمل .. خلقنا لنشغل .. ان عفيفاً  
لا يستطيع الوقوف على قدميه .. ركض وركض .. من  
الصبح حتى المساء .. رش ، وتقليم .. وفلاحة ..

إن المسطرة عندنا ... هكذا حالة وسام .. بالأمس  
تجادلت معه طويلاً .. وقلت له اشفق على نفسك .. إنك  
ستمرض .. ولكن من تكلمين .. إن غرامه بالأرض والعمل  
أقوى من غرام قيس بليلى .

يا ليمته يتزوج .

يتزوج .. آه .. وألف آه .. عندما فاتحناه بهذا الموضوع  
أوجد لنا ألف عذر وعذر .. العمل الأرض .. البساتين ..  
الكروم ..

وابتسمت ام عفيف .. وأرادت أن تنطق .. ووقفت  
الكلمة بين شفقتها .. وجاوبت نفسها .

لا .. لم يحن الوقت .. فالأدع أبا عفيف يفاتحهم  
بالأمر .

واتجهت نحو زوجها .. وتنحنحت .. ولم ينتبه لها  
أول الأمر لأنه كان منهمكاً مع أبي وسام بحديث متنوع ..



وأعدت الكرة .. واتجه نحوها .. وكانت عيناها تقولان  
له .. تكلم .. ورد عليها بنفس طريقتها .. رويدك .. لم  
العجلة ؟

ودخل وسام بوجهه الباش .. ووضع ما كان يحمله على  
طاولة صغيرة كانت بقربه .. وسلم على أبي عفيف واقترب من  
السيدة سامية .. وأراد أن يقبل يدها .. ومانعته .. وقبلته  
في جبينه .. وتأهل بهما .

وأفصح له السيد جميل مكاناً قرب النار .

تعال يا وسام .. اجلس بقربي .. لعلك بردان .

لا .. إن الطقس دافئ ..

حقاً .. ان المثل يقول ( برد الكوانين تلقاه ، وبرد

التشارين توقاه ) .

وأيضاً انت شاب .. والشاب لا يبرد .. يا حسرتي علينا

أنا ووالدك ..

البركة فيك يا عمي جميل .. الله يباركك بالذهب

العتيق .

جبر الخواطر على الله يا ولدي .

ولوح بيده .

إن الذي مضى قد مضى .. الدنيا لكم أنتم .. الشباب .

كان عقد الحضور مكتملاً ، لا ينقصه سوى حبة

واحدة ..

وكانت تلك الحبة الأبنة المدللة .. عروس المستقبل .

انها الآن في المربع الآخر ، تعيش فرحتها التي ترقبت  
حلولها بأناة وصبر .. دقائق رافقتها والحياء والخوف  
يغمرانها ..

حياء من حب يعيش في قلبها .. وخوف من أمل ترقبته  
منذ سنين خلت .. وكان في خلدتها تساؤل .. لِمَ الرهبة؟ ..  
لِمَ الخوف والحياء ؟ تشجعي يا أمال .. إنك من السعادة على  
قاب قوسين ..

ورجعت الى نفسها .. وتذكرت رفيقاتها اللواتي خطبن  
قبلها .. وتساءلت ثانية ألم يتصنعن الخوف والحياء  
تصنعاً؟ ..

وكان جواب ..

بلى ..

وأرادت أن تظهر بمظهر الشجاعة .. وأن تخلق من  
ضعفها قوة .. لكن بقي الخوف قابضاً على فؤادها ..  
واعترضه عصراً .. كأن المجهول أراد أن لا تكتمل فرحتها ..  
فحرك في عقلها الباطن اموراً خفية لا يعلم نتائجها إلا الله .  
وحوّل سعادتها الى حزن دفين لا تعلم مصدره .. وبدأت  
تتلمى بأمور جانبية لتموه عن افكارها .. وكانت  
احداث تدور حول موضوع خطبتها .. ألم تقل لها والدتها  
لا تظهرى أمام خاطبيك ، قبل أن نناديك مثنى وثلاث ..  
وذلك لتزيدي في نظرهم إجلالاً وإكباراً؟ ..

ومهى .. ابنة جيرانهم كيف لاكت تصرفاتها الألسن



وقت خطبتها .. لم تأبه للحضور .. طق عرق الحياء في  
عينها .. لم تصدق بانها ستجد عريساً .

وكان انفراد العروس ساعة خطبتها عادة سارية في جميع  
القرى ، والويل للتي تحيد عن الناموس قيد انملة .

تفاعلت الافكار في رأسها الصغير .. واندجت مع عاطفة  
جياشة ومع سعادة فائقة .. وظهرت على محياها حمرة مزهورة  
مشبعة بنقاوة شفافه .. وبدت كماسة وهاجة يعرف ما بداخلها  
بمجرد النظر اليها ..

تنحنح ابو عفيف واستوى في جلسته .. وعدل ذربيش الترجيلة  
في يده .. وحوحى .. وقرب اليد الأخرى من الموقد ..  
واتجه بنظره نحو السيد نديم .. وقال .

أخي . أبا وسام . نحن اقرباء . وجيران . والجار موسى  
بالجار مثلما تعلم .

خير انشاء الله ؟ .. كلنا تحت تصرفك يا ابا عفيف .

لا شيء إلا الخير .. هناك أمر ما اريد أن اطلمعك عليه ..  
لكن خوفي من الخذلان يمنعني عن ذلك .

لا .. لا سمح الله ان نخذلك .. أرواحنا في متناول  
يديك ..

لا .. لم تصل الحالة بيننا الى هذا الحد .. لكننا نريد أن  
نقوي أواصر القربى بيننا .. عن طريق .. وسكت .

تجاهل السيد نديم ما يرمي إليه ابو عفيف ، مع علمه بما

يريد مسبقاً واجاب .

وضح .. قل .. ماذا تريد ؟..

صمت ابو عفيف قليلاً ، ليستشف ما بضمير محدثه ..

واردف .

ان ولدنا عفيف معجب بابنتكم آمال .. ويريد التقرب

منكم .. ونحن اتينا لناخذ رأيكم في الموضوع .

بعد تفكير وجيز أيضاً اجاب السيد نديم .

الله يقدم الذي فيه الخير .. والنصيب فوق الجميع ..

إذا ..

وسكت ليركز افكاره ، كي لا يأتي رده مشوشاً ،

وتكلمت ام عفيف .

يا اخي .. ان كلمة « اذا » لا توضح الأمر .. افنا نريد أن

نعلم .. نعم او لا .. اليس كذلك يا ام وسام .

ان شاء الله خير .. وهو يعلم ما في القلوب .

وتكلم السيد جميل .

افنا نبغي همتك يا أم وسام .

وتكلم السيد نديم .

لا تستعجل الأمر يا ابا عفيف .. دع لنا بعض الوقت ،

لنشاور آمال ونأخذ رأيها في الموضوع .

حسناً .. مثلما تريدون .

وتكلمت السيدة سامية ..



اننا ننشد همتك يا ام وسام .. ورأي الأبنة من رأي  
والدها ..

عفيف ابنك وأمال ابنتك .. والذي تقولينه انت مقدس .  
مثما يريد الله يا اخي .. ومثما قال شقيقك ابو وسام ..  
النصيب فوق الجميع .

## كنيسة القديس جاورجيوس

ان كنيسة القديس جاورجيوس تربض على اكتاف حي آل علم ، قديمة العهد ، بنيت سنة ١٧٨٦ م . من الحجر الصم الرمادي اللون ، تتخللها احجار رملية بنية . منها ما هو فاتح ، ومنها ما هو غامق . تقوم في وسطها قاعدة الجرس الخالية من الزخرفة . . ثم القبة التي ترتكز على اربعة اعمدة . . احجار واجهتها الامامية حفرت بها ثلاثة ضلوع في الوسط ، واثنان نصفيان كل نصف من جهة . وبرصفاها فوق بعضها شكلت اربعة اعمدة صغيرة في عامود كبير .

والقبة ذات قنطرة واحدة من الشمال والجنوب . أما من الشرق والغرب فقنطرتين صغيرتين ترتكز عليها قاعدة الجرس النحاسي الكبير . ثم قنطرتان صغيرتان فوقها أيضاً ثم صيلب من الحجر .

وشرقي قاعدة القبة فتحت نافذة كبيرة ، وأخرى شرقيها تبندىء حيث تنتهي الاولى . . صغيرة . . وللاثنان حاجز شبكي من الحديد . . خارجي . . وغربي القاعدة بابان . . فوق الباب الذي يليها مباشرة بلاطة رخامية ، حفر عليها تاريخ بناء الكنيسة مع بيتين من الشعر .



سنة ١٧٨٦ م .

أجدادنا قد أسسوا وبنوا على أقوى الأساس  
أثراً يؤرخ ذكرهم وله الشفيح جاورجيوس  
وفوق الباب الآخر يوجد بلاطة رخامية أيضاً ، أرخ  
عليها تاريخ تجديد بناء الكنيسة .

سنة ١٩٠٥

فنا بتحديد البناء بنعمة الروح القدس  
أرخ فلخير رجالنا بشفيحه جاورجيوس  
أما الساحة ، فتشكل نصف دائرة . القسم المتصل بالكنيسة  
منها ما هو مبلط ، ومرتفع قليلاً عن الأرض ذو درجتين ،  
والقسم الآخر ترابي معشوشب في وسطه شجرة جوز كبيرة . .  
قديمة العهد كقدم الكنيسة . تقابلها من الجهة الغربية قبل  
نهاية الساحة شجرة صنوبر سامقة لا تقل عنها قدماً . . تحتاج  
لأذرع اثنين من الرجال لاحاطة جذعها . والقرب منها  
شجرة بلوط وارفة الظلال . . أحدث من الاثنين عهداً . .  
وشرقي شجرة الجوز ، في نهاية الساحة ، شجرتا اكاسيا ،  
احدهما كبيرة جداً والأخرى صغيرة . ويظلل دائرة  
الساحة الخارجية التي تنتهي بحائط يعلو عن الأرض متران  
تقريباً عدة أشجار من الاكاسيا والجوز والسنديان . وفي قلب  
الحائط ، أقيمت مذافن ذوي العائلات الذين بنوا الكنيسة .

## فرع الجرس والقبعة

في صباح عيد الفصح المجيد أفاقت بسكنتنا على قرع الأجراس تتجاوب في أرجائها وهي البلدة التي أشتهرت بكنائسها الاثني عشرة المنشورة في أحيائها كما الحواس في جسد الانسان . نعم ان الحواس تساعد على ديمومة الحياة . اما الكنائس وبيوت الله فتساعده على ديمومة الأيمان والاقتراب من الله . بواسطة الصلاة .

أفاقت البلدة الوادعة وفي قلبها وقلب أهلها فرحة حدثين سعيدين .. فرحة فصح مخلص العالم ، وفرحة خطبة عفيف وأمال ، ابنائها الأبرار .. أملها في المستقبل .

والتقت الجموع في كنيسة القديس جاورجيوس ، لتقدم الى الله صلواتها ودعائها بواسطة ابنه الحبيب . وبعد الاحتفال بصلاة العيد تفرقوا في الساحة الخارجية . وتحلقوا زرافات ووحداناً ليقضوا فترة هائلة .. هي أسعد فترة في حياتهم . هنا جمهرة من الشباب النشيط تجمعوا حول قبة الجرس .. وتقدم أحدهم .. وأخذ الحبل بكلتا يديه .. وقرع الجرس بهمة وحيوية حتى جاوبت اصداؤه جوانب الوادي السحيق .. وتقدم بعده آخر وآخر .. وكل يبدي براعته بالتلاعب بالحبل ..



هذا يضعه تحت فخذيه .. وذاك على زنده .. والآخر باليد  
الواحدة .. لكن ذاك المبتدئ كان أشدهم .. وكان معلمهم ..  
نعم انه أشدهم .. ولا غرو في ذلك .. انه عفيف تامر ، صاحب  
الصيت المشهور بدق الجرس . أمس في الماضي القريب ، دعاهم  
شباب القرية المجاورة للاحتفال بزفاف محول عبدو .. وكانت  
الغاية من تلك الدعوة تعجيز واختبار قوة الشباب الضيوف .  
وعمدوا الى زيادة وزن الجرس . ووضعوا قليلاً من الرمل في  
أصواص القبة .. وبللوا رباط الضرابة بالماء .. وكان رائدهم  
أن يضعوا ضيوفهم تجاه الأمر الواقع فلا يستطيع أحدهم قرع  
الجرس وتربيعة .. فتكون الغلبة لهم .. لأن نايف شديد  
وجميل كرم قد تمرنا على قرعه في مثل هذه الحالات .

لكن عفيف تامر خيب أمالهم ، ورفع أسم بلدته عالياً ..  
لأنه حطم جميع العراقيل التي وضعوها دونه . وقرع الجرس  
بقوة ضاهى بها جميع من حضر ذاك الحفل .

وها هو الآن يتقدم ثانية نحو الحلبة ، وقد تعالت الأصوات  
من حوله . أفسحوا الطريق للبطل .. أفسحوا الطريق أمام  
ملك الجرس .

وتقدم عفيف .. ومسك الحبل بيده ، وابتسامه الظفر  
تعلو ثغره .. وابتدأ بتقديم الأعيان البهلوانية .. تارة يأخذ  
الحبل بيده الواحدة ، وينقله الى الأخرى بحركة سريعة تفوق  
الوصف . وطوراً يدير ظهره الى الحائط .. ويواجه الجماهير  
بوجهه الباش .. كل ذلك والجرس يقرع بقوة متناهية .

كان عفيف بالأمس يعرض لأعبيه ، لينال اعجاب الفاتنات  
المنتشرات هنا وهناك اما الآن .. فهو وألعيه .. وكل ما  
يملك لفاتنة له . ومحط رحاله .. خطيبته أمال جابر . كان  
عفيف بالأمس أمل ورجاء .. كان بغية وقصداً .. كان فتى  
أحلام جميع فتيات القرية . لأنه حاو على جميع الصفات  
التي ترجيها الصبايا .

فمن رجولة عارمة .. الى وسامة فاتنة .. الى حديث  
طلي يخوله الرتوع في قلوب الحسان عن جدارة واستحقاق .  
وها اثنتان من ضحاياه يحرقن الأرم وقد مزقت اللوعة  
قلبيهما آه .. آه يا ليلي .. آه من حظي العاثر .. أنا فتاة  
شقية .. فتاة تعيسة .. في الماضي كنت أنام وفي خلدي  
أمل وفي نفسي رجاء .. وأفقت اليوم لأرى جميع أحلامي  
وقد تبخرت مع الهواء .. كنت أعيش لحبيبي وفتى أحلامي  
عفيف .. انني أحبه .. أعبده .. وأثبت لك أن حبه لن  
يبرح فؤادي ما حييت .

هوني عليك الأمر يا أختاه .. لما هذا اليأس ؟ .. انني  
مثلك أحبه .. وحبه متغلغل في كياني .. مالك روحي ..  
وطيفه يلزمني ملازمة الظل .. لقد بنيت عليه صرح أمالي  
ومستقبلي .. لكن هرب العصفور من القفص ، وما في اليد  
حملة . المثل العامي يقول ( فاتك تران استبشر بخيو ) .  
ويوجد كثيرون من الشباب أمثاله .. ولا يقولون عنه جمالاً  
وجاذبية .



نعم يوجد كثيرون من الشباب النشيط الجميل .. لكن  
ليسوا كلهم عفيف .. آه .. يا لطفتي عليه ..  
نهى .. نهى .. انطري الى تلك المجموعة من الناس  
هناك .

أين ؟

واتجهت ببصرها نحو الجهة التي أشارت إليها ليلى .  
في ظلال الصنوبرة الكبيرة .. أليس كذلك ؟

نعم .. لما هذا التجمع يا ترى ؟

لست أدري .

ما هو رأيك ؟ .. أيقيمون الجرن ؟

لا أعلم .

تعالى للنظر .

اننى لا أحب الازدحام .

تعالى .. ماذا سنخسر ؟ ..

وقادتها بيدها .. وتقدمتا نحو شجرة البلوط الكبيرة .  
واسندتا ظهريهما إليها .. ومر أمامهما فتى أسمر قوي العضل  
مفتول الساعد .. ورمى عليهما التحية .

السلام عليكما .

وعليك السلام .. الى أين ؟

الى الحلبة .. كي أجرب حظي مع هذا الجرن العنيد .  
اننا نراك متوهماً .. فهل ستبيّض وجهنا اليوم ؟ اتم

آل عواد مشهود لكم برفع الأثقال .  
مثلاً يريد الله . صلياً لأجلي . . ان صلاتكن تورث  
التوفيق .

حسناً . . سنصلي . . شد حيلك .  
ما هو رأيك يا ليلي . . أيستطيع رفعه يا ترى .  
لست أدري .  
انه جرن ثقيل كما أرى . . ولم يقو احد على رفعه حتى  
الآن .

تقدمي . . تقدمي لنشاهد جميل وقوته .  
دعيني هنا . . قلت لك لا احب الازدحام .  
انني سأتقدم . . إذا احببت ابقني هنا وحيدة .  
حسناً . . سأتقدم .  
وبزطمت .

لا تزعلي . . ان الفرجة عن قريب افضل من هنا .  
ماذا يا ليلي . . هل صليتي لجميل مثلاً وعدناه .  
وضحكت ليلى دون ان تجاوب .  
انظري . . انظري . . الظاهر صلاتنا ستنتفعه .

واتلعت نهى جيدها من فوق الجموع المحتشدة . . وتعلقت  
جميع الأبصار والقلوب بجميل عواد . . وشدت معه الى  
أعلى . . وانطلقت الحناجر تشجعه ان تابع . . وتقدمت  
ليلي . . ووضعت رأسها على كتف نهى لأنها كانت اقصر  
منها . . وكان رأس أحد المشاهدين يضايقها . . وطلبت منه



برقة وأدب ان يحيد قليلاً ..

• وأزاح رأسه تلقائياً دون ان ينظر نحو مصدر الصوت •  
لأن جميل عواد كان في عراك مستميت مع الجلمود .. انه  
فوق كتفه وزنده الاسمر التي لوحته شمس صنين تنتفخ عضلاته  
تحت وطأة الجرن الاصم .. وتضخمت عروقها .. انه  
يجاهد .. نعم انه يجاهد لأن له حزيه ومؤيدوه • ويجب  
أن يرفع رؤوسهم عالياً .. وخصوصاً نهى وليلى • وصلاتها ..  
انه •

لكن .. ها الحظ يخونه .. ويده ترضخ لسلطان الثقل ..  
وتلتوي .. والجرن يقع على الارض .. وهو يرتد الى الوراء  
خائباً ممتقع الوجه .. و ..

وتقدم بعده آخر .. وآخر .. ولم يكونوا أسعد منه  
حظاً .. واصابهم ما اصابه من خيبة وفشل .. وارتدت  
الفتاتان الى الوراء .. الى مكانيهما تحت السنديانة .. وضحكت  
ليلي وقالت ..

صلاتك لم تنفع يا نهى .. الظاهر انك لم تصلي من كل  
قلبك • وضحكت نهى •

ان صلاتي كصلاتك تماماً .. فكيف تريدونها ان تنفع ؟  
واشرأبت الأعناق .. وصعد هتاف شق عنان السماء

يعيش البطل .. يعيش وسام جابر •

من ؟ وسام ؟ تعالي لننظر •

وكان وسام قد رفع الجرن ، وأعادته الى الارض ..

ورفعه واعاده .. وكرر ذلك مراراً .

وكان لغط .. وكان همس .

اسم الله .. اسم الله .. الله يحرسه من العين .. الله يبقيه  
لوالدته .

وصاحت اصوات اخرى . بعد يا وسام .. بعد .

واعاد وسام الكرة .. ورفع الجرن الى كتفه .. وبدفعة  
قوية من زنده الحديدى ، صلب الجرن ومشى به في الحلقة  
المضروبة من حوله .. وبشائر الفوز تغمر وجهه الوردى ..  
وقطرات من العرق اللؤلئى تتدحرج فوق جبينه .. وخفقة  
قلوب الحسان .. وسجدت في محراب القوة والشباب ..  
وكانت قلوب أخرى تذوب غيرة وحسداً .. لكن ليس في  
اليد حيلة .. انها القوه .. هذه عطية الله .

ورددت نهى في سرها .

هذه عطية الله .

ونادت رفيقتها ..

تعالى نسير بعض الوقت في الغابة .

لماذا ؟ هل اصابتك العميقة ؟

لست ادري . اني متعبة .

كان الجو خيالياً والنسيم يداعب رؤوس الأشجار ،

ويتلاعب بصفائر ليلي الذهبية الظاهرة من تحت وريبتها

الوردية ذات الخرج الحرزى الملون . وينشر غرتها فوق جبينها

الأبيض الوضاء . فيزيده فتنة وإغراء .



وعلى صخرة رملية صفراء .. تحت ظلال الصنوبر جلستنا  
الصديقتان تتجاذبان اطراف الحديث .. وكانت نهى في  
شروود دائم ، ترد على أسئلة ليلى دون روية ودون ان تلتفت  
نحوها وهذا ما أثار حفيظة ليلى عليها .. وفاجأتها بسؤال  
هز اعصابها دون قصد منها .

ماذا يا نهى؟ .. انه وسام .. أليس كذلك ؟

وضحكت ضحكة رقيقة ذات مغزى .

وانتفضت نهى وكأنها ضبطت مجرم مشهود .

وسام .. وسام .. لا .. لكنني افكر به .

ب .. ب .. بماذا ؟ لا تكذبي على نفسك .. انا

صاحبتك .. وقلبي مفتوح لكل ما تقولين وكلنا في الهوى

سوى .

لا .. ليس كما تفكرين .

وهل أنا غبية لأصدق ادعائك ؟

هذا ليس ادعاء .. انها الحقيقة

الحقيقة انك تحبينه .

ليلى ..

اعطني ما في قلبك .. اننا شقيقتان .

ليلى .. عندك حق .. لقد سحرني بوسامته وقوة عضله .

فهل كنا عميان ولم نشاهد هذا الجمال . هذه القوة .. وهذه

الجادبية ؟ لا لم نكن عميان يا نهى .. ان الجمال لا يخفى على

العين الناقدة .. لكن قلبك كان مشغولاً بغيره .

صحيح .. كان كل تفكيري محصوراً بضعيف .. لكن  
الآن لست أدري ..

ان «الست ادري» ابقى لك .. لان وسام قد وضع حصانة  
على نفسه .. وحالف على الأ يفتح حصن قلبه لبنات حواء ما  
بقي على قيد الحياة .

لماذا يا تري

واخذت نفساً طويلاً .

لم هذه الحصانة ؟ اليس لانك ؟

وغمزت بعينها محزنة .

وكانت ليلى سريعة الخاطر .. واجابتها .

لا تطني انني اريد ابعادك عنه من أجلي .. انني جاوبتك

جواب من جربت حظها معه وفشلت .. وذلك قبل ان اعلق

بج عفيف .

انك تعقدين الأمور كثيراً .. لماذا ؟ أو ليس بانسان ؟

أليس له قلب ؟

ان هذا ما أردت اكتشافه .. ولم استطع .. لكن على

وجه التقدير قد تحالف مع الطبيعة .

تحالف مع الطبيعة !! وعلى أي وجه ؟

لا تتعجبي .. اعني انه قد وهبها وقته وتفكيره .. فهل

شاهدته ولو لمرة واحدة في سهرة أو أي عرس ؟ .. من البيت

لللكرم .. ومن الكرم للبهستان .. هذه هي حياته .

الهدى الدرجه يجب العمل ؟



نعم .. لهذه الدرجة وأكثر .. انه يعبد الأرض .. يحبها  
على قدر ما يجب نفسه وازود .. واستطيع ان اثبت لك  
بأنه الآن لم تستطع اية فتاة أن تدخل محراب قلبه .  
لست أدري .. انهضي لنذهب .. ان الدنيا سوداء في

وجهي .

بدك تطولي بالك .

قالتها ليلى بسخرية مبطنة .

## مفاتيح الخطوبة

ملأت الافراح دار السيد نديم جابر ، وخيم السرور على جميع افراد الاسرة .. وتعداهم الى الجيران والاقارب حتى شمل القرية بأكملها . وقد بدأت الوفود تتقاطر من جميع الاحياء للمشاركة بالفرح والابتهاج .  
وضاق المربعان المعدان للاستقبال على رحبهما بالوافدين والزوار .

وخرجت جمهرة من الشباب والفتيات .. وتفرقن هنا وهناك على السطح الممتد أمام المنزل .. وفي الفسحة الواسعة تحت شجرة السنديان الهرمة .. وكان هرج .. وكان مرج .. وتعالق الاصوات افرحوا ايها الشبان .. دقوا .. ارقصوا .  
غنوا .. اليوم ولا كل يوم ..

تفضل يا نخول .. ليس لنا سوي همتهك .. اين المجوز ؟  
ماذا ؟ الا يوجد غير المجوز ؟ أين العتابة ؟ أين أبو الزلف ؟  
أين دلعونا ؟ والغزيريل ؟  
كفاك دلالا .. ان الفرحة بدون المجوز كالعرس بلا عريس ..  
انك عفريته يا نهى .. في كل عرس لك قرص .  
وتعالق الاصوات ثانية .



تفضل يا مخول .

على رسكلن هيا .

وعدل المجوز في يسه . . ونفخ في القصب لحناً راقصاً  
طروباً ، صب في نفوس الحاضرين نغماً شجياً واسكرهم من  
غير راح .

وعلى ايقاع انغام الشاعر كان صوت عدلا علم يردد .

على دلعونا على دلعونا — بخطبة آمال دبكوا يا عيوننا .

وعقدت الخناصر . . وتشابكت الاكف . . وتميلت قدود

الاشبال والحسان مع الانغام والالخان . . وترنحت قلوب الشبان

مع الحضور وبلغت روعة الدبكة ذروتها . . والحماس أشده . .

وكان نمر فرح لولب الدبكة وقائدها . . يوقع حركات قدميه

على انغام المجوز . ويتمايل ذات اليمين وذات اليسار . . وزناره

الأسود المقصب ، بشراربيه الحريريه الطويلة ، يلوح مع مؤخرة

سرواله الفضفاض . ولبادته الغبراء الهرمية الشكل تميل مع

كوفيته البيضاء . . وبيده منديل أحد الحسان يلوح به في

الفضاء .

يللا يا عدلا . . يللا . . على دلعونا . .

القد بح صوتي يا نمر . . ردد معي . . يللا . . على غزبل .

وصاح نمر . .

يا غزبل يا بو العيبا . . يا هاوي يا معزيبا .

وردد معه الدابكون . .

يا هاوي يا معازيبا .

وشعرت نهى بضيق شل ارادتها . وهمست في اذن ليلى ..  
اذني تعباً .. لست أدري ما حل بي .  
واجابتها ليلى ..  
انت دائماً لا تعرفي ما يحل بك .  
وغمزتها بعينها مع ابتسامة مغناج .  
ان وسام ليس هنا .. اليس كذلك ؟ لقد علقت على  
شركه .

الآن ليس وقت هزار .. تعالي لنذهب .  
الى اين ؟ ان وسام في الداخل .. وهو منهمك في ترتيب  
طاولة العرق .. وقد اتيت من هناك منذ هنيهة .. اتودين  
الذهاب اليه ؟  
لا ..

الى اين ستذهبين الآن ؟  
الى البيت .

في هذا الوقت الباكر ؟ لا انسا في اول السهرة .. ويجب  
ان نساعد أم وسام في دق الكبة .. اليست آمال صديقتك ؟  
واحتارت نهى .. انها احبت الذهاب لانها لم تستطع الانفراد  
بوسام . وها هي فرصتها قد سنحت .. وعليها أن تغتنمها  
وردت في سرها ..

يارب .. يارب لماذا وجدت لي قلباً شاعرياً حساساً يذوب  
في الغرام .. وعيناً ناقدة تحب الجمال . ومررت يدها فوق  
جبينها .. وردت .



آه .. انني لا أدري .

وسحبته ليلي من يدها .. وولجتها الى المطبخ مع زغردة  
الأمهات ، ولغظ الحاضرين .. وشاهدتها أم وسام .. واستقبلتها  
بالتأهل والترحاب .

اهلاً ليلي اهلاً نهى .. على قبال خطبتكما يا روجي .  
تقبل عليك السعادي .. على قبال خطبة وسام .. الله يتسم  
افراحكم بالخير .

قالتها نهى وسر حالها يقول :

وعلى قبالي معه يا رب .

وأجابت السيدة رفته :

الله يبقي لك اخوتك يا ابنتي .. ان آمال شقيقتكن ..  
وفرحتها فرحتكن .

وكاد قلب ليلي يصرخ نقمة ..

لقد حطمتنا .

لكنها ضمدت جرحها بحرقه نفسها ولوعتها .. وقالت ان  
أمال جوهره نادرة .. وعفيف أيضاً .. الله يوفقها واردفنت :

بأي شيء نستطيع أن نساعدك يا خالتي .

الله يسعدك يا عيني .. ويقدرني على الخدمة في فرحكما ..

أننا قد أشرفنا على نهاية عملنا .

لا .. لا يجرز . يجب ان نخدم في فرح آمال . أين الجرار

لنذهب ونملأها من العين .

الله يكثر من المحبين أمثالكما .. عبلة وزيني ومريم زهبن

الآن ولست أدري من بصحبتهن أيضاً . انهن الان على  
العين .. و ..

وبينا هن في الحديث ، دخل عليهن وسام .. وخلق قلب  
نهى .. وعلا الاحمرار وجنتيها .. وارتكبت .. وقالت  
بتلجج .. على قبال فرحتك يا وسام متى ستقدم على هذه  
المهمة ؟ .. وتدخلت ليلى قبل أن تترك له مجالاً للرد ..  
وزلغمت .. واستمع اليها باذن صاغية .. وقلبه يرقص طرباً ..  
وجبينه الوضاء يشع نوراً .. واقترب منها .. وامسك يدها  
بكلتا يديه .. وشد عليها بجرارة .. وقال :  
الله يكون بعون الاعمى القلب الذي سيعلق في شركك ..  
انك ستضيعين عقله .

وابتسمت ليلى .. ومع بسمتها خرج الكلام من فمها دلغاً  
وإغراء .

لماذا يا وسام ؟ الهذه الدرجة انا اخوِّف ؟  
وعضت الغيرة قلب نهى .. وظهرت على حياها تجهماً  
وعبوساً .. وقالت في سرها :  
انها تزهدني بوسام لأجل غايتها .. لكن هذا الأمر لن  
يحدث وانا على قيد الحياة . انني .. ؟  
وكان وسام كريماً معها أيضاً حيث أتجه نحوها وقال :  
وانت يا نهى ؟ أين اصبحت . ( كل الجمال بتعارك إلا  
جمالك بارك ) .  
أنا ؟ ؟



قالتها بدهشة .. وفقعتها ضحكة رنانة خرجت من اعماق قلبها .. ورمت يدها على كتف وسام دون ان تتكلم .. وكان في عينها نداء افسح من الكلام .. وقررت المهاجمة .. وجبل وسام نداءها أو تجاهله .. لا أحد يدري .. وكلمها :  
نعم أنت .. لقد علمت بأن نحاول يحاورك كثيراً . اليس كذلك ؟

نحول؟؟ لا .. ان هذا افتراء .. انني ..  
انك ماذا؟؟ .. انه شاب جميل .. ونشيط .. ويجبك حباً شديداً حسب التقارير .  
تقارير؟؟ .. وأية تقارير؟ انك تكلمني بالمعميات والأحاجي ..  
ما ذا دهاك ؟ هل ؟  
وفكرت .. لا ..  
وأرادت أن تقول له هل تغار من نحول .. واعتمدت التسوية .. لا .. فالادع هذا الأمر لوقت آخر .  
ماذا دهاك ؟ لم الارتباك ؟  
انا مرتبكة ؟ لا .. لكن .  
لكن ماذا ؟

وانقذتها أم وسام من ورطتها ..  
ما هذا يا وسام ؟ الظاهر أن ليلى ونهى قد سلبتنا عقلك .  
قالتها السيدة رفقه بمزاح وتنكيت .. وسر حالها يقول :  
يا ليبتها تستطيعان تبديل عقله ، عله يفكر بالزواج .  
الدنيا ملأى بالبهجة والخبور يا أماه .. والشاطر هو الذي

يستطيع تحويل جميع افكاره واتجاهاته نحو الفرح وعمل  
الخير .. لأن عمل الخير طريق للسعادة والانشراح .

واتجه نحو ليلى ونهى وكلهما :

هيا معي .. يوجد حفلة رقص بلدى في المربع الآخر ..

هيا لنفرح شبابتنا قليلاً .

تفضل أمامنا .. من أي وقت هذه الزهوة يا وسام ..

انني اعهدك عاقلاً ومثروبياً .

ومن قال لك انني لست عاقلاً ومثروبياً .. لكن التي في

نفسها خلة لا تستطيع تبديلها .. انت من صغرك عفريتة

كبيرة .. كل كلامك عقص وقرص .

اسمعي .. اسمعي يا نهى . انه يقول كل كلامي عقص

وقرص .. هه .. يا لطفي علي .. انا العاقلة .

اتريدين الصدق ؟ وسام معه حق .. معه حق .. أنت

فيك الكفاية .

وأنت معه أيضاً .

انا ؟ لا .. انني لست معه .. لكنني مع الحق .

يسلم فمك يا نهى .. قولي لها انني مع الحق .

الله يقطع الحق الذي تعرفانه .. لكن يجوز ان يكون

بينكما سر ما وتخفيانه علي .

وغمزت بعينها .

يجوز .

وتمهلت بكلامها .. وتمهلت بمشيتها .. لانهن او سكن ان



يصلن الى مكان الرقص . وكلمت وسام .  
انني لا احب الرقص .. سر معنا لنحضر كنزتي من  
البيت .. انني اشعر بلفحة صقيع .  
وردت الغمزة الى ليلى . يجب ان نحكم وضع الشرك .  
لكن وساماً خيب ظنهما .. ودخل بين المجموع الراقصة ..  
وقال :

اسمحا لي الآن .. علي واجبات يجب ان اقوم بها .  
وبقيت السهرة عامرة الى ما بعد انتصاف الليل . والرقص  
والهرج في اوجهما .. وبعد ذلك بدأ النعاس يغزو الاجفان ..  
والوهن يسيطر على الاجساد .. وتفرقت المجموع والفرح يملأ  
قلوبها .. وبدأ التكهن بمستقبل زاهر للخطيبين العزيزين .

## الحب العذري

تحت ظلال سنديانة هرمة ، ماشت الزمن وعايشته على  
مرور السنين . تعانق قلبان هدهدهما الحب باهازيجه الشجية .  
وكتب على صفحات نفسيهما النقيتان ، اسطورة الهوى الخالد . .  
اسطورة الحب العذري . . اسطورة موادها الاخلاق ، وقلها  
العفة والشهامة . فكانت يجال الفاظها وسحر نغماتها سمفونية  
خالدة وقعتها شفاه الألهة على قيثارة استعارتها من راعي  
القريبة .

وكان يسمع مع ثغاء الحملان المنتشرة بين الروابي الوارفة  
الظلال . ومع تغريد العصافير الكامنة بين افنان الاشجار ،  
اصواتاً شجبة أصلها الأمل الأبدى ، ومنبعها الحب الازلي . .  
اصلها الأمل الذي يتغلغل بين حنايا النفوس البائسة . . ويهديا  
سواء السبيل . . ومبعها الحب . . ذاك الشعور المرهف الذي  
يصهرك في بوتقة العطف والحنان . . فتصبح وكأنك كتلة ملتهمبة  
من الاحاسيس الغامضة التي تملك على النفوس قيادها . . وتسيرها  
حسب ناموسها حتى الازل .

انها اصوات حفظتها السنديانة بين فروعها التي استوفى  
منها الدهر ضريبته كي تهمس بها في آذان العشاق معنى



الاخلاص والوفاء والعفة .

ومع آهات صدر اضناه الشوق ليوم الزفاف، ومع خفقات قلب ضاق ذرعاً بحبه ، كانت تصعد من فم عفيف كلمات حلوة .

أمال .. انني لا أدري لم هذه الدنيا لا تسعني .. انني اشعر وكأنني اكبر من الكون .. وقلبي مغمور بفرح لا يوصف .. انني ..

وسرح بنظره مع القمر الذي يتصلصص عليهما من وراء غصون السنديانة .

انا خائف على حبننا يا حلوتي .. خائف من مجهول يخطفك هني .

وابتسمت آمال .. وقالت :

ولنفترض ان هذا المجهول خطفني .. فماذا ستفعل ياترى؟ ..

قالتها آمال وعيناها تشعان بمعاني التفاني والوفاء .

اعمل به ؟ .. هذا سؤال غريب .. كنت ..

ووقفت الكلمة على شفتيها .

لكن .. لا .. لن أقول لك .. يجب ان تعرفي أنت ماذا

سأفعل .

فكرت آمال برهة وقالت .

حزرت ماذا ستفعل .

حسناً .. ماذا ؟

مثالما عمل غيرك .

وماذا عمل غيري ؟

هه .. هه .. هه .. ما ماذا فعل غيرك ؟ قنع من حبه بالخيبة  
والحرمان .

لا .. هذا كثير .. انا لا اسمح لك بأن تهيني حي بهذا  
الشكل .

وبان العتب الغاضب في عينيه . وملك نفسه كي لا يجرح  
شعور معبودته .. واكمل .

اسحبي كلامك وإلا ..

وشعرت آمال بالجرح .. وفضلت ان يلتقيا في منتصف  
الطريق .. أي لا غالب ولا مغلوب وابتسمت عن عقد لؤلؤي  
نضيد .

وقالت :

وإلا ماذا ؟ اتهددني أيضاً .

وبرطمت على حرد .

وابتسم عفيف .. وقال .

لو ما ابتسامك يسبق كلامك لكنت ...

وانبثق في داخل أمال قبس من نور حب الذات .. يجب

ان تعاكس من تحت .

انها تجرد في معاكسته لذة عفيفة ترضي انوثتها المتسرولة  
بثوب الوداعة المنطوية على ترفع وانانية كجميع بنات جنسها  
.. لكن .



ووقفت لكن حاجزاً بين المعاكسة والاستكانة للجيب  
الواله .. وتراكت في رأسها الاسئلة والافكار المترادفة  
المتناقضة .. ولم ينقذها من ورطتها سوى وقوع نظرها على  
زهرات الاقحوان بين اخواتها شقائق النعمان .. وقطفت  
احداها .. وتلتهت بنزع وريقاتها .. وعمل فكرها .  
اعاكسه .. لا اعاكسه .. اعاكسه .. لا اعاكسه .  
وعندما نزعت الثلثين تقريباً ، توقفت تلقائياً تجاوزياً مع  
عقلها الباطن ، لانها خافت النتيجة .. وغارت على حبها من  
كبريائها .

وكلمها عفيف وكأنه قرأ افكارها .  
اكلمي .. لماذا توقفت .  
ولم يترك لها فرصة لتقرر . اتكلم أم لا وخطف الزهرة  
من يدها .. واكمل ما ابتدأت به .  
احبه .. لا احبه .. احبه .. لا احبه .  
وكانت النتيجة احبه .. وضحك قلبه طرباً .. وخرجت  
فرحته على لسانه لحناً سماوياً .  
أرأيت .. حتى الزهرة أخبرتني عن حبك .  
عفيف .

واخذت نفساً طويلاً لتستجمع شتات افكارها .  
احبك .. نعم احبك .. وحي قطرات ندى سكبتهما  
عيننا الفجر على زهور البرية .  
احبك حب التلال والاشجار والوديان ، لنسمات صنين

الصباحية .

احبك حب النحلة لرحيق الوزال والزنبق والمضعف

والبنفسج .

احبك حب اوفى خطيبة لاجمل خطيب .

الى اين ؟ الى اين أذت ذاهبة ؟ .. وانا احبك ايضاً ..

ابقي لي بعض الكلمات الناعمة بعض الحفقات الملائكية ..

لاستطيع أن اعبر لك عن مكنونات فؤادي .. حقاً انك اطمع

من عرفة .

اتعنتني بالطمع ؟ مثلما يخطر على بالك قل .. لكنني اشكر

ربي على ان طمعي بحبك وليس ببديله .

أمال .. كلما غردت الكلمة على فمك اشعر وكأنني محمول

على اجنحة السعادة .. انني ملك جالس على عرش الكون ..

وقلي عرش آخر انت جالسة عليه .

وفي اثناء الحديث كاذت ايديها متشابكتين على عفة ..

وروحهما متعانقتين على نقاوة ووداد .

عفيف .. املي .. انظر الى اعلى .. الى القمر وهو يغمر

بسكنتنا بنوره الأخاذ . وهي ساجدة في معبد الوفاء ، لتقدم

له آيات الخضوع . انني مثلها يا حبيبي . انت قمر حياتي ،

إذا غبت عنها تأكد بأنها ستغيب معك .. انك جوهرها

يا عفيف .. وإذا فقد الجوهر فأى معنى يبقى للحياة .

أمال .. يا معبودتي الحلوة .. إذا قلت لك بانني احبك

لا استطيع ان اصف ما يخلج في فؤادي من شوق وحنين .



ان حبي موجات عاتية تدفع بعضها بعضاً فوق سطح بحر  
الوجود .. زوابع هوجاء تضرب الاشجار بسوط لاسع ..  
والشجر يولول ، وتتقصف اغصانه من قوة العاصفة .  
ان حبي كتلة شعاع مزروعة في قلب الفضاء . حبي الدنيا  
بأكملها .

حبيبي .. يا حلبي السعيد الذي عشته من اليوم الذي  
تفتحت عيناى على النور .. واصبحت اتفهم معنى الحياة ..  
اننى اشكر الله الذي حقق لي هذا الحلم .. واصبح الخيال  
واقعاً .

والثفت نحو عفيف ، رانية إليه بطرف لاهف كسير ، فيه  
من التعابير والمعاني ما يعجز عن توضيح مدلوها وفجواها  
ابرع الكتاب وادقهم ملاحظة .  
وكان قلبها بدقاته السريعة المتلاحقة يتساءل معها ..  
وخرج تساؤلها على لسانها .

صحيح أنت معي يا عفيف ؟ يا ربي ابقيه لي .  
وقهقه عفيف عالياً .. واردف .  
يا ربي ابقها لي .

سرت في كيانه قوة غريبة .. ورغبة جامحة تدفعه لاحتضان  
الخوف والاستعطاف والجمال والالوهية المتجسدة بأمال .  
ليشعرها بأنه لها بكل جارحة تحقق يجسده .. ليحميها من  
نفسها . من خوفها .. من شكها الذي لا مبرر له .  
وكانت ثمة قوى أخرى تردعه عن ذلك .. الكرامة ..

الرجولة . الشرف . حرمة العفاف .

صراع جبار في شباب متوثب نشيط ، انتصرت فيه  
عادات الاجداد على النزوات الطائشة .. وملك العاشق الحائر  
قياد نفسه واكمل .

ومن سيأخذني منك ؟ .. هل انا ولد صغير لا سرق ؟  
لست أدري .. لست ادري .. كلما شعرت بأنني قريبة  
منك والسعادة تغمرني ، التحيل فتاة اخرى في حياتك ، وانت  
تكلمها نفس الحديث .. وتبثها ذات العواطف التي تقدمها لي .  
عندئذ يقطر قلبي دما .. دما يا حياتي .

وتفجرت اللوعة في قلبها دموعاً انسكبت من مآقيها ..  
وغطت عينيها بكلتا يديها .. واجهشت بالبكاء .. وتمتمت  
شفتاها .. الهي اني خائفة .

أمال .. لم هذه الحركات التي لا مبرر لها ؟ هل انت  
مجنونة ؟

اتظنين انه لو قدمت لي جميلات العالم اجمع ، افضل منهن  
واحدة عليك ؟ لا وحق حبنا .. وحق عينيك .

ومسح قطرات اللؤلؤ المتدحرجة فوق وجنتيها بمنديل  
ابيض مطرز الأطراف ، كانت قد اهدته اياه .. وجاشت في  
صدره عاطفة قوية ، استحالت على لسانه شعراً .

كفكي الدمعات حاجي بكبي  
مكتوب ع جبين القمر قلبي لك



وكل ما بآه قلب النسيم المنجرح  
بمعت رسالي لغند ربي وبشتكي

وانفرجت اسارير أمال .. وقالت :

من أي يوم ابتدأت تنظم شعراً ؟ .

ابتدأت انظم الشعر من اليوم الذي تعرفت فيه على هذه  
الوداعة الكامنة في سحر الفاظك . على هذه الروعة المتألقة  
في بحر عينيك . من الوقت الذي ابتدأ به قلبي يخفق بهواك .  
يا رب .. آه لو تدوم سعادتنا طوال الأيام .. لنجني نتيجة  
سعادتنا .. لكن ..

وسرحت مع البعيد البعيد ، تستشف الغيب عما يجنبه لها  
المجهول .

لكن .. وصمتت ..

لكن ماذا ؟ لماذا هذا التشاؤم يا حياتي .. المست أي  
تبديل في معاملتي لك .. كنت في الماضي عفيفاً الذي سعى  
بكل امكانياته ، ليحصل على اجمل خطيبة في العالم . واليوم  
لا ازال عفيفاً الذي نذر نفسه ليسعد اجمل زوجة في المستقبل .  
رنت كلمة زوجة في أذن أمال ، رنين لحن شجي على وتر  
مبحوح .. وارتعشت أوصالها ورجف فؤادها .. وتلونت  
وجنتها بلون وربتها الوردية .. واصبح منظرها يأخذ بمجامع  
القلوب .. وصدق فيها عفيف طويلاً .. واحتضنها بمقلتيه ..  
وشعر بلذه عارمة تملك عليه كيانه . وكانت في ضميره أشياء

واشياء .. وبانت على محياه كبت وكتمان .. وتورد كمحياها  
تماماً .

وبقيا على هذه الحالة ردها من الزمن .. وسكرا بنشوة  
غير منظورة .. ولم يفيقا على نفسيهما إلا على صوت أم وسام  
وهي تنادي أمال .



## لعبة القمر

مرت الايام ؟ وتينك البرعمان النديان تتشقق اكمامها على  
امل في الحياة ، وسعادة في المستقبل .. لكن القدر الغاشم  
هاله حبها البريء .. وخاف على تقويض اركان مملكته بأيادي  
السعادة والأمل .. وجند جيوشه .. وشحن سلاحه لكسب  
معركة هي في نظره معركة حياة او موت .. وتحالف مع  
الشیطان .. واتفقا على زرع بذور الشر في نفس عفيف ..  
الخطيب الشهم الوفي .. وكان سلاحها في المعركة فتيات من  
المدينة .. جرفهم تيار الحر اللاهب الى الجبل ، بعد ان ملن  
الشاطيء بامواجه ورماله .. وانتشرن في جوانبه يطلبن  
المتعة والراحة . وكنسا كوباء فتاك حل في اجساد سليمة ،  
يسلبها الصحة والعافية .

واصاب كل قرية من تلك القرى الراقدة في احضان  
الشرف شردمة من اقوام ، رائدهم بضعة اشهر يقضونها على  
عنجهمتهم .. وكان نصيب بسكتنا كخواتها .. وامها اقوام  
يختلفون عن سكانها بتفكيرهم .. باعمالهم .. بكل شيء ..  
اقوام كل همهم التسلية ، يبعونها بجميع الوسائل ، المشروعة

منها وغير المشروعة . فالشباب المصطاف يمج حياة القرية  
الوادعة ، لأن حياته في المدينة واسعة الآفاق .. حركة  
وضجيج .. صخب وعريضة .. والفتاة المصطافة ترفض العيش  
في حرية محدودة . لأن حياتها في المدينة تنطلق من حريتها  
المطلقة .. فتكيف اوقاتها حسبما تريد .  
ومع كل هذه الفوارق بين حياة القرية وعادات المدينة ،  
لعب القدر لعبته على حساب ابناء القرية .. وتغيرت طرق  
معيشتهم تغيراً كلياً .. وقلدوا ابناء الدخلاء ، بكل شيء ..  
وشر البلية ما كان منها مقلداً ..

### نداء الطبيعة

مالت الشمس نحو المغرب ، وتخضبت الطبيعة بدماء  
الشفق .. وتبدلت حالة الطقس من حر لاهب الى برودة معتدلة ،  
يخالطها نسيم منعش ، يهمس في آذان ساكني الجبال انشودة  
الطبيعة الحاملة . ويحشهم على الاسراع نحو المنتزهات ، ليطمئعوا  
بسحر ما صنعتها يد الخالق .  
وفعل هذا الهمس فعله في النفوس التواقفة الى الانطلاق ..  
واستجابت لنداء خفي وخرجت من منازلها زاحفة الى الضواحي  
والمنتزهات .. وكل يبغى قتل الوقت على طريقته الخاصة ..



## المردات

المردات بقعة جميلة من الأرض ، تقع في الجانب الشمالي الشرقي من بسكنتنا ، وقد حباها الله جمالاً فريداً وفتنة خلابة . فأول دخولك اليها من جهة البلدة ، تطالعك جوزة هرمة اكل الدهر عليها وشرب . ومن امامها تمتد جلول متفاوتة الاحجام والهندسة . وقد غرست ارضها بأشجار الكرز والتفاح والاجاص وغيرها . وبالقرب من تلك الجلول كروم قديمة من العنب والتين .

وان دلتنا هذه الكروم على شيء فانها تدلنا على عظمة اجدادنا ، وقوة صبرهم على العمل المضني . لأنها تقع في بقعة صخرية ، تتطلب لقبها وإصلاحها ، مجهوداً جباراً نعجز عن القيام به اليوم ، لأننا اعتمدنا على حياة الرفاه والرخاء .

ويتمد بعد ذلك منحدر متشعب الفروع ، صعب المسالك . وفي وسط المنحدر صخرة عاتية ، تشمخ برأسها تهباً لأرتفاعها عن بقية رفيقاتها . فكان من يجلس عليها يرى أمامه مشاهد عجيبة ، تلقي في النفس رهبة وخشوعاً . فمن الأمام وادى الجماجم . وقد احيطت جوانبه بصخور مرتفعة تبدو لناظرها من الاسفل وكأنها معلقة في السحاب . وكانت بشكلها وبستراتيجية موقعها الطبيعي حصاراً لا يؤخذ . لذا اتخذها الملوك الاقدمون ملجأ

يأوون اليه عندما يغلبون على امرهم . وقد بقيت آثار احدهم حتى الآن . وهي كناية عن مغارة كبيرة ، متعددة الغرف ، حفرت في قلب الصخر ، تدعى مغارة سيف الدولة .. نسبة للملك الذي حفرت على عهده .

وعلى بعد قليل في الجانب الآخر من الوادي ، حرش من السنديان والمول ، ينتهي على علو شاهق بمنبسطة خصبة .. حولتها يد الفلاح اللبناي المجتهد النشط الى جنائن للفاكهة ، وحقول للحنطة . وكان يساعد على استعمالها للزراعة مياه عذبة تنفجر ينباعها في سفح جبل الزعرور . ذلك الطود الشامخ الذي غسلت اعلامه بدماء الغروب ، فكانت مثلاً للروعة التي تتجسد بحمال الطبيعة اللبنانية .

وتفرقت تلك الجموع الزاحفة الى اللهو بين صخور المردات ومنعطفاتها ، لتشارك الطيور فرحتها وتغريدها فبدأ ذاك المكان كقطعة من الجنان هبطت من السماء ، لتظهر لأبناء البشر قدرة الخالق وعظمته .

وعلى صخرة كبيرة ، مسطحة ، فيها بعض التواء والنخاريب التي نبتت بينها زهور القلاد والاعشاب جلس سرب من الفتيات تحت ظلال شجرة متفرعة الأغصان . وقد اخذن بروعة المناظر وجلالها . وسكرن بخمرة الوجود اللامتناهي .. وسرحن مع الخيال .. وسر حالهن يمدح ويسبح التواء الكامنة .. وراء الجهور .. المسيرة المسيطرة على مقدرات الغيب .

هذه بطمة ترسل شداغنا بخورياً عابقاً .. وتلك زهرة



تضوع الجو بعطرها الفواح . هنا زهرة تعانق الكليلا من  
شوك .. وهناك اخرى تغفو بين احضان بقعة سنديفة من  
العشب الأخضر . وخرجن من دهولهن على صوت احداهن ،  
وكان فيه رنة من تهكم .

ماذا دهاكن ؟ هل تكبدتن مشاق الطريق ووعورتها  
لتمتعن بجمال المناظر فقط ؟ انني جائعة .. ومعدتي تكاد  
تلتصق بظهري .

ما بالك يا سلمى ؟ اما زلت اكلة كالماضي ؟ لا تفكرين  
إلا بمعدتك ..

ان الوقت معنا .. لم الاستعجال ؟ هل سيهرب الطعام  
يا ترى ؟ . متعي ناظريك يجهال الكون .. عبي من معين  
الطبيعة الصافي .. تغلغي مع السكون العميق علك تسبرين  
أغوار ما وراء المحدود والمعلوم .

دعينا من السفسطات والفلسفة يا امية .. وهبي الى  
الطعام .. ان الفلسفة لا تشبع بطناً جائعاً .  
ورددت امية في سرها .

صدقت .. لانك انت في واد وانا في واد آخر .  
وكانت منبطحه على صدرها ، ساندت رأسها بكفيها ،  
وقدماها ينقران على الصخرة نقرة رتيبة . ونظرها مسمر على  
القمم الشاهقة .. وفكرها وخيالها كانا مع الاديب الكبير  
مخائيل نعيمة ناسك الشخروب ، في خلواته مع الطبيعة ..  
وفي نزوعه الى الهدوء .. في صوفيته .

كانت في الماضي تعائشه في اديه على مقاعد الدراسة ،  
وتنجذب نحو كوخه الصخري بجيالهها .  
كانت تحبه في اديه .. في فلسفته . وتتمنى ان تلمس  
الصخر الذي يجلس عليه .. ان تعيش الجو الذي يساعده على  
صفاء ذهنه .. ان تشاهد مواد مواضعه الخام .. البيدر ..  
البقرة الحلوب .. الفلاح .. الى آخره . قبل ادخالها الى مصنع  
فكره النير ، وصقلها بواسطة قلمه السيال . لتخرج الى العالم  
منائر اهداء تنهل منها الأجيال الصاعدة جيلا فجيلا .  
اما الآن فهي تعيش نفس الجو ، وتتنشق ذات الهواء ..  
وكان في نفسها شوق الى رؤية الناسك والكوخ الصخري عن  
كثب .

وبينما امية ساردة في شرودها كانت سلمى مع رفيقاتها  
يفرغن الطعام من حقائبهن ويمددونه على الطاولة الصخرية .  
وبدأ الاكل وبدأ الهرج والمرج .  
ولاحت من كلير التفاتة نحو التلة الصغيرة القريبة منهم ..  
واسترعى انتباهها شاب يخرج من بين الصخور هنيهة ثم يعود الى  
مكانه الأول .. ثم يخرج ويعود .. وفي كل مرة كان يثير  
فضولها .. وتساءلت ضمنا .  
ماذا يعمل يا ترى ؟ .. ماذا يقصد .. هل يتلصص  
عليهن ... وكلمت سلمى .  
سلمى .. انظري الى تلك التلة الصخرية .. انه سيخرج  
بعد قليل .



ودهشت سلمى .. وسألت كليبر . باستغراب  
من سيخرج ؟.

ذاك الشاب القروي .. ألم تشاهديه ..؟

كلا .. ماذا تريدن منه ؟ .. ما لنا وله .

ودست في فمها قطعة من اللحم المشوي منعتهما عن  
الكلام .

لا شيء .. لا شيء ..

واجتاحتها رغبة جامحة لمعرفة سر الشاب ..

## على التنور

نفضت آمال طرف المقرصة فتجمع دقيق الذرة الصفراء  
أمامها ، قرب اللوح الخشبي الذي ترق عليه العجين . واخذت  
قروصة من لكن نحاسي كبير قريب منها . وكان نظرها يعد  
ما تبقى من قراريص .

اثنتان .. خمسة .. تسعة .. اربعة عشر ، عشرون  
ثلاثون .. وغمست القروصة التي بيدها في كومة الدقيق ،  
ووضعتها على اللوح .. وبدأت ترقها في عصبية ظاهرة .  
استعجلي يا اماء .. لقد اشرفت الشمس على المغيب ، ونحن  
ما زلنا نعمل في هذه الكمية القليلة من العجين .  
ولزقت أم وسام الرغيف في التنور .. ووضعت الكسارة  
فوق ركبته .. وبدأت تهل الرغيف الآخر .

لم العجلة يا بنيقي ؟ .. تهلي علي .. اتظنني مثلك ؟  
ومسحت العرق المتصيب فوق جبينها ، بطرف كمها الممزوج  
بالدقيق .. واختلط مع ذراته .. وترك وجنتيها اللتين بقيتا  
محافظتين على لونها الوردي رغم دخولها في العقد السابع من  
عمرها ، بقعاً مغبرة سمراء .. كان طرف منديلها الأسود  
بشراربه متديلاً فوق جبهتها وخصلات شعرها الأبيض تظهر



من تحته ، حاملة فوقها قساس الحطب وغبار الدقيق .. وكان  
بأدياً على محياها التعب والارهاق .

ونظرت أمال الى والدتها نظرة اشفاق .. وودت من صميم  
قلبها لو تستطيع ان تنهي الحيزة عنها .. لكن ما حيلتها ان  
كانت لم تتعلم هل الرغيب ، ولزقه في التنور .. أو ليس الحق  
على والدتها التي لم تعلمها ؟ .. ان صدى كلماتها سابقاً لا يزال  
يرن في اذنها حتى الآن .

انك في أول عمرك يا بنيقي ستتعلمين في المستقل .. التعب  
والشقاء لن يفوتاك .

وتمهلت السيدة رفقة في عملها عن غير قصيد . لأن الوهن  
قد سيطر على جسدها الهرم .. بدأ يشل حركاتها رويداً  
رويداً .. وكان تمهله يدب في جسد أمال دبيب النمل ..  
ويأكل من اعصابها .

ولملمت الشمس آخر انفاسها عن اعلام التلال كما تلمم العروس  
بقايا حوائجها من بيت ذويها .. وكان القمر يرقب رحيلها من  
على فم صنين ليننا وبها احتضان العشاق اصدقائه الخالصين .  
وغمرت اشعته التنور الترابي القابع تحت التوته الكبيرة .  
وانسلت الى داخله كما انسل السأم الى نفس الخطيبة .. وكادت  
ان تنفوه بما يختلج في قلبها .. لكن الحياء منعها عن ذلك ..  
اما عين الوالدة الساهرة لم تغفل عن حالتها ، لأنها تغفلت  
بثاقب بصيرتها الى سريرة ابنتها الوهية .. واحبت ان تخفف  
عنها بعض ما بها .. وقالت :

انني قد عرفت لما انت مستعجلة .  
 وغمزت بعينها و .. وابتسمت .  
 ونظرت إليها أمال بدهشة مصطنعة .  
 ماذا ؟ خير ان شاء الله ؟  
 وابتسمت أم وسام ثانية .  
 وصرخ قلبها .. نعم عفيف .. انه عفيف .. أليس كذلك .  
 لكن صرخته لم تتعدى نطاق قفصه الصغير .  
 لا .. لكن ..  
 لكن ماذا ؟ ان الوقت لا يزال باكراً .. والموعد بعد  
 ربع ساعة على ما اظن .  
 موعد ماذا يا أمه .. لم تكلميني بالألغاز اليوم .  
 الأم أدرى بحالة ابنتها من نفسها .. أتظنيني لا اعلم بما  
 يحدث في قلبك ؟ ..  
 السنديانة .. والموعد .. وضوء القمر .. وزهرات  
 المضعف . ان جميع هذه الاشياء قد مرت علي قبلك .  
 ورجعت أم وسام بذاكرتها الى يوم كانت بعمر أمال ..  
 يوم خفق فؤادها بالهوى لأول مرة . لذة الحب وحلاوته ..  
 وعذابه .. ايام حرب الاربتعش العصبية التي منعتها عن  
 الاقتران سابقاً بزوجها نديم جابر .. حفاظها على العهود  
 والوداد رغم ما ذاقود من الآلام والحرمان حتى انقضاء  
 الحرب .. التشريد .. الجوع .. مشاهدة الموت مائة مرة في  
 اليوم القصير . فقدان الأمل ثم لقاءها واقترانها المتأخر .  
 وندت عن صدرها آهة مكبوتة ، احتارت أمال في تعليل  
 أسبابها .



## شكوك ... ولقاء

بينما كان عفيف بطريقه للقاء معبودته . كان فكره مشغولاً باستنباط واختلاق الاعذار . لقد تأخر عن الموعد المحدد للقائها ما يقارب النصف ساعة .. وكان يشعر بقرارة نفسه بالخطأ الفادح الذي ارتكبه بحقها .. انه شارك معها بتفكيره آخرين .. انهن قد اخذن من وقته ما هو حق لها انه معذور ان الذي بدر منه كان عن غير قصد .. نعم كان يراقبهن من بعيد .. من مخبأه بين الصخور انه لم يقترب منهن .. ولم يشترك معهن بأي حديث . وفوق كل ذلك كان مشغولاً عنهن بشلته وحساسينه .. ولم يعطينهن من وقته سوى لفتات عبارات .

وقهقه رجل في داخله .

كم انت سخيف يا عفيف ؟ لأي سبب تشغل رأسك بهذه الأفكار الصببانية ؟ ولنفترض انك كلمتهن .. وجالستهن .. فأبي ضير في الأمر .. انك شاب .. الدنيا بأجمعها ملك لك . تكلم .. اضحك .. والعب .. و .

وتكلم رجل آخر .. وكان حديثه مشبوباً .

انظر الى جمالهن .. انهن متحجرات .. بنات مدينة  
مستهترة .. ألم تشاهدن كيف كن جالسات ؟ .. وثيابهن  
القصيرة الضيقة منحسرة الى فوق .. وافخاذهن .. ولحمن  
البض .. ولعق الرجل شفتيه ..

افخاذهن البيضاء والسمراء .. وصدورهن العارية ..  
ونهودهن الممتلئة .. انهن نصف عاريات .

ولعق الرجل شفتيه مرة اخرى .

ما اروع منظرهن .. انه ..

واغمض عفيف عينيه كي يحجب عنها تلك المشاهد المثيرة  
التي لم يتعودها طوال حياته . انه عايش فتيات قرбите ولم ير  
هذه المشاهد ولو مرة واحدة من احداهن . انهن محافظات ..  
ولباسهن واسع وفضفاض يستر اسفل ركبهن .. وفسحات  
صدورهن لا يستطيع تمييزها النظر . انهن غفر وحياء ..  
عفة وآداب .

لكن عين بصيرته بقيت عالقة بمشاهد الاغراء .. وكانت  
توضح الأشياء أكثر فأكثر .. وتعري الاجساد الصبوة حتى  
من ورقة التين .. وكان عراقك بين الضمير والرجل المشبوب .  
وتكلم الضمير .

اذت رجل فاسق تدخل الى البيوت من غير ابوابها ..  
انك تدنس الشرف .. تهتك الاعراض . اذت رجل شرير ..  
رسول الشيطان الى الارض .  
وجاوب الرجل المشبوب .



خذني بحملك يا حضرة الضمير المسكين .. ايام حكمك قد  
ولت .. ومثلما تعلم ( ان لكل دولة رجالها ) .. انك  
ستسمح لنا .. هذه الدورة تخصصنا .  
وقهقهه عالياً .. وكان لقهقهته في رأس عفيف دوي هائل .  
وتدخل العقل طرفاً آخر .

اذا كنت شاعراً بأنك قد اخطأت تجاه خطيبتك ، وتريد  
اصلاح خطأك فصارحها بواقع الامر لتريح ضميرك .. واذا  
كنت من اعمالك على ثقة .. وعالماً بأنك تسير على طريق  
الصواب .. صارحها ايضاً .. وقل لها هذا شيء يخصني .  
حقي .. لأنك لست مقيداً معها لا بكليل ولا بأبي رباط  
آخر .. انك في مرحلة الخطوبه .. وفسخ الخطبة هين .  
وصرخ حبه .

لا .. لا يا عفيف .. انك قد تخطيت حدود المعقول  
بتفكيرك .. وانا لا اسمح لك بأن تهينني بهذا الشكل الفاضح .  
بالأمس كنت عندك موجات عاتية تتدافع فوق سطح بحر  
الوجود .. كنت زوابع عاصفة .. كتل شعاع مزروعة في  
قلب الفضاء .. كنت الدنيا بأكملها .. أنسيت انك قدمتي  
هدية لقلب حبيبتي التي تعبدك بعد الله .  
وولول رجل آخر في اعماق اعماقه .  
انت نذل يا عفيف .. نذل وجبان .

وفوجيء بعدم وجود أمال في مكان الموعد .. واخرجته  
المفاجأة من الهوة التي اوقع نفسه فيها انها لم تسبقه الى المقعد

الحجري كما كان ينتظر .. اين آمال؟ .. انها ليست تحت  
السنديانة . هل شغلت عنه برجل آخر؟ .. وجأرا الرجل  
المشوب .

إنها تحونك .. أنتما في الجرم متشابهان .  
وصدم بكبريائه .. وكانت كبرياءه اقوى من الصدمة ..  
وحاول أن يخلق لها الاعذار .

وأطلت آمال كالبسة الجذلي تسربلها مسحة الخوف  
والعتاب .. مسحة أضفت على أنوثتها جاذبية هادئة .  
عفيف .. لقد تأخرت عليك .. أليس كذلك؟  
لكنها لم تتلق جواباً .  
ماذا؟ لم أنت عابس؟

وقوبلت بالصمت أيضاً .. وماتت الفرحة على ثغرها ..  
وشعرت بقدميها تغوصان في الأرض .. وأخذ رأسها يدور  
وانهمرت دموعها .. وكانت أنصع دليل على إثبات لوعتها ..  
وصعق عفيف أمام منظر الدمع الهاتن .. وهل لرجل مهما  
تصلد قلبه .. وتحجرت عواطفه أن يصمد أمام دموع المرأة؟  
وخاصة دموع حبيبة أصيبت بأعز ما تملك .. بجها .. بقلبها ..  
أمال .. حبيبي .. إنني لم أتعمد جرح شعورك .. لكنني  
غاضب لأنك تأخرت علي .. أنا في انتظارك منذ ساعة ..  
إن الأفكار السيئة قد اقلقتني .. أنا لست بغاضب عليك لكن  
حي هو الغاضب .  
وصرخ حبه ..



أنت مجرم يا عفيف .. مجرم مرتين .. مرة لأنك كذبت  
على حبيبتيك .. لقد وصلت منذ دقيقتين وعملتني ساعة ..  
ومرة لأنك ادعيت غضبي .. أنا ضحية تفكيرك المسموم ..  
تفكيرك المسموم ؟

وانتصب مارديات بألف رأس ورأس ، ومليون عين  
وعين .. وتكلم بعزة وجبروت .

أنا الفكر عريس الذاكرة .. وربيب العقل .. ورفيق  
الخيال .. القوة الخلافة التي أقرت بفضلها الدنيا .. بفلسفتها ..  
باختراعاتها بهندستها .. بصناعتها .

أنا من كان ترادفي الأسماء والنوع العظيمة ..  
الفكر النير .. الفكر المبدع .. الفكر البعث .. الفكر  
المستقصي أصبح صعلوكاً مثل الحب المهووس التي تقوده رياح  
العاطفة ، يتكلم عني بكل وقاحة وينعتني بالمسموم .  
وكاد يحصل صدام بين الحب والعقل لولا تدخل آمال في  
الوقت المناسب .  
عفيف .

وخنقت صوتها العبرات .

وشعر عفيف بالخرج .. وتقدم منها بارتباك .. وقبض على  
يدها .. وامتزجت رعشات الأيدي . واهتز جسدهما كمن  
مس بسلك كهربائي .. وجلسا على المقعد الحجري تلقائياً ..  
وتكلمت العيون .. وأظهرت ما في القلوب .  
وانزلقت يد عفيف على فخذ آمال بدون قصد .. وأحس

بدبيب تخملي يتسرب إليها .. وبنسيم دافيء كالحلم يلف جميع  
رغباته المكبوتة .. وأراد أن يرفعها .. لكن شيئاً ما فوق  
إرادته .. ثقل كالجبل كان يضغط عليها ليبقيها حيث هي ..  
وتحركت أنامله فوق فستانها الحريري لتتحسس لدونة اللحم  
البض . وشعرت هي نفس شعوره .. والتقط رادار غريزة  
المرأة أمر غير مألوف يدور في خالده .. ورفعت يده عن  
فخذها دون ان تشعره بأنه أخرجها .

ماذا دهاك يا عفيف ، لما تبدل وضعك هكذا؟ ووجهك  
اعتلاه الاحمرار؟

تبدل وضعي؟ ووجهي اعتلاه الاحمرار؟  
وارتبك .

لا .. لا لم يحدث لي أي شيء .  
قالها عفيف بدهشة وكأنه أفاق لتوه من رقاد عميق ..  
وردد .

لم يحدث لي أي أمر .. لا .. لكن .. كنت .  
لمَ الإرتباك؟ إنني أراك ترتعش . انظر إلى يديك ..  
ووجهك وردي مخرج بالدماء .  
وكلم نفسه .

نعم إن يداي ترتجفان .. ووجهي تتصاعد منه النار ..  
ماذا حل بي .. لمَ هذا التبدل المفاجيء؟  
وتكلم الرجل ذو الحديث المشبوب .  
إنها رغبة الجسد .. إنه الجنس؟



واحترار في تعليل هذا التبدل الذي طرأ عليه .  
وكلم آمال .

حبيبتي .. انني اشعر بتعب هذه الليلة .. ضائع . لست  
أدري ما الذي اعتراني .  
ماذا اعتراك ؟ لقد مللت المواعيد .. وحديث  
الحب .. وعشرة آمال .. ويجوز أن تكون إحداهن قد  
شغلتك عني .

وأفاق ضميره .  
أخبرها يا عفيف .. حدثها عن بنات المردات .. ويحي  
ان خيانة الفكر قد تجر الى خيانة الجسد .  
وسحب يده من يد آمال التي رفعتها عن فخذهما وبقيت  
متمسكة بها .. ومررها فوق جسده وأفاق شيء في داخله .  
حقاً .. الجسد .. الجسد .  
وجاوب نفسه وكأنه اكتشف جسده لأول مرة .. خيانة  
الفكر .. خيانة الجسد .

وعلق نظره بقبة الفضاء .. واستشف النجوم سر وقته .  
وأخرجته آمال من شروده .

اين انت يا عفيف .. إنك لست معي هذه الليلة ؟  
لست معك ؟ .. إنك غلطانة .. هذا انا بشحمني ولحمي .  
وضحك ضحكة مغتصبة .. وصمم على شيء .  
جسدك معي .. هذا أمر لم نختلف عليه .. لكن فكرك  
اين هو ؟

أمال .. يا حبيبتي .. جسمي وفكري وقلبي معك ..  
لكن لو تعلمين بماذا كنت افكر .  
وكان في حيرة من أمره أيصدق نفسه ام يكذب عليها ..  
هل كان يفكر بأمال .. وجاءه الرد نعم .. إنه يفكر كيف  
سيخلص منها ليهرب من تأنيب ضميره .  
بماذا تفكر ؟ لقد حيرتني في أمري .  
وجاءه خاطر سريع .  
إنني أعد الأيام التي تفصلني عنك .. أعد الساعات ..  
الدقائق .. الثواني .. ولم أعد أستطيع الاحتمال .  
وردد شيئاً في داخله .  
لم أعد أستطيع الاحتمال .  
ولفت أمال هالة نورانية .. ورقص قلبها طرباً .. وكلمت  
نفسها بنفسها .  
إنه لي .. ولي وحدي .. لقد طننت اني فقدته .. تباً  
للك ما أظلمه .. و ..  
واكتمت فرحتها .. وقالت بغنج ودلع .  
إنك تهزأ بي .. أنت ..  
وأرادت ان تقول غشاش .. ووقفت الكلمة على شفتيها ..  
وخافت العاقبة .  
انت لا تحبني .  
وعادا الى الجو السابق .. عواطف ومفاجأة .  
لا احبك ؟ حقك علي لأنني رضيت بهذه الطويلة التي



تفصلني عنك .. مدة الخطبة التي يقولون عنها انها اجمل أيام  
العمر .. لأنها تفصلني عن أحب مخلوقة لقلبي .

كفاك خداعاً .. أنت لا تحبني .

وشعرت بأنها قد أصبحت سلطانة زمانها . وامتلاً قلبها زهواً .  
انك تسددني كلاماً بكلام .

أمال .. كفاك غنجاً ودلعاً ..

وثارت رغباته .. وتمنى لو يحتضنها بين ذراعيه .

بماذا تصدقين ؟ بماذا تريدن ان اقسم لك ؟ انا احبك يا

أمال وحببي أقوى من حب جميع العشاق الذين تدلوهوا بالغرام  
قبلنا .. ومن سيأتون بعدنا .

وكان الكلام يخرج من صميم فؤاده .. نعم انه يحبها ..

وحبه أقوى من إرادته .. من تفكيره .. من كل شيء في  
الوجود .

عفيف .. حبيبي .. لست وحدك الإنسان المعذب الذي

اضنته أيام الخطوبة .. انا مثلك قد هدي الانتظار . وقرح

أجفاني السهاد .. إنني قد أمضيت ليالي طويلة وأنا اناجي

طيفك .. واتخيل نفسي وقد اصبحت زوجتك .. و ..

واحمر وجهها خفراً .. انها باحت بشيء كانت تريد أن

تحتفظ به لنفسها .. لكن ما حيلتها .. لقد سبق السيف العزل .

أحقاً عندك هذا التصور الرائع والخيال المجنح ؟ أأنت

تحييني بهذا المقدار ؟

وأغمضت عينيها وارذفت .

يا ليتنا نبقى على حالتنا هذه حين انقضاء ايام الخطوبة .

وردد معها

أيام الخطوبة ..

وأخذ نفساً طويلاً ..

إنها صعبة جداً .. ما اطولها .

نعم يا حبيبي .. انها طويلة .. وطويلة جداً .. لكنها  
ستمر كيوم امس مضي . شهور قليلة ستمضي وتبكيها الطبيعة  
بدموع مدرارة . ويبتدىء بعدها خريف يتلوه شتاء وشتاء  
يرادفه ربيع .. وربيع يتبعه صيف .

بعد خمسة اشهر ستعري الأشجار من اوراقها ، وتبلس  
الأعشاب في الحقول ، لتشارك الطبيعة في حزنها على ربيع  
ولى وصيف فات .. عندئذ سنبتدىء نحن ربيع حياتنا الذي  
لا يتلوه صيف ولا يتبعه خريف .. إن حياتنا ستكون كلها  
ربيعاً بربيع .

حلوتي .. أنت الطبيعة بجميع اسرارها .. والفصول  
تتسكع على بابك لتسترد منك حيويتها ونشاطها .. الربيع  
يأتيك مستجدياً والصيف مسترحماً لتبشيتها دفء انفاسك  
العاطرة وتهديهما أزهار روحك النيرة .. ويتبعها الخريف  
يتلوه الشتاء .. يأتيانك صاغرين لتلبسيهما وشاح عفافك كي  
يتقيا به لفحات الزمهرير ..

أمال .. إن حياتنا ستكون خمائل نرجس واحواض  
ياسمين والفرشات تمتص رحيق أزهارنا .. والبلابل تغرد بين



أفنان شجيرائنا.. وتعريدها يرتفع نحو السماء ليشارك الملائكة  
في الدعاء والتسبيح للعمة الإلهية .

نعم إن حياتنا ستكون ربيعاً بربيع .. ووهجك الدافئ  
يبعث الحياة في أشجار الغاب ، وأعشاب الحقل ، وازهار  
الخمائل ، فتصحو من رقدة طويلة ، دامت طيلة فصل الشتاء  
لتلبسيني انا الربيع حلة جميلة زاهية ، حاكتها يد الطبيعة  
الخلابة .. من خيوط انفاسك الملتهبة .

عفيف .. حبيبي

واحتضنته بمقلتها .

وأرادت أن تكمل ..

وسبقها .. ووضع يده على فمها .. وشعر بنشوة شاعرية  
حملته على أجنحة السعادة .. وواصلته إلى أجواء بعيدة مقفلة  
الأبواب ... لا يلجها إلا المتيمون بالحب .. المتدهون .

وقال : آمال .. معبودتي .. يا قمر نيسان .. ويا شمس  
نوار .. يا عروس الربيع .. بين يديك أودع قلبي ، وعلى  
بساط معرفتك أمدد مستقبلي .. وأعدك بأني سأحكم في  
مملكته حكماً عادلاً تردد الأجيال ذكراه على مر الدهور .

## زائرة غريبة

في النصف الثاني من شهر تموز ظهرت سيارة فخمة في الشارع الرئيسي الذي يشطر بسكنتنا إلى شطرين . وكانت تقل سيدة فائنة قد تحطت العقد الثالث من عمرها .. وتركت حولها علامات استفهام ؟

من هي ؟ .. من تكون .. ماذا تريد ؟  
وأزالت الغموض الذي يحيق بها .. وعرفت عن نفسها ..  
وأوضحت عن مقصدها .

إنني ارملة وفقدت زوجي الثري منذ سنة تقريباً .  
وبدافع الفضول الذي يعايش ابناء القرى تجمع حولها بعض المارة وأصحاب الدكاكين في حي السوق .

ووجهت كلامها الى رجل مهيب وخط الشيب رأسه .  
انني أود قضاء ما تبقى من فصل الصيف في إحدى المناطق الهادئة وقد فتنتني بلدتكم بجوها الجميل . هل أستطيع أن أجد منزلاً يحتوي على وسائل الراحة كي استأجره ؟  
إنك تأخرت يا سيدتي .. وأظن ان جميع المنازل التي تحوز رضاك قد أجزت .



لقد صدمتني في أول الطريق سيدي ، الظاهر انكم لا  
تحبون الضيوف . او لا تريدونني أنا خاصة بين ظهرا نيكم .  
لا .. ما عاذ الله . إنك تنزلين بيننا على الرحب والسعة .  
وكان لغط بين الجماعة .

إذا تعذر علينا الأمر ولم نجد طلبك . فأنا مستعد أن أخلي  
لك بعضاً من منزلي .. إذا كنت تحبين السكن بيننا .

شكراً على ما أبديته من عاطفة نبيلة نحوي .. فأنا أحب  
المرح والتنكيت .. الرجاء أن لا تحمل كلامي على محمل الجد ..  
لأنني أعلم علم اليقين انكم شعب مضياف وتحبون الغريب .  
إنك لست غريبة بيننا . فكلل الديار ديارك .  
جاوبها الرجل المهيب ووجه كلامه إلى من حوله .

هل تعلمون أين نجد ضالتنا ؟

وجالت الأفكار تتحرى جميع منازل البلدة ، وتتصفحها  
منزلاً منزلاً .

بيت فلان ؟ .. قد تأجر ..

بيت فلان ؟ .. لا يليق بصاحبة الشأن .

وقال أحدهم بعد تفكير طويل .

لا يوجد سوى بيت نديم جابر يفي بالمرام . لكن قد  
سمعت بأنه لا يود تأجيره لأن العمل لم ينته به بعد .

وسألت .

أهو بيت جديد ؟ .

نعم وفي أجمل موقع .. فوق رابية غناء تحيط به غابة  
صغيرة من الصنوبر .

شعرت الزائرة بدافع خفي يجذبها نحو الدار . وأحست  
بارتياع في قرارة نفسها قبل أن تراه .

سيدي .. انني أطمع بلطفكم . هل لأحدكم أن يسمح  
بويرافقني الى بيت السيد نديم ؟

وكان الرجل المتتهيب أقربهم إليها .

إننا رهن إشارة سيدي .

شكراً لكم .

وأفسحت مكاناً بقربها فصعد دليلها واتجهوا نحو المنزل

المقصود .

العمل في دار أبو وسام قائم على قدم وساق . هنا نجار  
يلقي نظرة أخيرة على المنجور بعد ان أشرف على نهاية تركيبه .

وهناك عامل البلاط منهمك في شغله . في هذه الغرفة فتى

يغلف حيطانها بالبباطون وفي تلك آخر منهمك بالطرش .

وكان السيد نديم بسر واله الرمادي الأغبر وصدورته المزررة

يشرف على الجميع . فيحتاج على عمل هذا ويثني على ذلك .

ويبدي بعض الملاحظات مع آخر .. وبينما الجميع منهمكين

بعملهم وصل جميل عبده مع زائرته . وسلم على السيد نديم

معرفاً إياه على حضرتها .

السيدة هناء جليل من بيروت .

السيد نديم جابر صاحب الدار .



أهلاً وسهلاً .. تشرفنا بمعرفتك سيدة هناء .

تفضلوا .. تفضلوا ..

ومشى أمامهم إلى بيته العتيق .

رمت ام وسام المكنسة من يدها وعدلت هندامها .  
ووضعت أمال جرتها في المكان المعد لها . واتجهتا نحو مربع  
الضيوف فرحبتا بالزائرة أجمل ترحيب وتم التعارف  
بين الجميع . اتجهت السيدة هناء ببصرها نحو دليلها وكلمته  
بإشارة من رأسها ففهم مرادها .

عدل السيد جميل جلسته على المقعد الخشبي . وقدم  
الأريكة لخلف ظهره . ثم تنحنح .

أخي أبو وسام .. ان السيدة هناء قد اعجبت بمنظر  
بلدتنا وحسن موقعها . فأحبت أن تقضي ببقية الصيف بين  
ربوعنا واستنجدت بنا لنهديها على دار هادئة فلم نجد سوى  
منزلك هذا يفي بالمطلوب .

فوجيء ابو وسام بطلب صديقه ، لأنه لم يفكر بتأجير  
داره قبل الآن . ومصمم على ألا يؤجرها لغاية في نفسه .  
علت الابتسامة شفقيه وصمت قليلاً ثم أردف .

انك أخرجتني بطلبك هذا .. ويعز علي ان لا احقق  
رغبتكم لأن ..

لا .. لا يا سيد نديم لا تدعنا نصدم بالخيبة لأول طلب  
في بلدتكم . إن لنا بجمالكم أملاً كبيراً .

سيدة هناء . أهلاً بك بين ظهرائنا ، وعلى الرحب والسعة ،

وأطلب منك أن لا تحملي ممانعتي بتأجيرك المنزل على محمل  
الرفض ، لأن لكل إنسان ظروفه الخاصة كما تعلمين .  
إذاً .. تفضل سيد جميل .. وأخذت حقيبة يدها عن  
الطاولة التي بقربها ونهضت .

ووقفت ام وسام بطريقها ومنعتها عن الخروج .  
لما الاستعجال سيدة هناء .. إن لك علينا حق الضيافة ..  
انتهت القهوة .. اسرعي يا أمال ..  
شكراً يا خالتي .. إن وقتي ضيق . ونظرت الى ساعتها .  
أطلت أمال بوجهها المشرق وطبق القهوة في يدها فتأملتها  
هناء ملياً وشعرت برغبة قوية تدفعها للبقاء .. إنها جمال  
وجاذبية وفتوة ..

تفضلي سيدة هناء ..  
أخذت كوب القهوة من يدها وعينها ترقب الروعة الماثلة  
أمامها . وضميرها يرقب المستقبل القريب البعيد .  
شكراً أمال .. ان قهوتك لذيذة وشهية . لكن ما حيلتي ..  
يا ليتني أتذوقها معك كل صباح .  
وكانت قنبلتها في محلها لأنها حركت شعور ابو وسام  
وأحس بارتباك . فبادرها قائلاً .

سيدة هناء ، قد أخرجت موقفي .. وفكر ملياً ثم جال  
بصره في أرجاء داره التي عاش بها طفولته وورثها عن اجداده  
وكانه يشاهدها لأول مرة وأردف .  
إذا كان يروقك السكن بيننا وأحببت أن نخلي لك هذا



المربع الذي نحن به فأهلاً بك وألف مرحباً .  
 شكراً سيد نديم .. لقد غمرتني بلطفك .  
 ولما شعرت بأنها قد قربت من بغيتها أحبت أن تستعمل  
 الخيلة . ليس هذا المربع فقط يروقي .. إنني أحب السكن  
 معكم ولو اضطررت أن استظل خيمة في العراء .  
 وتدخل وسام في الحديث .  
 أبي .. ان العمل في المنزل الجديد يكاد ينتهي . والسيدة  
 هناء تستطيع الانتظار مدة اسبوع على ما أظن .  
 ونظر الى ضيفتهم نظرة استفسار .  
 أليس كذلك سيدتي ؟  
 تغلغل صوت وسام بمسامع هناء كلحن موسيقي دافئ  
 فارتعش قلبها ولفت الرجولة الرانية اليها بنظرة . ولها .. وكان  
 شيئاً آخر يشد بها لتبقى .  
 سيد وسام .. لا تخرج والدك إذا كان لا يرغب في تأجيلي  
 الدار . لقد غمرتوني بفضلكم .. وكفاني ما لاقيته في ضيافتكم  
 من عطف وإكرام .  
 سيدة هناء ، لقد أخرجتيني ثانية .. وبما أنك بلطفك  
 ودماثة أخلاقك قد ملكت على أمري سأصارك بواقع الحال  
 كي تعذريني .  
 لا لزوم لتقديم الأعذار سيدي . إن حسن وفادتك تغني  
 عن كل ذلك .  
 وهمت بالنهوض فنهض وسام تلقائياً ، وكان دافعاً خفياً ..

صلة ما مع نفس حائرة .. شيء في كيانه يبكي .  
لا .. لا تدعها تذهب .

رويدك سيدة هناء .. لا أظن . ونظر إلى والده مستنجداً  
به .. لا أظنك ستغادريننا بهذه السرعة ، إنما في وقت  
الغروب . ووداع الشمس لربوعنا منظر جميل .  
هه .. إنك شاعر أيضاً .. لكن .. وصمت ، لكن ليت  
هذا المنظر يدوم .

إنني شاعر ؟ .. لا .. لأن ما قلته هو عين الواقع . وأما  
دوام المنظر فأمر طبيعي ما دام في الكون شروق وغروب .  
وفيلسوف أيضاً .. هنيئاً لكم أبناء الطبيعة ، لأنكم  
تولدون والمعرفة في فمكم . وأظن ذلك لقربكم من الله .  
فضحك الجميع وضحكت معهم هناء .

سيد نديم .. لقد أحسست منذ اللحظة الأولى التي قابلتكم  
بها بأنني فرد منكم .. ويمكن أن يكون هذا تطفلاً مني .  
إنك هنا بين أهلك يا ابنتي وسبب مماذعتي بتأجيرك المنزل  
أمر عائلي محض سأطلعك عليه كي لا تحملي رفضي هذا  
على غير محمله .

سيدي إنني لا أود ان اطلع على اسراركم العائلية .  
وكفاني ما لاقيته من عطفك الأبوي .

إن الذي سأطلعك عليه ليس بسر بل مجرد تدبير خاص  
وهو نذر كما سيبدو لك . لقد عزمت على تدشين المنزل بحفلة  
زواج وسام ولا شيء غير ذلك .



زواج وسام ؟ .. رددت في سرها ، وشعرت بانقباض  
في نفسها . إنها تغار عليه .. ممن ؟ ولماذا ؟ هل أحبته ؟ ..  
ومن أول نظرة ؟

الله يتمم قصدكم بالخير سيدي . وانا أتمنى لكم التوفيق  
والرخاء من كل قلبي

شكراً على عاطفتك النبيلة نحونا . لقد غمرتينا بلطفك .  
سيدي .. إنني سأطفل عليكم مرة أخرى . هل تستطيع  
أن ترشدني إلى منزل يكون قريباً منكم ، لأنني أحببت  
جيرتكم بكل جوارحي .

نظر ابو وسام إلى السيد جميل الذي بقي صامتاً طوال  
الوقت وسأله .

هل تعلم بخلو أي منزل بقرتنا .  
فقلب السيد جميل شففته .. لا أظن .  
وتدخل وسام في الحديث .

أبي إن سكن السيدة هناء في الدار لبضعة أسابيع .. لا  
يقدم ولا يؤخر لأنه سكن عابر ، ورجائي أن لا تخيب أملها .  
راجع السيد نديم أفكاره وهم بالكلام لكنه صمت .  
فاحترم الجميع صمته .

شعرت أم وسام بانقباض لجهة هناء وودت لو يبقى بعلمها  
مصمماً على الرفض . لماذا .

وسألت نفسها فلم تتلق أي جواب . لكن قلبها كان

يخدرها من أمر غامض... يجب أن تحمي عيشها من طائر  
غريت سيشاركها في سعادتها وهنائها . وربما قوَّض هذه  
السعادة وهذا الهناء . وصمت على الكلام . لكن بعلمها سبقها  
بوتكلم بالإيجاب . فاحترمت إرادته وسكتت على مضمض .



## قلوب . . .

أطل عفيف من بين الصخور ونفاذ الصبر بادٍ على محياه .  
وتعلق نظره بالطريق لجهة البلدة .

انهن لم يظهرن حتى الآن .. لماذا ؟ . إن الشمس قد  
أشرفت على المغيب لقد انتظرهن البارحة وأول البارحة . هل  
كان قدومهن في تلك العصورنية عابراً ؟ ..

وجلس على صخرة صغيرة بتمهل وحذر . ملهلاً سرج  
سرواله الكحلي الجديد . كي يحافظ على نظافته . ولمس  
قميصه الحريري البيضاء . ثم عدل عقاله المقصب فوق كوفيته ،  
وكانت أسئلة ضمنية تتزاحم في رأسه .

هل هندامه على ما يرام ؟ . هل شكله جميل يثير إعجابهن ؟  
هل لباسه يروق في أعينهن ؟ ..

وأطل ثانية في عصبية ظاهرة . لم يأتين أيضاً . ثم جلس  
بيأس . وتسمر أمام ناظره طيف آمال معاتباً .

اين وعودك التي اغدقتها علي ؟ .. اين عهدك ؟ .. اين  
هناك ؟ .. أين الوفاء للخطيبة المطعونة في فؤادها .. رعود  
وبروق تضح في رأسه .. آلاف المطارق تدق أعصابه ..

ملايين المسامير تفرز في جسده .. وحمل رأسه بين يديه .  
لا .. لا لم أخذك . من قال لك انني خنثت بوعدك ؟ انني  
أحبك .. وحناني فضاء لا حدود له يلف بحر وجودك . و ..  
وشاهد في يمينه خنجراً مصقولاً .. لا .. لا اريد .. وتحولت  
المرئيات امامه الى قلب كبير يفتن عن مبسم كالأمومة رقة .  
إنك قاتلي .. إنك قاتلي .. لكنني اسألك لإنك لا تدري  
ماذا تفعل .

وهو الخنجر بغير إرادته فشطرت القلب الى شطرين .  
وافاق من كابوسه على ضجة قريبة منه . إنهن قادمات ..  
هذه ضحكتهن .. لكن ما لي ولهن . كفاني ما لاقيت  
بسببهن من عذاب وإرهاق .

رن صوت كبير في مسمعه كالوتر المبحوح .  
أما قلت لك يا سلمى انه هنا .. إن قلبي كان يحدثني  
بذلك . وحديث القلب دائماً لا يخيب ..  
أراك تتحدثين بلغة القلوب ؟ .. هل وراء الأكمة ما  
وراءها . وابتسمت في خبث ورياء .  
تباً لك من شقية . لهذا الحد وصل ظنك ؟ .. وسألت  
نفسها هل أحتمه ؟ ..

لا .. ان هذا ليس بحب . لكنه أثار فضولها . نعم لقد  
فكرت به وفكرت طويلاً وودت أن تأتي الى حيث شاهدته  
أول مرة . لكن رفيقاتها لم يوافقنها على ذلك .  
وقع عفيف بجيرة ممزوجة بزهو وخيلاء .. إنهن يفكرون



به .. وها بعضهن يتحدثن بخصوصه .. لماذا يا ترى ؟ . لم  
يشاهدن عن قريب ، ولم يحدثن .. هل يظهر امامهن ؟ ..  
ووقف طيف آمال بينه وبينهن وقفة ذليلة ودنا اليه معاتباً ،  
لا .. لن يذهب .. سينقى وفيماً لخطيبته .. انهن في تفكيره  
عبارات سبيل ، وصمم على الاختفاء .

بقيت كبير مع رفيقاتها رداً من الزمن لكن عينها لم  
تفارق الأكمة الصغيرة القابعة بين صخورها عفيف وحدثت  
نفسها مراراً . هل تذهب اليه ؟ .. ولماذا ؟ .. بماذا ستجيبه  
إن هو سألها ماذا تريدن ؟ .. وإن قابلها بقلة اكتراث فماذا  
سيكون موقفها تجاه رفيقاتها ؟ .. انهن سيدشمن بها .. لا ..  
لن تذهب .

ما بك يا كبير . أراك شاردة الفكر مشتتة الذهن . أهو  
صاحبنا يا ترى ؟ .

سامى .. دعي المزح جانباً .. أبلغت بك السخافة الى  
هذا الحد لتظني ان شخصاً مجهولاً يثير اهتمامي . لا .. لقد مر  
علي مثله كثيرون .

وكانت تعلم انها تكذب على نفسها . إنه يعيش في احلامها ..  
ويثير فضولها . انه . لكن لا .

ونظرت اليها سامى بعين شامته .

كبير .. إنني أدرى الناس بك .. أهو صيد جديد ؟ ..  
أثار حوارهما حفيظة رفيقاتهن . فاشتركن معهما بالحديث .  
وعلقت كل واحدة منهن على الموضوع حسب هواها . وصبينا

كل ما حوت رؤوسهن من تنكيت مستهجن على كليز وفارس .  
احلامها فضحكن وهرجن الى ان شق ضجيجهن عنان السماء .  
ثارت كليز لكرامتها ونهضت حاملة في رأسها اشياء  
وأشياء فلحقت بها اوديت لأنها اشفتت عليها .  
الى اين يا كليز تمهلي .. انني ذاهبة معك .  
لكنها أكملت طريقها دون ان تجيب . ولا حقتها ضحكات  
المجموعة .

احضراه معكما يا ..

فرت اسراب الحساسين من أمامها وولت لا تلوي على  
شيء وكان عفيف يطالع فصول مسرحيتهن من فجوة بين  
الصخور ودقات قلبه تتسارع .. انهما تقتربان من موضعه ..  
هل تقصدانه .

ولماذا ؟ وشعر بانقباض وبرغبة في الفرار .. أمال ..  
لكنه بقي رغماً عنه .

انهما تقتربان ايضاً .. وود ان يتكلم .. أن يقول أي  
شيء أية حجة يتذرع بها ، وتكلم بديهياً دون أن يظهر لهما .  
لقد نفرتما رفوف الحساسين بقدمكما . وأضعتما علي فرصة  
اترقبها منذ الأصيل .

شعرت كليز بانقباض لهذا الاستقبال الجاف لكنها لم تلتق  
سلاحها لأول وهلة . وردت عليه وكأنها لم تره .  
من يكلمنا ؟ أنس هو أم جني ؟  
ولم يقو عفيف على الاختفاء اكثر من ذلك .



لا .. انس كما ترين .

شعرت كبير بالجسد المرقلي يطل عليها من بين الصخور  
و كأنه احد فوارس العصور الغابرة . وبعينيه النسريتين تحدقان  
بهما . فلفتها موجة من شعور غريب وحملتها الى دنيا البطلات  
الخياليات .

لقد اخفتنا .. اهكذا يستقبلون الغريب عندهم ؟

ارتبك عفيف كأنه يقابل فتاة لأول مرة .

اهلا بقدوكا .. إن ما بدر مني كان عن غير قصد لأنني لم  
اراكما ، وقلت ذلك دون ان اعلم من القادم .

وتدخلت كبير بعد ان ملكت روعها .

لا تؤاخذنا إن كنا أزعجناك .. ان مرورنا من هنا  
كان عابراً .

ازعجتاني ؟ .. لا .. بالعكس ، إن قدومكما قد سرتني .

وتبسم ثم اردف . لقد أزعجتا عني كابوس الوحدة .. هل من  
خدمة أستطيع ان اسديها لكما ؟

شكراً .. إننا .. واحترارت كيف تدخل معه في

الموضوع . اننا ..

شعر عفيف ان برأسها شيئاً تريد الافصاح عنه .

وود لو يعرف ما هو هذا الشيء .

وتدخلت اوديت .. هل انت وحيد هنا ؟ ..

لا . ونعم .

حيرتني بأمرك .. كيف لأ .. وكيف نعم ؟ هل يتفق  
الضدان ؟ .

نعم في بعض الأحيان ، ولا .. لأنني عندما أكون هنا  
في مملكتي الصغيرة وحاشيتي من حولي تنفذ جميع رغباتي ،  
اعتبر نفسي اسعد خلق الله .

وجالت أفكار عابرة في رأسي كبير وأوديت .  
مملكته الصغيرة .. حاشيته .. أسعد خلق الله .  
أهو مجنون ؟ . وأحسنا بالخيبة وبععض الخوف .. وهمتا  
بالهرب .

قرأ عفيف ما يجول في رأسها .. وكانت دلائل الجزع  
تطل من مقلتيهما .

ما بالكما ؟ .. هل في شطلي ما يخيف ؟ ..  
لا .. إنما خفنا من كثرة أعوانك وعظمة مملكتك فتهيبنا  
الموقف .

نطقت كبير بذلك ظناً منها بأنها تجاربه في جنونه كي  
لا يؤذيها .

بالعكس يا آنستي .. إن اعواني لا يأذون احداً .. بل  
يجلبون الأنس والسلاوى لمضيفيهم . وعظمة مملكتي خشوع  
وعبادة في محراب الله .

لقد حيرتنا في أمرنا .. هل تكلمنا بالأحاجي ؟ ..  
قهقه عفيف عالياً فتجاوبت قهقهاته مع أصدقاء الوادي  
السحيق . احاجي ؟ .



وقبهه ثانية .

حقاً ان الذي لا يعيش حياة غيره يجهل اسرارها . وأنا  
لا ألومكما على عدم معرفتكما وتعرفكما على جمال مملكة الله  
التي سميتها احاجي .

شعرت كليز بصغارة نفسها أمام فلسفة عفيف او تفلسفه  
لكنها لم تلق سلاحها ، فقالت بتهكم مبطن لتثأر لذاتها .  
منذ قليل تنازلت واخبرتنا عن عظمة مملكتك .. والآن  
تكلمنا عن جمال مملكة الله . فأبي صلة بين الاثنتين يا ترى ؟ .  
تغلغل عفيف مع الألم الذي حز في نفس كليز .. وأحس  
يحرج كبريائها فتدارك الأمر .

عذراً إذا كنت قد تجاوزت حدودي بالحديث معك .  
وها انا موضع ما قصدت .

ان مملكتي التي نحن في صدها هي الطبيعة الهادئة يجهاها  
وروعتها . برهبتها وخشوعها .. وأعواني أسراب الطيور  
المغرودة هنا وهناك .. والرعاة بشباباتهم المبحوحة الشجيرة  
النغم .. والحملان الشاغية وراء امهاتها ، وخزير المياه الرتيب  
شرايين حياة الطبيعة الدائم .. نعم ان الله جمال .. والطبيعة  
صنع الله . لذا هي مملكته .

احست كليز بصغارة نفسها ثانية أمام هذا القروي الجبار .  
وارادت ان تفر من صغارتها . لكن شيئاً مجهولاً كان يشدها  
اليه . فتبسمت لتخفي هزيمتها وارذفت .  
انك بلاك قد حملتنا الى عالم الممالك والألوهية والجمال .

وهي سلبية . فكيف بنعم . هل لك ان توضح هذه النعم الإيجابية؟ .. ولنا الله في ذلك .

عرف عفيف بثاقب بصيرته بأنه قد اصبح له دالة عليها فتجراً وقال .

ان نعم اهون مما تظنين بكثير .. نعم لست وحيداً لأنكما معي .

تجاوبت القهقهات ثانية وتداخلت موسيقاها . فكانت اروع مثال لسعادة آدم وحواء في ساعة لقاءهما .

إن من يجاور الله في مملكته يكون فوق طبيعة البشر .. أأنت من هذا الصنف يا ترى؟ .. وهل تسمح جلالتكم لشخصنا الضعيف بالمثول بين يديكم لتقدم لشخصكم السامي أجل فروض الطاعة؟ .

نطقت كليز بكلامها وهذا وانحنت في حركة تمثيلية وكأنها في حضرة ملك .

انتفض عفيف في داخله كمن لسعته أفعى .. ما معنى حركتها هذه؟ .. وكلامها الذي يدل على عنجهية وتكبر؟ .. أي دخل لهذه الغريبة في .. وتوقف عن الاسترسال في تفكيره هنيهة ، ناظراً اليها وفي عينيه تأنيب وسؤال . أتسخرين مني؟ . وكاد ان ينفجر .. ولكنه كظم غيظه وكلمها بنفس لغتها .

اكون في منتهى السعادة والسرور إذا زدت على عقد حواريا درتان مثلكما .. آية في الجمال والعذوبة .

إنه قوي وقوي جداً .. ما لي وله .. أعود إدراجي



اجر جر اذبال الخيبة وأتحمل سخرية رفيقاتي ؟ .. لا .. والف  
لا .. سأقهره ولو اضطررت لأن ، وخطرت في رأسها فكرة ..  
ان الوصول الى مملكتك صعب كما أرى .. اتسمح بارشادنا  
الى الطريق ؟ ..

لا اظنكما تستطيعان التسلق والصعود الى هنا . لأن  
الصخور عالية ومتشابكة .

ماذا ؟ .. هل بدأت بتصعيب الأمر علينا ؟ .. إننا سنصعد ،  
وسترى . واثبتت قولها بالفعل لكن صخرة كبيرة وقفت  
حائلا دونها .

هه .. ألا تود مساعدتنا ؟ ..

مساعدتكما ؟ .. ماذا ؟ .. نعم .

كلهما عفيف وكأنه لم يسمعها لأول وهلة ، او كأنه صحا  
من رقاد عميق . لأن فكره كان ملقاً في البعيد البعيد .. وفي  
رأسه الف سؤال وسؤال .. ونظره متنقل بين صدرها الممتليء  
النهدين وبين صدر اوديت الذي يضاهيه في النفور . وكان  
بحكم وقوفه فوقها يشرف على المنظر من علٍ فتتوضح أمامه  
الأشياء اكثر فأكثر ، وكلما اقتربتا منه كلما ازدادت دهشته .

ماذا ؟ .. وفرك عينيه .. هل انا في جلم ؟ .. وتحسس

نتوء الصخرة التي بقربه فألم يديه . لا .. انها الحقيقة .. ها  
نهداها بواديهما المغربي يكاد لا يسترهما شيء .. وصدرتها  
الصغيرة بلونها الزهري تكاد تتمزق تحت ضغط منقاري  
زغوليهما الشرسين .

ماذا دهاك ؟ .. منذ هنيهة كنت في عقلك .. هل ..  
وامسكت عن الكلام .

نزل عفيف عن الصخرة بجرعة لا شعورية وكأنه يسير  
فوق طريق معبدة .

أما زلت مصممة على الصعود ؟ ..

طبعاً ..

إذن أعطني يدك .

تفضل ..

وعندما لمس يدها الخملية شعر برعشة غريبة في داخله  
وبشيء ما يصعد الى رأسه .

ضعي قدمك هنا .. في هذه الفجوة .

اف .. انني لا استطيع . ان ..

ونظر اليها .

نعم انه فسطانك .. هل جميع لبسكم على هذا الشكل

في المدينة ؟ ..

وكان فسطانها الأحمر الضيق يشد على جنبها ويقيد

حركتها .

رفعت كلير فستانها الى أعلى لتسهل حركة تنقلها دون

ان تعلق على ملاحظة عفيف .. فزاد اندهاشه واتسعت حدقتا

عينيه .

وبحكم تسلقها على الصخور كانت ترفع رجلها بين الفينة



والفيئة فيرتفع فسطانها أكثر فأكثر ليكشف عن فخذيها  
البلوريين وأحياناً عن .. الأبيض اللون .

سكر عفيف من غير خمر وغاب في مهامه دنيا لم يألفها  
طول حياته .. فأغمض عينيه وسأل نفسه ثانية . هل أنا في  
حلم ؟ .. هل ما يمثل امامي من جراء تخيلاتي المشبوبة ؟ ..  
هل هي الوحدة التي تضغط على افكاري وتزين لي ما أرى ؟  
نعم .. نعم .. ليستها اليقظة .. ليستها الحقيقة .  
لكن صوت كلير أخرجه من حيرته وتحسس واقعته .  
خي .. الحمد لله .. اظن انني قد اتيت من الأبدية ..  
واتجهت نحو عفيف ..

كيف تستطيع الصعود الى هنا بمفردك ؟ ..  
آه .. ماذا بمفردتي ؟ .. ان هذا سهل بالنسبة لي لأنني  
معتاد عليه .

اقترب .. ولما شعرت بتضعضه عرفت ان نقطة الضعف  
فيه فكتمت في نفسها اشياء واشياء ..  
اقترب .. ضع يدك على قلبي لتلمس ما قاسيت من هلع  
و خوف .

دهش عفيف لهذه المفاجأة ، وتساءل في سره . ماذا ؟ ..  
اضع يدي على قلبها ؟ ..

واقتربت منه حتى لامست وجهه بشعرها الخرنوبي ففاحت  
منه رائحة انوثتها الطاغية . ثم قالت ما بك ؟ ..  
لعل عدوى الخوف انتقلت اليك ؟ ..

كلا .. لكن .

لكن ماذا ؟. اعطني يدك .

ولم تترك له فرصة الخيار . فأخذت يده بيدها البضة  
ووضعتها على قلبها ، فبدأ صاعداً هابطاً كصعود افكار عفيف  
وهبوطها . إذ شعر برعشة خفية تسري في اوصاله ، والدماء  
تندفع حارة إلى وجنتيه ، وجال في رحاب ماضيه . خطيبته ..  
بنات القرية .. شريط سريع مر في خيلته . . تحفظ . .  
خفر وحياء .. ثم تساءل :

هو وخطيبته لم تتلامس ايديهما إلا في حالات السلام وإن  
تلامست ففي شيء من الحيطه والحذر . . وها قد مضى على  
خطبتها ما يقارب الثلاثة أشهر ومعاملتها لم تتبدل عن ذي  
قبل ، ألا بيث ما يختلج في قلبيهما من حب عذري وآمال  
عذاب ، يبنيان عليها صرح مستقبلهما .

جالت هذه الأفكار في رأسه بسرعة خاطفة فقارنها مع  
وضع كليز لكنه وجد البون شاسعاً بين الحالتين ، فقلب  
شفتيه بقلة اكتراث وأجاب نفسه ، ما لي ولها فلتذهب الى  
الشیطان ..

قطعت اوديت حبل تفكيره عندما سألته عن اسمه

وكنيته .

فأجابها :

عفيف تامر ..



تشرفنا .. اوديت صعب .. رفيقتي كلير ضو من بيروت ..  
نقضي فصل الصيف بين ربوعكم ..  
على الرحب والسعة ... فالبلاد بلادكم ..  
ونظرت كلير نحو اوديت وغمزتها بطرف عينها .. ففهمت  
ما ترمي اليه ..

ان رفيقاتنا في الناحية الأخرى يودون التعرف عليك ..  
رفيقاتهن يودون التعرف علي ؟ .. لماذا ؟ .. أي دخل لي  
معهن ؟ وجاءه الجواب سلباً ، وكان شيء آخر يناديه فصمم  
على الاعتذار ..

انني اتنى ذلك من كل قلبي .. لكنني مرتبط بموعد ..  
فلندع هذا لوقت آخر ..

تقدمت منه كلير والبسمة تعلو ثغرها .. ثم قالت :  
أخيب رجاءنا من اول لقاء ؟ .. كلا .. لا اظنك تفعل ..  
ورافق صوتها رنة موسيقية مشبعة بالغنج والدلال ..  
مشهد لم يتعوده عفيف .. ولم يكن عنده الاستعداد الكافي  
كي يصمد في وجه تياره .. فأجابها متلعثماً ..  
انني ..

ولم تترك له فرصة كي يكمل ..  
لا .. لا .. لن ندعك تتأخر كثيراً .. ولنذهب سريعاً  
كي لا يسبقنا الوقت ..

غلب الحياء على عفيف وذهب بصحبتها فشعرتا بنشوة  
الفوز على اتراجهما وتقدمتا .. مزهوتين فرحتين ..

تلقتهم نظرات الرفيقات ودلائل الحسد تغمر الوجوه .  
لكنها سترت ببسات بدت على الثغور وانطلقت الألسن تكيل  
عبارات الترحيب بالزائر الشاب .

ثم أحاطت به الفتيات وقد رسمن حوله شبه دائرة .  
وكان زيه القروي ، كوفية وسروال ، ثم صدرته المزررة  
وزناره العريض مستهجنًا عندهن . لكن فتوته غلبت على زيه  
فطالعته بتظرات الإعجاب . وكانت كل منهن ترسم في  
مخيلتها صورة تمثل القوة والجمال . فهذه تتمنى فتى أحلامها  
عريض المنكبين ، مفتول الساعد ، وتلك وسمي الطلعة بسام  
الحيا . وأخرى ذكياً نجيباً فوجدن بعفيف ضالتهن المنشودة ،  
لأنه حاوٍ على جميع الصفات التي يبغونها . وقدمته كليز لهن  
بإنفة وشموخ .

عفيف تامر من أعيان بسكنتنا .

صديقاتي .. جورجيت .. عفاف وإلهام .  
تم التعارف بين الجميع وانهاالت على عفيف عبارات الثناء  
وهو يرد عليهن بلطف منهن .

داومن على هذه الحالة بين سؤال وجواب ، هو عن المدينة  
وعاداتها . وهن عن البلدة ومنتزهاتها الى ان تخضبت الطبيعة  
بدماء الغروب فاستأذن عفيف منهن وقال :

انني أود الذهاب .. وقد تأخرت كثيراً فأرجو عدم  
المؤاخذة .

علام العجلة ؟ .. وشعرت كليز بشيء خفي يربطها به .



هل موعذك على هذا المقدار من الأهمية كي تتركنا عاجلاً؟ أم لا تعجبك صحبتنا؟..

ان صحبتكن تشرفني .. لكنني على موعد مع خطيبي .  
قالها وإشعاع الوفاء يملأ توجحات صوته .

اتجهت نظرات الرفيقات نحوها شامته مستهزأة . فتحدثت  
النظرات بملها ولسان حالها يقول : سوف نرى لمن ستكون  
الغلبة . وعضت الغيرة قلبها لكنها أخفت كمدها ببسمة  
مصطنعة .

خطيبتك؟ . وهل انت خاطب؟

نعم منذ ثلاثة اشهر تقريباً . وقد تعاهدنا على الاجتماع في  
كل مساء عند الغروب .

اتحبها بهذا المقدار؟.

انني لا أحبها فقط .. بل اعبدها ..

أهي جميلة؟

نعم جميلة .

بورك لك فيها . واضمرت في قلبها اشياء وأشياء . ثم  
اردفت .. اننا سنذهب ايضاً .. ألا تود مرافقتنا؟..

على رسلك سأرافقكن .. لكن يجب أن نعود الآن .

جورجيت .. إلهام .. هيا لنجمع حوائجنا ، لقد تأخرنا .

للم عفيف قضبان الدبق ، وخبأ شلته في مكان أمين .

ولممت كليز ورفيقاتها حوائجهن ثم سرن الهويناء يقتلن الوقت  
بأحاديث مختلفة .

وكانت كلير لولب الحديث . تلقي نكاتها بأسلوب طلي  
فرح ، وبشيء من الإباحية فيقهنن لفكاهتها النادرة .  
مضى الوقت سريعاً دون أن يشعرون به . وألقى الليل  
بوشاحه على جنبات البلدة وتنبه عفيف لتأخره عن لقاء  
خطيبته وشعر بتأنيب الضمير لتركه إياها مع وحشة الليل  
ورغبة الانفراد ومضض الانتظار . فود لو يكن له جناحان  
ليطير إليها .

شعرت كلير بارتباكها ، فسألته ما بك ؟  
لا شيء .. لكنني أود الإسراع .. لقد تأخرت كثيراً .  
أجابها عفيف بجرقة ولوعة سرت في قلبها سريان النار في  
الهشيم .. فآخفت ما بها ولم تدعه يذهب إلا بعد ان قطع لها  
وعداً بلقاء لاحق .



## ضئك... وارهاق

دبت الحركة في المنزل الجديد عند السيد نديم وكانت السيدة هنا لولبها فتنقلت من الدار الى غرفة النوم ، الى غرفة الاستقبال ، الى غرفة المائدة ، الى المطبخ لتلقي باوامرها الى خادمتها و الى الممالين كي يحافظوا على الأثاث الجميل ، ويضعوا كل قطعة منه في المكان الذي تحدده لهم وكان ذوقها سليماً وأثاثها فاخراً لذا بدت الدار روعة في الإتقان والإبداع. وبعد الانتهاء من العمل أخذ الجميع إلى الراحة فخيم السكون على الفيلا الصغيرة إذا جاز أن نسمي الدار بفيلا . فمن الحجر المقصوب إلى الهندسة المتقنة إلى غابة الصنوبر التي تحيط بها ، إلى خمائل الورود في الباحة ، إلى أشجار التفاح والخوخ والإجاص الممتدة أمامها ، إلى الجو الهاديء والطبيعة المرحة المخيمة عليها ، إلى أجواق الحساسين وعصافير الدوري المغردة فوق أفنان أشجارها . ونامت ربة الدار باكراً على غير عاداتها لأن السفر وعناء الانتقال قد حطما قواها .

نامت يجسدها لكن عقلها كان يعمل عكس إرادتها . وفكرها مشوشاً يتنقل بها بين ذكريات ماضيها ثم يدور ويدور

ليثبت فوق نقطة معينة محور دوار في عالم جديد تجذبه قوة  
ممغنطة خارجة عن نطاق مفهوم البشر .

جاذبية الحب .. هل أحبته ؟ ومن أول نظرة ؟ .. لا  
والف لا .. انها غيمة صيف وستمزول كرفيقاتها ، لا لم تحب  
بعد فشلها بجبها الأول ولن تحب .. إنه الانتقام .. وتعيش  
لتنتميم ، لكن وسام من غير معدن الرجال الذين عرفتهم ..  
إنه مادة خام .. وسيكون لها . رجولته ، زنده المقتول .  
شعر صدره الكث الذي يطل من فتحة قميصه . النظرات  
الأسرة التي تشع من عينيه .. وأخيراً جوعها إلى الجنس ،  
نعم سيكون لها وبأية وسيلة . شعرت باختناق ويجو الغرفة  
يضغط عليها فتململت في سريرها وتقلبت ذات اليمين وذات  
اليسار لتفرج كربتها ، فلم يزددها ذلك إلا اختناقاً . ورغبت  
بالصياح .. وكان صياحاً مكتوماً .. رباه أي ضحك رميتني  
به ؟ وأخذ طوق قميص النوم الحريري يضيق حول عنقها مع  
أنه ذا فتحة واسعة ، ومررت يدها على رقبتها بتشنج وعصمية ،  
وكانها تقطع سلاسل حديدية . ونهضت صارخة .. هواء ..  
هواء .. اريد هواء ، وبقي صراخها دون مجيب لأن سلطان  
النوم كان حاكماً على الجميع . اندفعت نحو النوافذ المشرفة  
على الغابة وأزاحت الستائر عنها ثم فتحتها الواحدة تلو  
الأخرى . وتسرب نسيم الصنوبر الى الداخل وتغلغل في حنايا  
نفسها المرتعشة فشعرت بدبيب الكرى يداعب أجفانها ثانية .  
والقت يجسدها المنهوك فوق سريرها دون وعي واستسلمت  
لملك الوسن .



## في العرزال

ارتقى وسام درجات السلم الأثني عشرة بخفة النمر ورمى  
بنفسه فوق الفرشة الممدودة في العرزال القابع في قلب شبق  
السنديان الكبير المعرش وكانت روحه تطفح سروراً وبهجة ،  
كيف لا وجميع مواسمه تبشر بالخير الوفير ، فمن موسم الكرز  
الذي اشتهرت به بلده التي أصبحت مضرب الأمثال حيث  
يقال لكل نوع يراد التعريف عن وجودته ( هذا كرز  
بكستناوي ) الى الكروم التي اثقلت بعناقيدها ، إلى بساتين  
التفاح والإجاض وغيرها الدالة على الإقبال والجودة ، وأبقاره  
والمنحلة المتنكسة في آخر الجل الكبير قرب النهر وأهله  
وصحبه وكل ما يحيط به صحة وفرح وسلام . وأخيراً  
تتطرق بفكره الى نذر أبيه .. لا أود تأجير المنزل لأنني أود  
تدشينه بحفلة زواج وسام .. زواج .. وضحك متمهلاً .  
ليت ابي يعرف انني لا أحب الزواج الباكر وان في رأسي  
مشاريع كبيرة أود التفرغ لها قبل الزواج .. وهناك هذه  
السيدة الجميلة المتأنقة يا ترى هل أعجبها المنزل الجديد ؟  
وهل .. ماذا ؟ ماذا اسمع ؟ .. ونهض مع القمر وانسل

بصحبتها الى داخل غرفة نوم هناء • لأن العرزال كان يشرف  
 عليها مباشرة • ما بها ؟ أي خطب دهاها ؟ • لا شيء • •  
 ها هي تعود الى سريرها هادئة • • يجوز ان تكون مريضة •  
 بعد هذه الحادثة جفا النعاس أجفانه وتقاذفته لجح أفكار  
 ووساوس متناقضة أقضت مضجعه فجلس على باب العرزال  
 وسرح بخياله مع البدر يستشفه أسرار الغيب • وبينما هو  
 سارد مع تجوال تصوراته حانت منه التفتاة الى غرفة هناء ،  
 فوقع بصره على مشهد لم يألفه طول حياته ، فخفق فؤاده  
 وارتعشت اوصاله لكنه أشاح عنه تأديبا • • لا يحق له ان  
 يتصلص على منازل الغير • ان هذا تعدٍ على حرمة دور  
 الآخرين • • لا • لا اريد ، لكن روعة المشهد كانت تشده  
 اليها دون إرادته مسوقا مع فورة الشباب • الجو هادئ  
 تشوبه حرارة معتدلة تدعو الأجساد للتححرر مما عليها • والقمر  
 في ليلته العاشرة ينير دقائق محتويات الوجود حتى في داخل  
 الغرف المشرعة النوافذ ، وسلطان الوسن المسيطر على الأرواح  
 العلوية حرر الأجساد المادية من عبودية الأخلاق والعبء  
 فتقلبت في أسرتها دون حسيب ولا رقيب •  
 وكانت هناء قد تعودت الحرية وهي في كامل وعيها ،  
 فكيف وهي مستسلمة الى السبات العميق • • ووسام بروحه  
 النقية كان له جسد طمّاح المنجذب نحو الإغراء الممدد في  
 الداخِل •

صورة إلهام لرسام عبقري • • سرير خشبي بلون البرتقال ،



فرشه ديباج كالزهر صفاء وجورية حررت جسدها إلا من  
غلالة شفاقة سرقت من الساء زرقتها . وبحكم قلبها  
انحسرت الغلالة إلى أعلى فلمع البرونز مفضضاً تحت حرارة  
أنفاس البدر العاشق . أما هرماها الصغيران فقد اشربا إلى  
أعلى يتحديان العينين الناظرتين اليهما .

رباه .. رباه .. انني ضعيف ، أنقذني من التجربة أنا  
عبدك الخاطيء ، ودفن رأسه بين يديه . انقذني . ورن في  
مسمعه صوت والدته . ابتعد يا بني عن النساء الشريرات لأنهن  
علة العلل ثم جاءه نداء الضمير مردداً . ابتعد .. ابتعد ..  
وأفاق في جسده وحش كامن لم يدر بأية طريقة يسكنه ..  
ثورة تتقاذفه .. تتفجر في كيانه .. تصعد إلى دماغه ، ودمه  
يغلي في عروقه حاراً ملتهباً .. أية نكبة بليت بها ؟ .. انها  
الشیطان .. انها الشيطان .. و ..

وبفعل إيمانه بدأ بالصلاة فغفى وهو يتلو ما يحظر على باله  
من ترانيم دون التركيز على قطعة معينة .

ومع تنهدات الفجر هبت نسمة صباحية باردة ولفحت  
الجسد المكشوف فتململت هناء في سريرها وردت الغطاء عليها  
وعاودتها وسوس الأمس فلم تعد تقوى على الرقاد . نهضت  
متثاقلة وآثار الأعياء بادية على محياها .. ماذا تريد ؟ ماذا  
تقصد ؟ .. انها لا تدري . إن افكارها مشوشة ورأسها يدور  
كحجر الرحى ، ومع خفقات قلبها كانت تردد : وسام ..  
وسام .. الوقت باكراً والجميع نيام وما عليها سوى الانتظار .

لكن مضض الانتظار ثقيل ، وأخذت تزرع الغرفة ذهاباً وإياباً .

ولاحت منها التفاتة فشاهدت وسام ينزل من العرزال ويتوجه نحو البيت . فاندفعت تجاه النافذة دون وعي ونادت بأعلى صوتها . سيد وسام . . سيد وسام . . إنني بحاجة اليك . اندهش وسام للمفاجأة . انها بحاجة الي . . ؟ وفي هذا الوقت الباكر ؟ . . لماذا ؟ . . لا بد ان الأمر جلل .

صحت هناء من سكرتها . بماذا ستتذرع إن هو سأهلها ماذا تريد . . ما موقفها تجاهه ؟ . . وأتتها فكرة مفاجئة . المرض . المرض . . انها ستعارض وستسأله عن أقرب طبيب ، وتعمدت الظهور أمامه بثياب النوم . . انها ستهاجمه من أول لقاء .

صعق وسام للمقابلة الغير منتظرة وردد سراً : انها الشيطان . . انها الشيطان . . وأراد الفرار .

قرأت هناء ما يحول بفكره ورأت رعشته في عينيه . . إنه ساذج وليس بمجرب . . جواد صعب المراس . .

سيد وسام . . ما بك ؟ . . تفضل ادخل ، وتبسمت باعياء . ولج وسام الى الداخل دون إرادته وأشاح ببصره عنها . لكنه أحس وكأنها حية رقطاع تلف حول عنقه . أين منها ملاك الأمس ؟ أين لطفها ودماثة اخلاقها ؟ أين تحفظها ورزانتها ؟ أية صلة تربطه بها ؟ . . بالأمس عندما رفض والده تأجيرها المنزل شعر وكأن قطعة من نفسه قد سرقها سارق ما .



سيد وسام .. لماذا تشيخ ببصرك عني ؟ هل أخفتك ؟  
إنني .. وتركت له الخيار كي يستعيد وعيه .

وتمالك وسام نفسه قليلاً وأجابها دون أن يرفع نظره اليها .  
سيدتي .. إنك قد ناديتني وها أنا رهن إشارتك .. هل  
من خدمة أستطيع أن اسديها اليك ؟ ..

انني أشكرك على تلميتك ندائي .. كان عارضاً بسيطاً  
قد ألم بي .. لكن آثاره بدأت تزول رويداً .. ولم يعد لزوم  
إزعاجك . انه وجع رأس يعاودني في بعض الأحيان ..  
صرع ثقيل . هل يوجد أطباء في بلدتكم ؟  
نعم .. وبفضل نباهته علم انها حجة أرادت الوصول اليه  
بواسطتها .

وعرف انه قد لاقى في عينها حظوة ، وقرر ان يتقلب  
عليها .

اكتفت هناء بهجومها الأول وأخذت روباً خمري اللون  
كان على المشجب بقربها فلبسته ونادت خادمتها التي رأتها من  
فتحة الباب .

وكانت الخادمة قد صحت على نداء سيدتها عندما دعت  
الضيف . لكنها لم تحب إزعاجها لأنها تعرف طريققتها في  
الاستقبال وخاصة للطرائد الجديدة .

سيدتي .. انني اشكرك على حسن ضيافتك . وأود لو  
تسمحين لي بالذهاب لأنني صحت متأخراً وهذا وقت ذهابي  
إلى العمل .

لا .. لا .. إنه فنجان قهوة وتذهب . أتبخل علينا  
بهذا الوقت الوجيه؟

ابتسم وسام لأول مرة ونظر اليها بحرية ، وأراد أن  
يبادلها الهجوم .

سيدة هناء .. لقد أخرجت موقفني .. أهكذا تطورت  
الحرية عندهم .. الى حد ، وتوقف عن الكلام ليتثبت أفهمت  
مرماه أم لا . لكن هي فهمت وتعامت .

أية حرية تعني سيدي ؟ ..  
أيصارعها ؟ .. واحترار في أمره . كيف ؟ من أين يبدأ ؟  
أعني العادات في القرى غيرها في المدينة .

صرح .. صرح .. سيد وسام . اية عادات تقصد ؟  
وبدلت جلستها على المقعد المقابل لمقعد وسام فانحسر  
الروب قليلاً وانفجرت فتحته الأمامية ، فبان القسم الأعلى  
من جنبها السمرالوين وكانا أنصع رد لسؤاله .

طاش عقل وسام من قحتها وإباحيتها وود لو يستطيع  
أن يصفعها ويصق في وجهها قائلاً : سافلة . منحطة . لكن  
امنيتها بقيت طي ضميره الصارخ ، انها الشيطان .. انها  
الشيطان ..

سيد وسام .. أراك تكتم عني شيئاً تود البوح به لكننه  
يقف على شفتيك . وكانت تعلم أية صفة ينعتها بها قبل أن  
ينطق . لكنها أرادت أن تتلاعب بعواطفه .  
هلا أفصحت عما تريد ، وأعدك بأن أكون صريحة معك .



سيدتي .. ان الأمر لا يتعدى كونه خاطراً عابراً لا يستحق الاهتمام .. وتعلق نظره بباب المطبخ وبداخله نداء يستحث الخادمة على الإسراع بفنجان القهوة ليتخلص من مأزق وجد به دون إرادته .

وسعت هناء جلستها فانفجر الروب أكثر فأكثر وبانت مخبات كنوزها ، ثم علت ثغرها الكرزى ابتسامة آسرة .  
سيدي .. انني غريبة هنا والغريب أعمى . أتتكلم وتخبرني ببعض عادات بلدتكم كي لا أقع بمحذور ألام عليه فيما بعد .

قهقهه وسام في داخله وكاد ينفجر من الغيظ . إلهذا الحد تستخف بي ؟. إنها كالحرباء تلوناً . وصمم على مجاہبتها ولو أدى ذلك لإغضابها وحتى لطردها إذا أمكن الأمر .  
سيدتي .. قالها بتهمك .

إن أول العادات الغير مستحبة عندنا هي جلستك هذه .  
وأشار إلى روبرها المنفرج .

شعرت هناء بجفرف الأنثى وتورد خداهما كجمرات كانون . فلهلمت نفسها وتكورت على ذاتها ، إذ رأت دماء كرامتها تسفح أمام ناظرها ، لكنها لم تفقد رباطة جأشها .. إنه وقح .. وعلى غير الصورة التي تخيلته بها سابقاً . ثم عدلت خطة هجومها ..

سيدي .. إنني أشكرك على ملاحظتك هذه . لكن هذا شيء لا أهمية له عندنا .. إنها الحرية يا وسام . وكل امرئ

يستطيع أن يعيش على هواه في المدينة .. إنها الموضة ..  
وكان حديثها ببساطة متناهية .

سيدي .. إنها مجرد ملاحظة فقط ، وأنت حرة في  
تصرفك داخل منزلك . ولكن في الخارج هذا شيء مستهجن ..  
وشدد على كلمة الخارج .

شكراً على ملاحظتك سيدي ..

وحضرت الخادمة بإيماءة من سيدتها فقطعت عليها الحديث .  
ثم قدمت القهوة إلى وسام فرشف فنجاناه على عجل وانصرف  
معتذراً .

تأتق عفيف بلباسه ورش على نفسه كثيراً من العطور على  
غير عادته . ونظر الى ساعته متأففاً . ان مواعده مع كليز  
في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وساعته الآن تشير الى الثانية .  
ان الوقت ثقيل وهذه الساعة تسير ببطء .. ليتها تسرع ..  
وبدأ بحساب الزمن الباقي له قبل الموعد ، كيف يقضيه الى  
أن يحين اللقاء .

الطريق الى المرات .. ربع ساعة . ولنفترض انهن  
حضرن الى الموعد قبل ربع ساعة ايضاً .. هذا نصف .  
والباقي ؟ . أيزهد الى بيت خطيبته ويتلها معها ببعض  
السخافات ؟ .. واتجه تفكيره إلى ناحية اخرى . خطيبته ؟ .  
لماذا يعد الوقت معها تلهياً وسخافات ؟ .. هل استنفذ كل  
عواطفه نحوها ؟ .. ألم يعد عنده ما يبشها من لوايح  
غرامه ؟ وهل ؟ . وهل ؟ . وهل تبدلت عواطفه لهذا الحد يا



تري ؟ . أسئلة لم يتلق لها جواباً سوى برودة لاذعة لفت قلبه  
بعشاء صفيق .. إنه مجرم .. دجال .. وكل كلمة ينطق بها  
نحوها طعنة في صميم الوفاء . لماذا ؟ . وشعر بذله .. إنه لا  
يدري .. لا .. لن يذهب اليها وفي قلبه هذه البرودة ..  
سيذهب الى المردات فوراً .

كان في خاطر كبير نفس الإلحاح وفي قلبها ذات النجوى .  
فتخطت الوقت وذهبت الى المكان المعهود قبل الوقت المحدد  
بساعة تقريباً ورجاؤها ان يكون في قلب فارسها ما بقلبها  
من توق وحنين .. وكان حدثها في محله إذ شاهده على ذات  
الراية ونظره معلق على منعطفات الطريق . فتألفت نفسها  
شعاعاً . إنه يفكر بها .. إنه .. وهل يجبها ؟ سؤال طرحه  
قلبها على نفسها .. لا أدري . ربما .. ووصلت إلى نفس  
الصخرة ، صخرة السكاري فنادته لتوها . عفيف .. هلو  
عفيف .. ولوحت بيدها ولوح لها ايضاً . ثم حضر على الفور  
فاستقبلته بحفاوة وترحاب .

أما رفيقاتها فلم يضعن الوقت فنشرن حوائجهن هنا  
وهناك . وبدأن بتحضير التبولة .

عفيف .. ظننتك ستحنث بوعدك ، وتحيب أملي فيك .  
ورنت إليه بنظرة ولهى .

لماذا شككت بوفائي لوعدك ؟ .. هل بدر مني ما يدل  
على ذلك ؟ ..

لا .. لكن خطيبتك .. قاتل الله الشك ، قلت إنني في

حياته عابرت سبيل .. وسكنتت لترى ما مقدار قوة مفعول  
قنبلتها ..

وقف طيف آمال بينه وبينها فارتعدت فرائصه . لماذا  
دائماً خطيبي في الوسط ؟ ألم آت لموعدها وكفى ؟ . انها  
حواء . انها الغيرة .. خطيبي ، وما دخل خطيبي بيننا ..  
لها وقتي عندما أكون بصحبتها، وبعد ذلك أنا حر التصرف ..  
أهي الغيرة يا ترى ؟

فقهقتها كليل عالياً .. الغيرة ؟ .. ولماذا أغار ؟

الجواب عندك .. لست أدري ..

الجواب عندي ؟ .. لست تدري ؟ هل أستطيع أن أفهم

ما ترمي إليه ؟ ..

لا شيء انه تخمين فقط ..

كليل .. ألم نأت لسوى الحديث ؟ .. تعالي وساعدينا .. وإلا ..

وإلا ماذا ؟ ..

وإلا سنحرمك من الأكل لأن التي لا تعمل لا تأكل ..

أنت عفريته يا أوديت .. وإذا ذهبت وساعدتكن أترك

السيد عفيف وحيداً ؟ . وهل هذا يليق بنا ؟ وكانت قد

انتححت به صخرة قريبة .. لا .. لا أظن هذا يجوز .

لعبت الوسواس برأس عفيف . إنه معها وحيداً . وهي

شبيهة .. لقمة سائغة .. إنها تدفعه لماعتها . تتحرش به ..

وصدرها ونهداها النصف عاريان .. وفسطانها الضيق .. لكن

لا ، الحيانة ، الشرف ، وأبي ضير إذا لاعتها ؟ .. أليست



هي التي تريد ذلك ؟ وأتقذه من ورطته قدوم أوديت .  
إن التبوله قد انتهت هيا إلى الأكل .  
عضت كليز على شفتها من الغضب لأنها شعرت بسيطرة  
أوثتها عليه .. وكادت تغويه ..  
ونظرت إليها أوديت نظرة ذات مغزى .. إنه ليس لك  
وحدك كي تستأثري به .

كانت التبوله شهية خصوصاً وشلة من الحسان يتحلقن  
حولها .. وكان عفيف بينهن كالأمير مع جواريه . هذه تضع  
له لقمة في فمه ، وتلك تقدم له أخرى . وأخرى تسرق ما  
بيده ، وهو معهن كالمأخوذ لا يصدق ما يرى ، وأكواب العرق  
والنبيذ تنعاقق بنشوة وفرح .

كاسك سيد عفيف .. هل أنت مسرور بيننا ؟ ..  
وتسألين أنا مسرور بينكن ؟ .. وقهقهة ثملاً بفعل خمرتين  
لم يتعودهما طوال حياته .. دماء الكرمة .. وكرم الحسان ..  
أبعد هذا السرور سرور ؟ لا وحق مبدع الأكوان .  
لعبت الخمرة برأس كليز ، ولعبت أشياء أخرى يجسدها .  
فألقت بصدورها على عفيف وكادت تقبله لولا خوفها من  
الرفاق . فانعصر نهداها على المنكب العريض وانقلت منها  
إشعاع ممغنط تسرب الى قلب الفارس المحظوظ . لكنها لم  
تدع الفرصة تفوتها فأطبقت على اذنه بعطرها .. الى الرابعة .  
اسبقني الى الرابعة . سأوافيك بعد قليل ، وتكررت المواعيد  
وتكرر اللقاء .. وكان ما كان ..

## كسف الخبائث

ذبلت آمال كسراج نضب زيته وانطفأت جذوة البهاء فيها ،  
فرق عودها واصفر لون وجهها وترك الأرق حول عينها هالة  
سوداء كقلبها تماماً . انه اليوم الخامس على التوالي الذي وافت  
به عفيفاً إلى مهد غرامها ولم يأت . فشهدت السنديانة مأساة  
فؤاد عضه الهجران . بناب الفراق فعمق الجرح وقبحه .  
وانهطل من المآقي دمع مدرار رق له المقعد الحجري رفيق  
احلام الأمس ، وغسل جذع السنديانة شاهد العهود العذاب ،  
وروى وزود واعشاب الهوى العذرى البكر سراب الاخيلة  
المشعة بالصدق والأخلاص . عفيف .. نعم انه عفيف رفيق  
صباها لقد انقطع عنها .. انه يحونها مع فتيات دخيلات ..  
انها تحققت من ذلك بعد مراقبته أمس .. انها رآته وهي في  
طريقها إلى الكروم في المردات بصحبتين . رباه ماذا اعمل ؟ ..  
ارشدني يا الهي انر سبيلي . رده الي ، وشهقت ببكاء صامت  
متقطع ، ثم سمعت وقع خطوات قادمة نحوها ، أهو عفيف ؟ ..  
هل استجاب الرب لدعائي ؟ هل حن لشقائي ؟ . هل أشفق  
على صباي ؟ . رباه أي شيء يبقى لي في هذه الحياة إذا



فقدته؟ . انه لجسدي بمثابة الروح .. الموت من بعده .. نعم  
الموت . وكان ترديدها لهذا الهذيان بصوت مسموع فتلقفته  
آذان القادم وتسمر في مكانه .

أي ذنب اقترفته تجاهه؟ أي جرم جنته عليه؟ ألم تهيبه  
نقاوة قلبها؟ . وعفاف روحها؟ .. وها هي تنزله بالمنزلة الاولى  
بعد الله . انه مجرم . سفاح . لا يحق له تدنيس هذه الزنبقة  
الظهور وانكفاء على نفسه يود الرجوع .. لا .. لا سيتوب ..  
سيكون لها بكليته .. انها خطيبتها ، وهن بائعات لذة ،  
فاقدات العفاف .

اللذة؟ .. العفاف؟ . وقهقه الرجل المشبوب في داخله ..  
هل اروع من رشف اللذة من عدة ينابيع ومناهل؟ . والعبث  
بالعفاف المزروع في الرياض العامة؟ انه التنوع .. انها الحرية ..  
ولكل زهرة عبير .. تنقل كالفراشات بين الاقاصي . كن  
كالنحل بين الحمائيل . ان جودة العسل في تنوع الرحيق  
المجنى .. أنت عايشتها في طفولتها وتطورتما لحد البلوغ ،  
وبعد النضوج كانت فتاة خيالك ورفيقة صباك .. وهي الآن  
خطيبتك .. اجبني .. لماذا تجبن؟ في طوال هذه المدة الزاهرة ،  
روعة العمر ، هل تذوقت بعضاً من حلاوتها؟ هل نهلت من  
معين لذاتها؟ .. هل افرحت شبابك بمتعة انوثتها؟ .. لا ..  
وألف لا .. عهود ومواثيق ونجوى هذه كانت حياتك معها  
وخفق فؤاده .. انها تبكي .. تتألم .. تتعذب لأجلي ،  
ستكون امرأتى في القريب العاجل .. لماذا اتخطى الحواجز؟

الدين .. الكرامة .. الشرف ، ووصايا الله العشر . ان  
الزهرة المباحة التي تتناقلها الأيدي تفقد قوة شذاها . والينبوع  
الذي تتكاثر عليه الأرجل تنعكر مياهه ويفسد طعمه ..  
والمشاركة في الأشياء تمحو بهجة التملك ..  
وتقدم نحوها برهة ووحل . فرفعت رأسها إليه وندت  
عن صدرها زفرة مكبوتة .

آه .. عفيف .. هذا لا يصدق . انه طيف ، انها رؤيا .  
وخنقتها العبرات فدفنت رأسها بين طيات ثوبها الفضفاض .  
أمال .. حبيبتي أمال .. إنني هنا .. نعم أنا عفيف ..  
بلحمي ودمي .

لا .. إنك لست عفيفي ، عفيف الذي أحبه ، إنك  
عفيف الآخرين .

أمال ، أي خطب دهاك ؟ .. لماذا البكاء ؟ . أنا هنا  
انهضي .. انظري إلي . بربك أمال .

أما أمال فبقيت على حالها ، بكاء .. وبكاء .. وبكاء ..  
ووقف عفيف فوق رأسها لا يجروء على لمسها . ما هذا الجلال ؟  
ما هذه المهابة .. إنها آلهة .. آلهة . إنها ليست كالأخرين ،  
هل يهرب ، هل يفر من خذلانه ، بأي عذر سيتذرع ..  
عفيف الآخرين .. هل وقفت على أمره .. وصدم عقله  
بفاجعة أخرى ، هل أخبرت والديها ، ووسام هل علم بجنايته ،  
كيف سيقابلهم ، بأي وجه ، وأشكل عليه الحل لكنسه  
قابله في السوق عند الظهر . وكان في منزل حمويه منذ هنيهة ،



لم يلاحظ أي تغيير في معاملتها تجاهه .. وخرج باستنتاج ..  
لم تجربهم .. وشعر بارتياح ، سيبدل معاملته معها ، سيصلح  
غلطه .

أمال .. هل سنبقى على ما نحن عليه .. انهيضي .. وتقدم  
نحوها ثم رفع رأسها بين يديه ، لا .. ابتعد عني .. دعني  
لشقايتي ، إنني تعسة منبوذة .

وشعرت أمال بشورة .. برغبة في طرده .. بالثأر  
لكرامتها الذبيح .. إنه كان يرافق غيرها .. وربما .. يا  
للهول .. وودت لو يتوقف تفكيرها عند هذا الحد ، لكن  
خيالها اخترق حب البعيد وتوضحت لها الحقائق .. إن الأثني  
لا تجذب الشاب اليها إلا إذا أعطته بعضاً من انوثتها .. إنها  
حواء وتعرف أسرار بنات يجدها هل أعطينه ما تجلت هي عليه به ..  
نعم هي الحقيقة وهو الواقع .. وأحست بسيطا الغيرة تلذع فؤادها  
وبمرجل الحقد تغلي في عروقها .. ستطرده .. لا .. سيذهب اليهن ،  
سيستأثرن به ، لكن نصائح والدتها ، تربيتها الحسنة ، قدسية  
العفاف ، كلها عقبات وقفت حائلاً دون بغيتها ، لا .. انها  
لن تعود لذلك حتى ولو بالفكر .. ألم تتعلم فعل الندامة منذ  
حداثتها .. اخطأت لك يا رب بالفكر والقول والفعل ..  
أنا خاطئة ، أعفر لي يا الله ، يا إلهي كيف احتفظ به ؟ .

أمال .. معبودتي .. أمال .. إنك تقطعين بتمهيدائك  
نياط قلبي ، اشفقي على حينا ، على ..  
لا .. لا تكمل .. إنك تجدف على الحب .. تطعن الوفاء

بالصميم ، أنت .. وكادت تخرج كلمة خائن من فمها .. لكن  
 شيئاً ما منعها عن إتمامها .. لا .. لن تجرح شعوره لأول  
 صدفة ، إنها تجبه ، ستدأريه عليه يرجع عن غيه .  
 أنت خائف من قول الحقيقة ، قل لم أعد أحبك ، إن  
 الصراحة خير من التضليل .  
 حبيبتي .. أية أفكار سوداء تضعينها في رأسك .. أية  
 أضاليل تدعينها ، أنا لك يا معبودتي ما حنيت .  
 ودق ناقوس التنديد والتأنيب في ضميره ، لماذا المراوغة ،  
 إنه قادم لتوه من بين أحضان كليز .. إذا كذب عليها  
 وصدقته أيكذب على الله أيضاً ، الله ، وأي دخل له في  
 الموضوع .. أين هو الله .. أليس الله وهم ، بدعة اخترعها  
 ذوو الأدمغة المتفوقة ليسيظروا بواسطتها على ضعاف الإرادة .  
 لكن .. وصدوم بماضيه القريب . بالراحة والسلام الداخلي .  
 بالهدوء الضمني عندما يستنجد بذكر الله . الله قوة وجمال .  
 وعقل وحكمة . إنسانية وضمير . أشياء تعلمها من والده  
 ووالدته ، من خلال الجو الهاديء الذي يلف بلدته . إن  
 الحرية المطلقة طريق للانحلال الخلقي الذي يبابه المجتمع .. إنه  
 سيتوب . إن الرجوع عن الشر فضيلة ، وجاءه سؤال آخر .  
 هل التمتع بمفاتيح الغير شر .. وصمم على شيء .  
 أمال .. وأخرج مندبيله من جيب سرواله ، ولملم حبات  
 اللؤلؤ المتدحرجة على الوجنات الذابلة .. قاتل .. سفاك ..  
 خائن ، ردد سراً وود لو ناب فمه عن المندبيل بامتصاص



قطرات الطل . لم لا . تأليست حبيبته وزوجة المستقبل .  
 إنها شهية ، فاتنة ، سيقبلها ، وارتعشت شفتاه ، آمال .  
 وكانت آمال في حالة ذهول . وفي داخلها استسلام .  
 ستكون له . شفتاه من نار تلهب عواطفها ، ليته يضمها إلى  
 صدره العامر ، يشدها بين ذراعيه .  
 الرغبات متبادلة ، لكن الخوف ، الرهبة ، جدار من  
 جليد ، سد بين نارين .  
 ساقهر الخوف وأتغلب على الرهبة واحطم الجدار . انها  
 لي . . في شفتيها نداء . . وفي عينيها خضوع ، فرصة سانحة ،  
 من أين أبدأ . . وشعر يجبال من رصاص تملأ رأسه فألقاه على  
 صدرها دون وعي . زادت نبضات القلب الواجف للمفاجآت  
 الغير منتظرة وتسارعت دقاته فالتقطتها محطات القلب الآخر  
 وامتزجت الذبذبات وتجانست الألحان وألف أجمل وأروع  
 سمفونية في الوجود . ومع الموسيقى الرتيبة الصاعدة من  
 القلبين تلمل رأس الحبيب رويداً رويداً إلى أعلى فتلمس نهدي  
 الحبيبة الراحشين ، ومرت الشفاه على فرجة الصدر الصغيرة .  
 ثم تقابلت النظرات والتقت الشفاه بقبلة دافئة لو فرق خمرها  
 على سكان العالم أجمع لسكروا وناموا نومة أهل الكهف .  
 لكن سكرة آمال لم تدم طويلاً فوعت نفسها بين أحضان  
 حبيبها . . لا . . لا يا عفيف . . ماذا صنعت ؟ أي جرم  
 اقترفناه ضد مقدسات الله ؟ وتملمت من بين ذراعيه وشعرت  
 برغبة في الفرار من نفسها . . من عفيف . . من الله . لكن

أين المفر والخطيئة ماثلة أمام ناظرها •• ونار القبلة الأولى  
تحرق ثغرها •• إنها عاهرة •• وخنقت رغبتها العبرات •  
بنظرة الأم الثاقبة شاهدت السيدة رفقة تبديل حالة  
وحيدتها •• وكانت تراقب هذا التبدل بكل روية وسكون  
كبي لا تحرجها وتزيد آلام فؤادها •• لكن قلبها كان يتفطر  
هلعاً عليها •• وكانت تعلم ضمناً سبب هذا التبدل •• نعم إنه  
عفيف ولا بد أن يكون سوء تفاهم قد وقع بين الخطيبين •  
غيمة صيف وستزول •• وتحيرت في أمرها •• لماذا الخلاف •  
أتسأل أمال •• كيف ستفاتحها بالأمر •• وأتتها فكرة •• في  
المداورة طبعاً ••

أمال •• أمال •• لماذا لا تردي ؟

وكانت أمال غارقة في لجج أفكارها ويداها تعملان في  
حياكة خرج من الدنتلا البيضاء ••

آه •• نعم •• أتناديني أنا ؟

نعم أنت •• وهل انادي المحيط ؟

أماه •• وشعرت برغبة في البكاء •• لكنها حبست

دمعتها كي لا تفضح أمرها •• ماذا تريدن ؟

أراك على غير طبيعتك •• هل أستطيع أن أفهم معنى

ذلك ••

على غير طبيعتي ؟ أتخبز والدتها •• أتسرهما عظم مصابها ؟

أتقاسمها عبء فجيعتها ؟

وترددت •• لا •• ليمقى سرها لها تجتره مع الوحدة



والأنفراد .. لا .. إن رأسي يؤلمني وأشعر بقليل من الإرهاق .

أهو الوتاب يا ترى ؟ أتأخذين بعض حبات الأسبرو ؟  
لا أظن انه ألم عابر .. وقريباً سينزول .  
أمال .. وربت على كتفها بيدها المعروقة . إنني والدتك  
يا بنيتي .. هل تخفين علي أمراً ؟  
أمي .. واغتصبت ضحكة صفراء ، أي أمر تظنينني  
أخفيه عليك ؟

وهل عندي ما أخفيه ؟  
لست أدري .. لكن هذا الذبول فيك لا أظنه طبيعياً  
كما تدعين .

وهل المرض ادعاء ؟  
أأنت مريضة ؟  
ليس مرضي بالمعنى الحقيقي . لكنني أشعر بكسل مضني  
وحيلي مكدود

وكانت والدتها تعلم سر مرضها مسبقاً .. أخرجها  
فتخرجها .. لا .

فلتدع ذلك للوقت وهو وحده كفيل بتوضيح الواقع .  
لكن أتعها تعاني آلام حرقتها دون أم تمد لها يد المساعدة ؟  
طبعاً لا . إن دواء هذا المرض التسلية ، النزهة ، الترويح  
عن النفس .. الى أين ستهبان .. واستعرضت في مخيلتها  
جميع صديقاتها .. ام نخول . ام جميل .. بيت عبدو ..

وأخيراً هناء • نعم هناء نزيله دارهم الجديدة • • لها عليها  
حق المباركة • وهذا ما تقتضيه آداب اللياقة • • ستذهبان  
اليها فوراً •

أمال • • إننا لم نبارك للسيدة هناء بانتقالها لدارنا ،  
وهذا عيب نؤاخذ عليه • هلمي لنزورها يا حبيبي •  
أماه • • أعفني من هذه الزيارة • انني متعبة • إذهبي  
اليها وحدك •

ماذا لا يمنع يا حياتي • • ان الترويح عن النفس يفيدك  
ويسليك •

اماه • • بحقك دعيني • انني • •

أمال • • يجب أن نذهب • هذا واجب •

ودخل وسام فسمع طرفاً من الحديث • وود لو يمنعهما ،  
لأن قلبه كان دليله • • إن هناء ستجلب لهم شراً لا يعرف  
مصدره • بأية طريقه سيخبرها ؟ • لا يجب أن تشعر بما  
حدث بينه وبينها • • يجب ان يتجنبوها قدر المستطاع •  
وأشكل عليه الأمر •

اماه • • لقد مررت على بستان الخوخ ورأيت ثماره  
ناضجة واخبرني عمي ابو مخول البارحة بأن الأسعار في بيروت  
جيدة • فتشاورت مع والدي منذ هنيهة وصممنا على القطف  
الآن • وأنا بحاجة لأمال كي تساعدني لأن الوقت متأخر  
ولا أستطيع ان احضر عمالاً •



وفيك الله يا ولدي • لكن شقيقتك مريضة لا تستطيع  
مساعدتك •

مريضة ؟ خير إن شاء الله •

إن الأمر ليس مهماً كثيراً • رأسها يؤلمها وأظنه وقاب •  
أستطيع مساعدتها ؟  
وتقدم نحو أمال بلهفة ثم وضع يده على رأسها ، فوجد  
عليها بعض الحرارة •

لقد افزعني قلبي • وقاك الله من كل شر •

لا عليك يا اخي • • واظنني اقوى على مساعدتك •

لا ، لا يجوز ان تجهدى نفسك • سأنادي عفيفاً ونتعاون  
على العمل •

عفيف ؟ ورقص قلبها فرقا • وصعد الدم الى رأسها •  
إنها لا تود رؤيته ، انها تخاف حتى مجرد التفكير به • لكن  
أنى لها ذلك • وهو يعيش كل ثانية تحياها • كل نسمة هواء  
تنشقها • وتحسست شفتيها بيد ذاكرتها فألمتتها نشوة القبلة  
الأولى • وصدمت قدسية عفافها بواقع ذلتها فبكى ضميرها دماً •  
لم يلاحظ وسام تغيرها • لكن والدتها لم تفتها هذه  
الحركة ولو كانت عابرة • وتحققت ظنونها • نعم إن وراء  
الأكمة ما وراءها • اذهب يا ولدي ساعدك الله • وانا ذاهبة  
بصحبة شقيقتك لزيارة السيدة هناء •

اسقط بيد وسام • فلتمذهبا ولنا الله عوناً على كل شر •

بعد ذهاب وسام من عند هناء ، دفنت كبرياءها بقبر  
مذلتها .. لقد أهانني . جرح كرامتي . سحق قلبي . استخف  
بجمالي . بانوثي . إنه وقح . جميل . قوي . سأنا له ولو دفعت  
حياتي ثمناً لبغيتي .. لكن كيف السبيل اليه وهذا السور من  
الشهامة يحيط به . الشهامة ؟ وقهقت تهكماً . إن أهل القرى  
ساكني الجبال بلهاء . يعيشون على أطلال ترهات بائدة ويظنون  
أنفسهم ملوك دنياهم .. رهبان يعيشون حياة التقشف في  
صوامع الخيال . لكن ما لي ولهم . إن بغيتي زنبقة من مشتل  
رياضهم الزاهرة وكفى .. وصحا ضميرها من سباته العميق ..  
ألم تكووني يا خالعة العذار من الجبل الأشم الذي تتجنين عليه .  
ألم تكووني إحدى زهوره المفضلة .. وقد رواك من شرايينه  
ماءً عذباً سلسبيلاً . إنك جاحدة .. ناكرة الجميل .. وضاع  
صوت ضميرها في وادي شهواتها ورغباتها الجسدية .. إنه لي ..  
سأ تغلب عليه . ومننت نفسها بالآمال العذاب .

مضى الوقت سريعاً ووسام يتجنبها فيأتي إلى عززاله  
متأخراً ويبرحه قبل بزوغ الفجر . إنه يأبى حتى الظهور  
أمامها .. إنها تود رؤيته ولو من بعيد . وعاشت وقتها على  
انطواء وأهملت جميع مواعيدها ، فلا ذهاب إلى المدينة ، حتى  
ولا نزهة خاطفة في منتزهات البلدة . وأصدرت تعليماتها إلى  
خادمتيها .. لا يجب أن يدخل علي أحد إلا بعد إخباري عن  
هويته ولو كان أقرب المقربين إلي إلا إذا كان وسام فادخله  
دون استئذان .. وكانت تعيش على أمل أن يعود اليها .



لكنه خيب رجاءها بعدم ظهوره .  
طرق الباب في المنزل الكئيب . فأطلت جميلة من الناضور  
الصغير لترى من الطارق . وفوجئت بام وسام وأمال تقفان  
على عتبة الدار ، فوقعت في حيرة ، أتفتح لهما ؟ . لا ، إن  
سيدتها لم تسمح سوى لوسام بالولوج إليها دون استئذان ..  
ستخبرها بأمرهما .

ان الست رفقه وابنتها في الباب سيدتي .  
من ؟ ام وسام ؟ .. ونهضت سريعاً ثم هرولت نحو الباب .  
كيف لم تفتحي لهما يا شقية ؟  
فارتعبت الخادمة .. إنها أوامرك سيدتي .. أن ..  
ولم تستمع هناء لبقية الأعدار لأنها كانت قد أصبحت  
عند الباب ، وفتحته بلهفة .. أهلاً بوالدتي الحنونة .. أمثلك  
من يقف على الأبواب ؟ لكنها الخادمة .. وسوف أضعها تدفع  
ثمن غلطتها .

تعجبت ام وسام من هذا الاستقبال الملهوف .. لكنها  
عزته الى حسن ضيافة هناء .

لا عليك يا ابنتي . جميع الأبواب تقفل بإرادة أصحابها ..  
لكنها تفتح في وجه قارعها .

أهلاً .. أهلاً سيدتي .. أهلاً أمال . وانكبت على يد ام  
وسام فقبلتها ، واحتضنت أمال وكأنها أعز عزيز لديها ،  
فأوسعتها تقبيلاً وبادلتها أمال القبل . ثم أفسحت لهما صدر  
الدار .

سيدة هناء .. لقد تأخرنا عليك بزيارتنا فالرجاء منك  
عدم المؤاخذة .. لأن ..

لا .. لا سيدتي .. إنني أعد زيارتك لداري المتواضعة  
شرفاً كبير . وأنا منذ اللحظة الأولى التي قابلتكم بها اعتبرت  
نفسي فرداً من العائلة . وكل أملي أن أحظى بعطف امومتك .  
لأنني فقدت حنان الوالدة وأنا طفلة أحمو . وعشت وحيدة  
حتى الآن بعد أن فجعني البين بوالدي . ثم بزوجي الحبيب .  
وذرفت دموع حارة لا أحد يعرف ، أهي صادرة عن قلب  
صادق عضه الموت بناب الحرمان . أم دموع تمثيل وتدجيل .  
كفكفي دموعك يا ابنتي . ان الموت سيف مسلط فوق  
رقاب الجميع .. واحتضنتها بعطف وحنو .. إنك ابنتي منذ  
الآن . وهذه شقيقتك بعهد الله . قبلها .. قبلها يا أمال ،  
إن هناء شقيقتك الكبرى . واختلطت دموع الأختين لأن  
أمال كانت تريد منفذاً للبكاء ، كي تروح عن نفسها ، فوجدت  
في دموع هناء خير معين . وبكتا ولكل منهما في البكاء  
ظنين .

امي الحبيبة .. إن لساني يعجز عن شكرك على هذه  
الهدية الثمينة التي أتحتني بها .. وفكرت قليلاً ، وامتد  
تفكيرها إلى عقد من اللؤلؤ لا يقدر بثمن كان معلقاً في جيبها  
فخلعته ووضعته في عنق أمال .

سيدتي .. أرجو أن لا تردي رجائي هذا .. إنه عربون  
وفاء ومحبة .



عقدت المفاجأة لسان الضيفتين فلم يسعهما سوى القبول  
بالأمر الواقع .

بعد هذه الزيارة القصيرة توثقت عرى الصداقة والبنوة بين  
الأسرتين . وأصبح الداران وكأنهما واحد . إذا ضاعت آمال  
وجدت في منزل هناء . وإذا طلبت هناء كانت في بيت السيد  
نديم . وأظهرت الدخيلة المتطفلة مع أهل الدار كرماً زائداً ،  
فأنحفتهم بالهدايا ووضعت كل ثروتها تحت تصرفهم . . لكن  
عزة النفس وكرم الأخلاق وشيمة القروي الأصيل ، منعتهم  
من قبول أي شيء إذا كان في حدود عدم جرح كرامة الضيفة  
في نظرهم .

كانت كل هذه الأحداث تقع تحت نظر وسام وبصيرته  
ولا يجد أي مأخذ يستطيع أن يحاسب هناء عليه . لأنها  
بدلت خطتها نحوه وأظهرت في معاملتهم كل تأديب وحشمة  
كي تكسب ثقته عن غير طريق الإباحية ، عليها تستميله  
اليها . لكنه في سريره كان يتجنبها ولا يجتمع بها إلا قسراً  
عندما يجد في عدم مجالستها إخراجاً من أهله . وكانت والدته  
قد أخبرته بقصة تبني هناء ورجته ان يعاملها كعامله آمال .  
وسقطت ذكرى آمال على قلبه كنصل مسنون . . إن العشرة  
الفاسدة شر من الفساد . . ان الفتاة تنزع الفتاة . . والشاب  
يفسد الشاب . . كيف ينقذ شرفه من بين اشدق هذا الغول  
الهائل . . كيف يبعد شقيقته عن هذه الحية الرقطاء قبل ان  
تنفث سمها في حيانها وافكارها ؟ مهما كانت الحصانة حول

العفاف قوية لا بد أن تسقط أخيراً .. لأن الإنسان ضعيف  
بطبيعته .. والمداومة على الشيء تساعد على إدامانه ..  
وكان عنده عذر .. لم يبق من الصيف سوى اقله .  
وستزول هذه الغيمة مع زواله .. ومن بعده لكل حادث  
حديث .

سبحان من جعلنا من دونه آيات كثيرة  
عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم .  
قوله قل يا ايها الناس اتقوا الله ان الله له  
الكرام والاشهاد . وقوله قل يا ايها  
الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له العرش العظيم .  
قوله قل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله  
ان الله له العرش العظيم . وقوله قل يا  
ايها الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له  
الكرام والاشهاد . وقوله قل يا ايها  
الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له العرش  
العظيم . وقوله قل يا ايها الذين آمنوا  
اتقوا الله ان الله له العرش العظيم .  
قوله قل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله  
ان الله له العرش العظيم . وقوله قل يا  
ايها الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له  
الكرام والاشهاد . وقوله قل يا ايها  
الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له العرش  
العظيم . وقوله قل يا ايها الذين آمنوا  
اتقوا الله ان الله له العرش العظيم .  
قوله قل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله  
ان الله له العرش العظيم . وقوله قل يا  
ايها الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له  
الكرام والاشهاد . وقوله قل يا ايها  
الذين آمنوا اتقوا الله ان الله له العرش  
العظيم .



## طريدة... وصياد

طويت الأيام في سجل الزمن وتلاحقت تدفع بعضها بعضاً . وشهر آب قارب على نهايته والطريدة ما زالت بعيدة عن متناول يد الصياد . نعم إن هناء قد افرغت كل حيلة في يدها ولم تستطع استمالة وسام . فلا إباحيتها في البداية ولا ادبها المصطنع الآن .. ولا .. ولا .. إلى آخر ما هنالك من ضروب الإغراء قدرت على تحويل وسام عن تصميمه على الجفاء .. إنه صخر .. سر معلق . ليس من معدن الرجال .. اقوى من الإغراء .. لكنه جسد .. إنسان .. ولا بد ان يسقط في النهاية .. وسلكت في إيقاعه طريقة أخرى .. الإباحية المطلقة أفضل وسيلة لبلوغ مرادي .

الجو دافئ ، والقمر يتكبد قبة السماء ، والعززال خال إلا من بعض عناقيد العنب المدلات من سقفه وعلى جوانبه . ونزيله لا يأتي اليه إلا بعد ان يكون قد انهكه النعاس وهد جسمه الوسن . والساعة تشير الآن الى العاشرة مساء .. لماذا لم يأت ؟ لماذا تأخر .. أوجد امرأة غيري في حياته ؟ .. يجوز .. أهى اجمل مني ؟ .. ووقفت امام المرأة .. إن

اعوامها الثلاثين لم تحمد جدوة انوثتها .. إن الذي يراها لا يحط لها من العمر سوى عشرين سنة . إنها اصغر من سننها بعشر سنوات . وهذا انصع دليل على وضاعة جمالها .. إذن بماذا تفاضلني يا ترى ؟ وقلبت شفقتيها . كثيرون من الرجال لا يتمتعون بنوق رفيع . ويجوز ان يكون هو منهم . وتوقفت بتفكيرها عند هذا الحد ، لأن قوة ارادتها تحولت الى بصرها . كيف لا ووسام يتخطى درجات سلم العرزال كريم طريد .. وفعلاً بدأت المطاردة .. إنه لها وسيكون .. وبدأت بالتعري عندما لاحت اول نظرة من وسام نحو غرفتها . وبدأ الجسد الافرغواني يتلوى في رقصة شهوانية على أنغام الموسيقى الصاخبة . وكان رأس وسام يدور مع الأنغام .. وأهواءه تتلوى مع تمايل الجسد .. فطار من اجفانه النعاس وصحت رغبات جسده بعد سبات عميق ، وثارت شهواته كبركان اجوج .. ماذا ؟ هل عادت الرقطاء الى سابق عهدها ؟ وهل كشرت عن أنيابها ؟ ام هي موجات هسترية تتناوبها ؟ وداومت على حفلة تعريها حتى اصبحت كما خلقتني يا رب .. تحفة رائعة من لحم ودم آية لمثال .. ومثار لنزوات ونزوات .. لماذا التعري ؟ أنا المقصود به .. وانظفأ النور القوي وأضيء محله نور احمر خافت . ثم تمددت هناء فوق سريرها ونظرها يراقب باب العرزال .. هل أصاب سهمها الهدف ؟ وانتظرت النتيجة .. لكن فريستها كانت اشد منها مكرراً . فراقب وسام المشهد من فرجة صغيرة فتحها في حائط العرزال ، فكان يرى ولا



يُرى . ودامت التمثيلية حتى الصباح ، ورقدت هناء على برودة الفجر الباكر وشاركتها وسام هذه البرودة أيضاً . وكان رأسه مسنداً الى الحائط لأنها رقدت قسراً دون إرادتها ، وكان قد تغلب عليها النعاس . وتكررت المشاهد في الليلة الثانية والثالثة والرابعة وبطلة المسرحية تعيد دورها بدقة وإتقان ، والشاهد الوحيد قابع في صومعته ينفذ ببصره وبصيرته الى دقائق المشاهد فيفندها حركة حركة ولفتة لفتة . وأخيراً فشلت الغاية الظاهرة من وراء هذا التمثيل . فلا وسام ظهر عليه التأثير من جراء هذه المناورات ولا هناء نالت بغيتها . فتوقفت في الليلة الخامسة عن تمثيل دورها وجلست في الغرفة بعد ان أسدلت ستائرهما ، وراقبت قدوم الفارس الجموح . وكانت مشاهد الليالي السابقة قد عودت هذا الفارس على التلذذ بجمر النظر فأدمن عليها . وكان يقرب مواعيد قدومه الى العرزال ساعة بعد اخرى . حتى أصبح يعد دقائق النهار وثوانيه . وعاش على اعصابه . وبدأ يهمل عمله شيئاً فشيئاً . وفي هذه الليلة بالذات قدم الى عرزاله باكراً على غير عادته ، فوجد غرفة الأحلام على غير عاداتها أيضاً كل شيء في وجهه مقفل . النوافذ . الستائر . . حتى النور كان مطفأً فعزاً ذلك الى الوقت . . الليل من أوله . . ربما كانت في الخارج . لكن الساعات كانت تذوب الواحدة تلو الأخرى . ستة - سبعة - عشرة . . أحد عشر . . لا أحد . أين هي ؟ ودار في العرزال كالأسد الحبيس . . واصبح كمدمن

الهروين .. انني اريد .. انني اريد .. كانت رغبته  
تصرخ في كيانه .

وشعرت هناء بلذة الفوز للمرة الأولى . إنها تستوفي  
دينها .. لقد أرقها من اول لقاء .. أقض مضجعها ..  
عاشت على مضض جروح كرامتها الذليلة .

وبقيت وراء الستارة تراقب العرزال ساكنة حتى تأكدت  
من رقاد صاحبها القسري . وكانت الساعة قد قاربت الثالثة  
صباحاً . فنهضت وتبرجت ثم أسالت مياه العطور فوق  
جسدها كسيل مياه الحياء من نفسها . ولبست غلاتها الوردية .  
إن الليل في هزيعه الأخير ولا أحد يشاهدها في الخارج .  
إذن الى العمل .. وخرجت ممنية جسدها بنيل المراد ..

السكون شامل ، والنسيم عليل يتلاعب برؤوس الأغصان  
فيلطف من حرارة الجو . ووسام راقد على ظهره وقميصه  
الحريرية مفككة الأزرار . وشعر صدره الكث يعلو ويهبط  
بانتظام مع شهيقه وزفيره . صورة للرجولة الحقة .. أمينة  
خالعات العذار . وهناء برغبتها الجاححة وثورة شهواتها وقفت  
حائرة أمام الفتوة والرجولة . لكن حيرتها لم تدم طويلاً  
فرقدت قرب الجسد الهرقلي .. وقبلت جبين فتاها الوضاء ،  
ثم شفتيه وألقت برأسها على صدره وتمنت لو تدوم هذه الرقدة  
إلى الأبد ..

تلمل وسام قليلاً .. وكان يحلم . حورية خارقة الجمال  
تداعبه وتقبله في جميع أنحاء جسمه ، وهو يشبعها ضمناً وتقبيلاً



ورائحة عطورها وأريج انوثتها يملآن أنفه . وانقلب على جنبه  
لجهة هناء فلمس جسده مادة ناعمة الملمس لاهبة حارقة .. ماذا ..  
أهو في يقظة . لا . لا بد أنه يحلم وتمطى بتكاسل . ان  
رغبات ومشاهدات الأمس يصوران له ذلك . لكن ما هذه  
الحركة بقربه ، وهذا اللهاث الحار الذي يلفح وجنتيه ، وشفافه .  
وفتح عينيه . إنها الحقيقة .. انه جسد .. جسد امرأة ترقد بجانبه ..  
وفركهما على عجل . من ؟ .. وود لو يصيح .. لكن هناء لم  
تترك له فرصة ليستعيد وعيه فأطبقت على فمه بقبلة طويلة  
وضعت فيها كل فننها وحرارة رغبتها الجنسية ، فأسكرته  
وملكت قياده منذ تلك اللحظة . وشهد العرزال أعنف غرام  
مع أحذق غانية وأقوى جسد بكري التجارب صخري المعدن .  
وفي الغابة كان لهما جولات ممتعات .. وفي السيارة . وفي نبع  
صنين وأبابا كيش . والزعرور . وفي جميع الأماكن الآمنة التي  
تجيبها عن العمون ..

## تبدل وسام

بعد كل هذه الرحلات والاجتماعات تبدل وسام تبديلاً كلياً . فلم يعد ذلك الفتى النشيط المثابر على عمله .. وتبدلت معاملته مع والديه .. فأصبح معاكساً شرساً وميالاً إلى المشاجرة .. يتأنق بلبسه ويغيب أحياناً من أول النهار ولا يعود إلا مع الفجر . وتبدلت معاملة هناء نحو أهلها وفقدت شجاعتها تجاهها لأنها شعرت بفداحة جرمها . وشعر والداها بهذا التبدل المفاجيء ، فاحتارا في تعليل أسبابه . وبدأ الشك يتسرب إلى أفكارهما . فربطوا الأحداث بعضها ببعض . وبدأت تتوضح أمامها الحقائق .

رفقة . أتظنين ان لهناء علاقة في الموضوع ؟ ..  
لا .. يا أبا وسام .. وما دفعك الى هذا التقدير الخاطيء ؟  
إنه مجرد تخمين فقط .. ولكن ..  
وضح .. وضح .. هل لاحظت أي دليل يشير الى ذلك ؟  
لم لاحظ أي شيء إلا بعض الوقائع البعيدة المرمى ..  
هل لاحظت تبدل معاملة هناء تجاهنا .. في البداية كانت تلازمنا ملازمتمنا لظلمنا .. أما الآن ..



نديم .. لا يجب أن تسترسل في افكارك هذه دون  
تقديرِك لنتائجها ، ألا يجوز ان تكون مشغولة ببعض أعمالها .  
ان لكل شخص ظروفه الخاصة في هذه الحياة .. وتطرفت  
بتفكيرها إلى موضوع تبني هناء .. أتخبر زوجها .. لقد  
فتحت لها قلبها ومنزلها .. وكل أعمالها تدل على أخلاق  
رفيعة .. لا .. لا يمكن أن تحون هذه الثقة التي وضعت بها .  
وجاءها فكر آخر .. انها المرأة .. لقد حذرنا ضميرها  
منها لأول لقاء .. وهل يصدق صوت الضمير ..

رفقة .. ان وسام قد بلغ أشده في الرجولة منذ أمد  
بعيد .. وكل فرد معرض للسقوط . وأظن إن زواجه أفضل  
حصانة ضد المزالق المحظورة .

معك حق .. وكنت سأفاتحك بالموضوع .. لكن هو  
أيرضى يا ترى ..

لماذا لا يقبل .. إن كل شاب في سنه يتوق إلى الزواج ..  
انه في الدوارة قرب البيت سأناديه واسأليه رأيه .. وأنا  
سأخرج الآن . ان احترام الأبوة غالباً ما يكون حائلاً دون  
رغبة الأبناء . وخرج السيد نديم . لكنهما تبادلا نظرة  
خاطفة دلالتها الشك المتبادل في سلوك هناء ..

وسام .. وسام ..

والدتك في الداخل وهي بحاجة اليك ..

والده .. والدته .. هل لاحظا أي شيء .. وارتابك  
قليلاً .

إن خاطر الإنسان دليله .. بأبي وجه سيقابلهما .. وقصد  
التمويه .. انني مشغول يجمع بعض الثمار .. هل الأمر  
ضروري؟ ..

لست أدري .. أسألها ..

وقرأ وسام في نظرات والده ما يحول في افكاره ..  
فزاد الشك وتسارعت نبضات قلبه . لقد اسقط في يدي ..  
لا بد انهما عالمان .. وشجع نفسه بنفسه .. وهل يقطعان  
رأسي .. انني شاب بالغ وحر التصرف .. لكن ألهذا الحد .  
ان المقدر قد وقع ولا مفر منه .

ها انا يا اماه .. ماذا تريدن؟ ..

ولاقتة والدته بنظرة الأم الحنونة الواثقة التي تقر مصائر  
أبنائها .. وهذا ما زاد ظنونه .

لا شيء .. لكنني أود محادثتك بموضوع يعود عليك  
بالفرح والسرور .. معميات .. معميات .. نظرات والده ..  
وموضوع والدته .. أي أمر يحضرانه له يا ترى .. هل  
يوهان عليه ليصدماه بما يعلمان .. وأي موضوع هذا .. وكلمها  
متصنعاً عدم المبالاة .

تعال .. إجلس هنا بقربي .. وأفسحت له مكاناً على  
المقعد بجانبها .

نعم .. لقد جلسنا .. أهو قرار غو إسرائيل يا ترى .  
وابتسم .

أعظم ..



غزو المريخ ..

أهم ..

مؤامرة على الولايات المتحدة .. وشعر براحة ضميمة ..  
إن هياتها وحديثها لا يثبتان شكوكه ..

طبعاً لا .. لقد ..

أكملي .. أكملي .. أسرار وأسرار .. أي حدث سيكون  
إذا ..

حدث سعيد ستفرح قلوبنا به .. حدث انتظرناه منذ  
رأت عيناك النور .

انه مشروع زواج .. أليس كذلك؟ ..

لقد حذرت .. وهذا ما قررناه بعد موافقتك ..

وقهقه وسام لهذا النبأ المفاجيء .. لماذا الآن؟ .. ان  
وراء الأكمة ما وراءها .. إن خفايا الأبناء لا تحجب عن  
الآباء .. لكنهما لا يودان مواجهتي بالواقع .. وهل أقبل  
بمشروعهما؟ هل أروضخ لإرادتهما؟ . وهناء . أي مصير  
سيكون لها من بعدي .. ان كل الدلائل تشير بأنها تفضل  
الموت على فراقني . ان هذا سوف لا يكون أبداً . انها فاتنة ..  
شبيهة .. لا ، سأماطل .. ومن بعده لكل حادث حديث .  
لماذا الآن؟ .. هل لف شعري الشيب .. إنني في أول  
الطريق .. إن اعمالاً كثيرة تنتظرني قبل الزواج .

ان الحياة الزوجية يا ولدي حياة استقرار وهدوء ..  
والزواج لا بد منه إن لم يكن الآن فغداً .. وأنا ووالدك

على حافة قبرنا .. إن جل مبتغانا أن نرى لك ولداً يحبو على  
حياتنا كي نسر به ..

معها حق .. واستعرض جميع بنات بلدته متنقلاً معهن  
كالفرشات تتنشق الأريح الفواح ..

عدلا . هند سامية . منى . كلهن فاتنات جميلات ..  
لكن قلبه هذا الضخري لم تمس شغافه إلا بعد معاشرته  
لهناء .. وقد وهبها إياه دون مقابل .. لا .. لن يتزوج وهي  
على قيد الحياة .. امي .. دعي هذا الأمر لوقت آخر .. ان  
المستقبل أمامنا طويل .

ولدي . ان الزواج لصالحك . والشاب الذي في سنك  
معرض للسقوط في أي وقت .. وبنات الحرام كثيرات ..  
وأي دخل للسقوط .. وبنات الحرام .. والشرف بيننا .  
هل لاحظت علي في طول عمري انني أهلاً لذلك ..  
لا سمح الله ، يا حشيشة قلبي .. انك .. مثال الشاب  
الأمين على مقدسات إصالتك .. لكن تدارك المحذور قبل  
وقوعه لا يعد تجنياً على نباتك ..

ودخل أبو وسام .

ماذا ؟ لقد طالت جلستكما .. وتصنع عدم المعرفة بأصل  
الموضوع . لكن هذا التصنع لم يخف على وسام انها متفقان  
عليه مسبقاً . واستدل السيد نديم من إيماءة زوجته بأنه لم  
يوافق .



ماذا .. أتخفيان علي أمراً ما ؟ .

لأ .. إنني كنت أبحث مع وسام في .. وسكتت .  
لماذا التمويه . أخبريه .. ونظر الى والده نظرة تحد  
فتغاضى عنها . لقد عرضت علي مشروع زواج .

من هي هذه السعيدة التي وقع اختياركما عليها ؟ . هل لي  
أن أعرفها ؟ ..

وهل نحضر المعلق قبل مجيء الفرس .. لا بد ان نأخذ  
رأيك أولاً لنرى أتوافق ام لا ..

أتود الزواج حقاً ؟ . وأنا ، والدك .. لماذا لم تخبرني  
مسبقاً ؟ ..

أنا الذي يجب ان يخبرك أم والدتي . هي صاحبة المشروع .  
وأنت . هل توافق ؟

أحقاً ما تقول ؟ ..

بعد موافقتك طبعاً .

ان هذا جل منانا .. والفرحة الكبرى عندنا .. لماذا لا  
اوافق ..

طبعاً ليس الآن ..

في أي وقت اذاً ؟

بعد سنة . سنتين . ان الوقت في يدنا ، وكل آت قريب .

وسام . اتتهكم علي . ونظر اليه نظرة صارمة .. ثم  
اتجه نحو زوجته . أهذه هي آخر التربية يا رفقة ..

لا سمح الله يا أبي ان اتهمك عليك . اني اقول حرية ضميري .  
وأنا رهن إشارتك في كل ما تقول .  
هدىء من غضبك يا نديم . ان الأمر لا يحتاج الى كل  
هذا الإشكال . وغمزته . فلندع البحث في الموضوع لوقت  
آخر . انه مجرد عرض قدمته لوسام . وكما قال ان الوقت  
أمامنا طويل ..



## فسح الخطوب

اعتز الفضاء وشمخ بأنفه تيمناً لبعثه شقته وفساحة أرجائه ،  
ونظر الى الشمس نظرة استهزاء وتشفي ثم قال : لقد مللت  
السير في كياني ، ورفضت البقاء في أرجائي . نعم إنك  
سترتني بين أحضان البحر عدوي اللود . لكنك في النهاية  
ستعودين الي مستعطفة مسترحمة ..

طعنت الشمس في كرامتها ، وشعرت بجرارة لاهبة تنهش  
كيانها ، وبقوة القاهرة تدفعها إلى دوران أبدي لا متناه .  
فاستنجدت بفتى أحلامها ومحط رحالها عليه يساعدها على  
حالتها .

استفز نداؤها قلب من يهاها فتلقفها بين أحضانه ، وبرد  
غليلها بمائه الفياض . وجعل من لحدوديته مقراً لها .  
فعل كل ذلك والأسى يحز في قلبه لعلمه بأنها لا تثبت له  
على عهد . فبعد تبريد هيبها وإراحة كيانها ستهجره إلى من  
يشبع نهمها . الى الفضاء خصمه الأبدي ..  
وكانت حالة آمال كحالها هذا العاشق المغلوب على أمره .  
فبعد تقديمها لعفيف كل ما تملك من آمال وأحلام .. من

إخلاص ومحبة ، هجرها إلى من يملكونه أجسادهن مقابل لا شيء .. سوى ليالٍ حمراء يقضونها مترعة بالفحشاء والرذيلة .  
ليمرغن أجسادهن على مذبح شهوتهن .

غابت الشمس وراء الأفق ، ولفت الطبيعة بطيلسان الليل  
الموحش . فبدأ الجو ساكناً هادئاً لا تعكره سوى زفرات  
تصعد من وقت لآخر من قلب خنى عليه الدهر ، حتى شابه  
الليل بجلكته وسواده . ولم يكن هذا القلب سوى قلب آمال  
جابر ، الزهرة العاطرة التي ما ان تفتحت على الحياة حتى  
أتمتها منجل النوائب فقطعت جزعها وألقته بين أحضان  
الأقدار والمهمات .

عفيف .. حببها قد تبدل في الفترة الأخيرة تبديلاً كلياً ..  
تبدل بعقليته .. بمعاملته لها .. وأصبح عفيف الأمس غير  
عفيف اليوم .. فمن همسات عاطفية تصدر عن قلبين قد  
ملأهما الله بخوفه وإيمانه ، الى مشاجرات تعكر سكون الليل .  
ومن معاملات يسورها الآداب بسياج من التحفظ الى مكاشفات  
مفضوحة ترمي الى أسوأ النيات وأقدرها . وقلبت صفحات  
ماضيها فوجدتها ناصعة البياض . لا تشوبها أي شائبة ..  
وتصفحت مقاطع حاضرها فرأت سواد أعمالها .. نعم انها  
سيقت إلى ذلتها بغير إرادتها لتحفظ بمن وهبته قلبها . لكنها  
أبت السير في طريق تقودها نحو الهاوية .. وعندما وصلت  
بتفكيرها الى هذا الحد اهتزت كمن لمس تياراً كهربائياً وأصابها  
أفكارها من نفسها مقتلاً . ودم كرامتها سفح أمام ناظرها .



وأفاقت في داخلها ثانية غرائز الانثى .

ما هذه الغيرة .. الحرقة .. الوجرم .. المرارة .. يكاد قلبي ينفطر .. إنهن سارقات ناهبات .. وأنا .. وأنا .. أنا صاحبة حق .. كيف أحتفظ بحقي يا رب .. هل أجاريه في معاملاته .. هل اسلمه قياد نفسي .. وهل أكون خاطئة .. كيف لا .. وقدسيتك في قلبي .. لكن .. وناب فؤادها عن عينيها في سكب الدموع . لكنهما احتفظتا بحقهما وجاراته في ذلك .

هب النسيم بهيناته الرقيقة ، وتساقطت قطرات الطل على أعشاب الغابة . فأحست أمال بقشعريرة ناعمة تسري في أوصالها . ثم أفاقت من غيبوبتها وآثار أفكارها منطبعة في مخيلتها . فزادت دموعها هطولاً . وسابقت الطل على إرواء الزهور التي أذبلها قيظ النهار .

مضى الوقت متناقلًا متمهلاً وتغلغل في أعصاب أمال . فانطوت على ذاتها ، وتأزمت نفسيته . لماذا تأخر ؟ .. ونظرت الى ساعتها بقلق .. ثمانية إلا ربع . وهذا أقصى حد تستطيع التغيب فيه عن البيت . فبعد مراقبة والديها لوسام أصبح النظام صارماً .. وويل للذي لا يتقيد به .

إنه اليوم العاشر على التوالي الذي تنتظره به ولا يأتي .. ان حبه قد ترعرع معها في المهد . ونما بقلبها مع نمو جسدها . إنه نفسها . عواطفها . تفكيرها . وتتابع التخييلات في رأسها مشوشة لا ضابط لها .

فتمثلت عفيف بكل شيء .. الأشجار .. الصخور ..

البيوت المنتشرة على سفح التل . وصرخ الحب في داخلها  
صرخة مدوية رددتها أصداء نفسها وصعدت على لسانها صرخات  
هائلات .. عفيف .. عفيف .. عفيف .. وتجاوب صراخها  
مع القوى المجهولة ، وحمل على أجنحة الأثير .. واستجاب  
القدر للصراج المؤلم . فأتى عفيف يجر وراءه ثقل أمسية  
أمضاها بين أحضان السكر والعريضة ، بين شفاة الحسان .  
وكان شكله غير طبيعي . الشعر مشعث .. والعينان حمراوتان  
ترسلان سياتماً من نار الشهوة .. والفم كخمارة تفوح منه  
رائحة الكحول .. والوجه كجمرات كانون يتأجج على أنجرة  
المنور الراسبة في الجو الملتهب .. والجسد متداع يترنح كنبته  
في مهب الرياح . والعقلية مبلبله تقود صاحبها الى حيث لا  
يدري . لكنها في هذه الفترة غلبت على أمرها وانقادت نحو  
نداء القلب الجريح . أي إلى حيث أمال التي وجفت وخفق  
فؤادها عندما رأت من تهواه قادماً نحوها من بعيد . وعللت  
نفسها بالأمانى مسترحمة . سترتمي على قدميه . ستبللها بالدموع .  
وهو . نعم سيرحمها . سيرقى لضعفها .. لشقاؤها .. سوف يعود  
اليها . وهبت مسرعة لتلتقي بأصل سعادتها وسبب بلواها  
لكنها أبت والهلع يملأ قلبها . لقد هالها ما رآته منه ..  
واختلطت عليها الامور . حتى انها لم تعد تستطيع تمييزه  
عن أشد الوحوش ضراوة .. وعندما شاهدها انقض عليها  
كانتضاض النسر على صغار الفراخ . ففرت منه تريد الخلاص .  
لكنه طاردها بقدر ما تسمح له قواه . وتضافر الهلع مع



سوء طالعها فتعثرت وانكبت على الأرض تعفرها بوجهها .  
وأدركها بعد ان تملكه العياء . ثم أطبق على فمها يعنه شماً  
وقضماً .. وتأججت بداخله نار حيوانية تغذيها رواسب  
الخمرة المجون .. فأعمل في ثيابها تقطيعاً وتمزيقاً وشفتيه  
اللاهبتان تسبقاه إلى النواحي التي تتعري من جسدها ..  
أرادت الصراخ فكم فمها .. قاتلت .. وقاومت .. لكن  
أنى لها الفرار من بين ذراعيه الفولاذيتين .. وكانت رغبات  
الجنس مع جنون الخمرة قد زادت من قواه . فهد حيلها ،  
وبدأت مقاومتها تتلاشى رويداً رويداً .. وتراخت بين  
أحضانه .. وشعرت برعشة غريبة تسري في أوصالها ..  
رعشة لم تتعودها . فيها لذة . استسلام . هدوء . وكانت  
بمجموعها هدفاً للقبلات .. فلا الصدر استثنى ولا النهدي سلم .  
حتى الكنز الثمين انتهكت حرمة الأنامل . وقبل النهاية  
أحست بالخطر يختم فوق عفافها فوعت حقيقتها وعادت  
لنفسها . ثم استجمعت قواها بعدما خفف جلاها عنها الضغط  
حينما لمس استسلامها .. وتلصت من بين ذراعيه ثم فرت لا  
تلوي على شيء .. ومع فرارها ذهبت كل أمالها ببقائها  
خطوبة له .

## رقابة ... وعهد

شدت الرقابة على الحببيين فضاقا ذرعاً . وسهرت عيون  
والدين على حشاشة قلبيهما ليحميها من عثرة العثار . وبعد  
مراقبتها لم يلاحظا أي تبدل في معاملاته تجاه هناء ولم يأخذا  
منه لا حقاً ولا باطلاً . لأن شكهما تسرب الى نفسه فخشى  
منهما وأخبر هناء فاحتاطت للأمر هي ايضاً . وعاودت  
سيرتها الأولى في معاملتهم . وقنعت بوصال حبيبيها بالنظر من  
بعيد وكانا يكتفيان ببعض خطفات عابرة عندما تغفل عنهما  
عين الرقيب . وصلح وسام وضعه على قدر المستطاع .  
وتجاوب مع أهله في موضوع زواجه على ان يدرسوه في تمنع  
وروية . وكان هذا من تدبير هناء لترفع الظنون من حولها .  
ووقع اختيار أهله على عروس المستقبل فرضي وسام دون  
ممانعة . وكانت نهى عبود . فتاة فارعة القد . بسامة المحيا .  
لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً . تحاكي البدر يجمالها . عينها  
بصفاء القبة الزرقاء . واسعتان بأهداب طويلة . جذابة .  
ذكية وادعة . جرب وسام أن يهديها قلبه وحببه فلم يستطع .  
وتكررت زيارته لها بتوجيه من هناء ايضاً . وذلك أمام



والديه عندما تكون في زيارتهم . فجلت من حولها كل شك  
وريبة . وعادت ثقة آل جابر بها الى سابق عهدها . لكن  
هذه الحياة لم ترق لها فصممت على شيء ..

في أحد خلواتها مع وسام نهلت من معين لذاته نهل من  
لا يريد الارتواء . وأرته من فنون إغرائها ابواباً لا يطرقتها  
إلا كل عريقاً في المهنة . فعلت كل ذلك كي تبقيه أسير هواها  
لأن جمال عروسته الطاغى أقض مضجعها ، وخافت أن يفر  
العصفور من القفص .

وسام .. لم يبق لي عندكم سوى يومين فقط .. لأنني قد  
عزمت على الرحيل بعد غد .

الرحيل ؟ .. لماذا ؟ .. إننا في الثلث الأول من شهر  
ايلول وهو أجمل أشهر الصيف . لا .. لا يجب ان تذهبي ..  
وبكى قلبه لوعة ..

لقد قررت . وسأذهب .. لأن حياة المراقبة هذه لا  
تروقي .. وأخاف في النهاية أن يقع المحظور ويفتضح أمرنا ..  
فنفقد بعضنا الى الأبد .. وهذا ما لا أستطيع تحمله .  
وأنا .. لمن تتركني هنا ؟ ..

وهل سأبقى معك طول العمر .. في النهاية لا بد لنا من  
الفراق .. وسقطت دموع كاذبة على خدها .  
أتبكين .. واحتضنها بشدة ..

ضمني اليك .. شدي بقوة .. بقوة .. أريد أن أذوب ..  
أذوب بك .. إنني أشعر بأنه آخر لقاء بيننا ..

وزاد بكاءها .

هنا .. حبيبي .. انني لك ما حيت .. لا يبعدني عنك  
إلا الموت ..

أحقاً ما تقول يا حبيبي .. ونهى عروسك ..  
قالتها بخوف ودلع لتختبر مقدار تعلقه بها .

نهي .. عروستي .. وهل وافقت على تسميتها عروساً لي  
إلا بعد إلحاحك .. إنها مجرد ستار .. ستار يا مناي ..

إنها جميلة .. وفتية .. وحلاوتها ستنسيك مرارتي ..  
وأنا في طريقي الى الشيب .. إن حظي عاثر .. ليتني تعرفت  
عليك وأنا في سنها .. وكانت تتقلب بعواطفها كالخرباء ..  
ستحتفظ به ولو وقفت جميع قوى العالم ضدها ..

عدنا لذات النغم .. بماذا تؤمنين كي أحلف به . وحق  
الله وكل ما هو مقدس في الوجود .. بحق حبنا .. بحق  
الومضات اللذيذة التي قضيتها بين أحضانك .. بحقك أنت ..  
سأبقى محافظاً على عهدك حتى الموت .

إنني أصدقك .. أثق بـجـبـك .. لكنني خائفة .. خائفة  
من المستقبل .. إنني أراه مظلماً شائكاً .. وقلبي يحدثني  
بمصاب ألم .

وكان وسام يعرف وعورة طريقه لكنه صمم على تخطي  
جميع العقبات التي ستصادفه معها كلفه الأمر . وإذا ضيق  
عليه الخناق كثيراً سيفر معها إلى آخر حدود المعمور .  
هنا .. دعي المستقبل لله ولننعم حاضراً .. كيف



ترتأين أن يكون اجتماعنا بعد سفرك هذا الذي يحيرني ..  
أستطيع اللحاق بي إلى بيروت .. وإذ استطعت هناك  
تتدبر الأمر .

لنفترض إنني وافيتك إلى هناك مرتين أو ثلاث وبعده ..  
أن وقتي وظروفي لا يسمحان لي بالتغيب عن البيت أكثر من  
ذلك . لأن موسم الفاكهة قد أشرف على نهايته . ولا حجة  
بعده في الذهاب إلى المدينة إلا لما وفي بعض الأمور الخاصة .  
كما قلت لنعش حاضرنا وبعده لكل حادث حديث وافترقا  
بعد وداع طويل .

## عصيان

مضى الأسبوع الأول على فراق هـنـاء ووسام طبيعى فى أعماله . شغل فى النهار فى البستان والكـرم . وفى المساء عند خطيبته .. وسارت الأمور عندهم على أتم ما يرام . ولم يكن ينغص عليهم عيشتهم سوى وجوم أمال الدائم . فبعد حادثتها مع عفيف أصيبت بصدمة أفقدتها حيويتها . وداومت من بعدها على الانطواء ، والانفراد . وحاولت والدتها مراراً ، وصنعت معها المستحيل كى تعرف سبب هذا الوجوم فلم تقلح ، وصدمت بصمت مطبق باءت معه كل محاولة بالفشل . وانقطع عفيف عن زيارتهم فأبت نفس الوالدة الذهاب إليه والاستفسار عن سبب هذا الخلاف . فاستنجدت بوسام ليثير غور صاحبه عله يقف منه على ما ينير هذه المعميات . أما وسام فقد كان عنده ما يكفيه من الهموم ، فلم يعر الأمر أى اهتمام .

إذا كان يوجد بينها خلاف حقاً .. ليفضاه بينهما .. وهذا أفضل حل .. ان مشاكل المحبين لا دواء لها إلا فى يد أصحابها .. وردد قلبه (لو كنت طبيب الهوى لطببت أنا نفسى) وجاشت



في داخله عوامل الحنين .. أين أنت يا هناء .. مع من تقضين أوقاتك .. هل تسرب الملل إلى قلبك بعد هذا الفراق .. هل نسيت من وهبك قلبه وروحه .. حتى الراحة والاستقرار سلبتيهما مني .. واستجاب قلبه لنداء نجواه . إذهب إليها .. لماذا الخوف .. ومن تخاف .. أأنت شاباً . وراشد نفسك .. نعم إذهب وفي أسرع وقت .. وذهب .. مرة .. وثانية وثالثة . وتكررت الزيارات لسبب ولغير سبب . وتكررت المشاجرات مع والديه ، وواجههم بالعصيان لأول مرة في حياته . فانقلب جو المنزل من هدوء واطمئنان غابر إلى مستقبل مشحون بمفاجآت لم يكن يتوقعها أحد .

وفي بعض الليالي ، بينما كان الوالدين قابعين في زاوية دارهم يقلبان الأمور على جميع وجوهها عليها يخرجان من مأزقهما بكل مرضي .. دخل عليهما وسام بعد غياب دام يوم وليسلة . وفاجأهما بما أذهل الباهيا .

أبي .. ووجه خوفاً من الافصاح ..

نعم .. ما بك .. قالها أبو وسام بتحد .. فغمزته زوجته أن خفف من غلوائك لنرى ماذا يريد .

لماذا لا تتكلم .. وضح .. بني . ، أنا والدتك .. هل تخفي ما بك على من وهبتك قلبها وحياتها .. هل أغضبك أحد .. هل وقع أي خلاف بينك وبين خطيبتك .. وإذا كان ذلك فأنا أتدبر الأمر .

لا هذا ولا ذاك .. وتشجع وسام عندما توسم العطف من

والدته .. إنني بحاجة إلى الدراهم ..

وقهقهت والدته .. هذا الذي يشجيك .. إن الدراهم بين يديك . خذ منها حاجتك .. ورددت في سرها . ان الشاب خاطب . وفي هذه الحالة يحتاج إلى مصروف غير منظور .. ربه متى أفرح قلبي برؤياه عريسا .

وكان في رأس وسام مشروع بعيد المرمى .. إن الدراهم التي بين يدي لا تكفي .

لا تكفي .. لماذا .. هل وقع نظرك على قطعة أرض أعجبتك .. هل تود مشتراها .. قطعة أرض .. وضحك وسام .. لا .. ان في رأسي مشروعاً أهم من الأرض بكثير .. لماذا الإبهام .. وضع .. هل وقع أحد أصدقائك بضيق وتود مساعدته .. أم تريد المتاجرة بالتفاح .

لا هذا ولا ذاك أيضاً .. مشروع أهم من الاثنين بكثير . واحترار أبو وسام بأمره .. وكم تريد ..

أظن أن ألفي ليرة في البداية يكفيان ..

ألفين .. وتحسس أبو وسام كمره الجلدي بخوف .. ألفان دفعة واحدة ..

لماذا الاستهجان .. وهل نبقى قابعين في منزلنا طوال الشتاء في البلدة ، دون أن نقوم بأي عمل .. لا .. ان هذا لا يجوز .. ان الحياة جهاد .. وقد قال الله قم يا عبدي لأقوم معك .



إنني أفهم من حديثك بأن مشروعك خارج البلدة . أليس كذلك ..

طبعاً خارج البلدة .

أين يا ترى ..

في المدينة .

في المدينة .. لا .. وألف لا .. ان هذا الأمر لن يحدث .

وأنا على قيد الحياة .

أبي لم لا .. وتصنع وسام الجد والرسالة .. ان المشروع

الذي سأقوم به سيدير علينا ربحاً وفيراً وفي وقت قريب .

وأحب أبو وسام ان يجاريه في مراميه .. ما هو هذا

المشروع ..

وتساءل وسام في نفسه نعم ما هو هذا المشروع .. سؤال

لم يطرحه على نفسه من قبل لأن مشروعه الخيالي تستر به

ليحصل على المال ولا شيء سوى المال .. والآن والده يريد

واقعا .. ينشد حقائق .. وجاءه خاطر سريع .. التجارة

طبعاً . ، لكن تجارة ماذا .. وهو يجهل حتى طرق التنقل

في المدينة منفرداً . وقرر .. محل لبيع الخضار والفواكه

والسمانه .. هذا أنسب شيء .

بينما كنت أتجول في حي الأشرافية قرأت لافتة كتب

عليها ( محل برسم البيع بداعي السفر ) فاستهواني الاعلان

وسألت عن صاحب المحل وانفتحت معه على شرائه .

هكذا اتفقت معه دفعة واحدة دون الرجوع إلي واستشارتي .

قلت في نفسي إن أبي لا يعارضني في أي عمل أقوم به ،  
ولم يدر في خلدي يوماً بأذك ستعارضني .

ولدي .. إن ثقتي بك لا ولن تتزعزع . لأنني أعلم على  
أي أساس ربيتك . لكن لمعاملات المدينة وللأخذ والعطاء  
بها طرقاً نجلها . ولذا لا أوافقك على مشروعك أبداً . وإذا  
كنت تحب التجارة حقاً فالمجال عندنا واسع . قم معي إلى  
عند عمك أبو عصام .. وأنت تعلم مقدار خبرته في فن تجارة  
التفاح . وهي تجارة رابحة على ما أظن .

تجارة التفاح .. انهرب من تحت الدلفة إلى تحت المزراب ..  
بالأمس انتهينا من حساب خسارتنا في زراعة التفاح والكرز  
والخضار .. وحسابنا في الحقل لم يطابق على حساب البيدر .  
إن الأموال والأحلام التي بنيناها على عطاء الموسم الوفير ، قد  
ذهبت مع رياح الأسعار المتدنية ومع عنجية التجار أصحاب  
العلاقة ، ومع عدم تدبير الحكومة لتصريف الإنتاج ، سوى  
بقرارات اعتباطية زادت في الطين بلة ، إن قلبي قد مل  
الخسارة والعمل في الحقل دون نتيجة .

يا بني .. إن التجارة في الصنف غير العمل في زراعته ..  
ويخلق لكم الله مالا تعلمون .

أبي .. إن حياة القرية لم تعد تعجبني . والعمل المضني في  
الأرض لا ينالنا منه سوى الخسارة .. خسارة في المال ..  
وخسارة في الصحة .. وتعب .. وكد ..

وكاد أبو وسام ينفجر غضباً في وجه وحيده . لكن



حكمة الشيوخ تغلبت عليه . إذن سيعامله بالترو عله يعود  
عن غيه ..

وسام .. أية أفكار سوداء وضعتها في رأسك .. ولنفترض  
أنك أخذت المحل الذي تقول عنه .. وشغلته في الشتاء ..  
في أيام لا تحتاج الأرض لقوة ساعدك النشيط . وفي الربيع  
وقبله .. أيام تقليم الكروم والبساتين .. في أيام الفلاحة  
والرش .. من ينوب عنك في كل ذلك .. أنا الرجل المحرم ..  
الواضع رجلاً في الحياة ورجلاً في القبر .  
والذي .. ان لكل عقدة حل .. وهذا الأمر قد فكرت  
به ملياً ..

وماذا كانت نتيجةك ؟

كثيرون ممن لا أراضي لهم .. مثلاً .. خطار عبدو ..  
فياض شاكر . وغيرهم يكونون ممتنين إذا سلمناهم إياها  
ليعاملوها تحت القسم .  
تحت القسم .. ونفت غضبه في وجهه . لكنه عاد  
وعامله برفق .

لا يا وسام والف لا .. إن الرزق ينمو ويفرح من نظرة  
صاحبه الحنونة اليه .. من عطف قلبه ونظرة المربع او  
فلاح القسم ، تختلف كثيراً عن نظراتك أذت يا وسام ..  
لأنه يقول لي الثمر وللمالك الحطب ، هذه نظرة من سيستلم  
بساتينك وكرومك يا ولدي .. والنظرتان تختلفان بعضها عن  
بعض اختلاف بياض النهار عن سواد الليل .

ابي .. ان الرزق ملك الذي يستلمه .. والذي يستلمه  
سيعامله كصاحبه تماماً كي يأكل منه خبزاً .  
لا تغالط نفسك يا بني . أنت صاحب الرزق الذي تأكل  
جناه بكامله . وتدعي الخسارة . فكيف بالذي سنقاسمه على  
نصف الإنتاج .

الحق معك . لكن .. الذي عنده لا يرضى بالقليل ولا  
بالكثير . أما الذي لا يوجد عنده فيرضى بالقليل ليصل الى  
الكثير . أي شيء في نظره أفضل من لا شيء .  
لا .. لا .. يا وسام ، لا تكن طماعاً . ( الفلاح المكتفي  
سلطان مختفي ) .

أبي .. إني قد مللت حياة الخمول ، ونفسي تواقه الى  
العمل في المجال الرحيب . فبحقك لا تقف عثرة في وجه  
مستقبلي ..

ان مستقبلك أرضك يا بني .. هنا في تربة أجدادك ..  
لا تطلب الزود فتقع في النقصان ..  
أبي . ان الحياة طموح وجهاد .. والمكتوب ما منه  
مهروب .

وسام .. ونحن لمن تتركنا هنا .. من أين نعيش .. من  
السماء ؟ من الهواء ؟ ..

لا يا أبي . لا تكن متشائماً .. وأنا .. ألم تحسب لي أي  
حساب . لماذا ذهابي الى المدينة .. ألمجرد الزهة فقط ..  
سأتعب وأجد ويجوز أن يكون تعبي هناك أكثر من هنا



بكثير .. لكنني سأحصل مالاً وفيراً بإذن الله .  
ولدي .. وبكى قلب أبو وسام خوفاً من المستقبل ..  
أرضنا .. تعبنا .. انظر إلى البعيد البعيد .. أغمض عينيك .  
ألا ترى الدالية وقد نبتت حولها الأشواك .. والتينة جفت  
مياه الحياة في غصونها ؟ .. انظر إلى ثمرها .. ثمرها الأعجف ..  
انظر الى البستان .. التفاحة والكرزة والخوخة .. سيصبحون  
كالعوسج .. وتربتهم عفراء . والنبع .. والوادي .. ثم القبو  
والشبق .. ان الجميع ينادونك .. يسترحمونك .. يحنون  
الى صوتك .. الى نشاطك وهمتك .. إلى قوة ساعدك .

أبي .. دعني من الأرض والرزق والكروم .. انها في  
نظري لا شيء يذكر تجاه ما يترقبني في المدينة .. تجاه الريح  
السريع المضمون النتائج .

وسام .. لا تتسرع في حكمك .. إن أنت جددت على  
تربة وهبتك ما تتمتع به من حيوية ونشاط .. فإذا تترك  
للغير إذن ؟ .

أنت الذي قيل عنك عريس الأرض لحبك السابق لها .  
عريس الأرض .. ابن الأرض .. وماذا تفيدني الأرض  
إذا دفنت بها زهرة شبابي دون نتيجة تذكر .. إذا غلت  
فبأجر عمالها ومصاريفها . وفي أغلب الأحيان نسدد خسارتها  
من مالنا الخاص .

انني معك .. نعم إن اسعار الفاكهة والخضار في تدن  
مطرده .. لكن هذه الحالة لن تدوم طويلاً بإذن الله .

لن تدوم طويلاً .. وما هي الدلائل التي تشير الى ذلك؟  
إننا نتدرج من سيء الى أسوأ . وإذا تخطينا المستحيل  
ووصلنا الى هذا الزمان الذي لا وجود له في عالمنا الحاضر ،  
فكون قد خسرنا المكسب والرسمال .

خير ان شاء الله .. وكانت ام وسام قد خرجت لتفسح  
المجال أمام الأب والإبن كي يتفاهما دون إحراج .

من ؟ .. رفقة ؟ ..

نعم رفقة .. ماذا ؟ لقد مضى على جلستكما ما يقارب  
الساعة ، وأنتم في جدال ونقاش .. ألم تنتهيا بعد ؟ ..

الحمد لله .. الحمد لله .. لقد أتيت أخيراً .. أتستطيعي

ان تقولي لزوجك وتقنعية أم ماذا ؟ ..

دعنا من أوهامك يا حبيبي .. اذا ذهبت حضرتك الى

بيروت نحن من يعولنا ؟ .. ان الشتاء على الأبواب .. وشقيقتك ..

إنها بحاجة الينا جميعاً .. يجب مساعدتها علنا نعيدها الى

حالتها الطبيعية ونعلم سبب شقائها .. وإذا تركتنا نحن في

بلوانا فلن تترك الأرض ؟ ..

نفس النغم .. نحن والأرض .. أنا رب العز .. لنفترض

انني لم أولد .. فما عساها تكون حالتكم إذن ؟ ..

أجننت يا وسام .. ما هذا التهريف .. من عندنا غيرك ؟ ..

أنت روحنا وحياتنا وكل اتكالنا عليك بعد الله .

نعم .. أنت وأبي .. أنت سندننا .. والرزق لمن نتركه ..

كأن حياتكم وتدبير الأرض وقف علي .. وشعر بقرارة



نفسه بأنه يجدف على مقدسات ربه .. بأنه قد أصبح إنساناً  
عاقماً .. ضالاً .. شريداً .. لكن هناء .. هذا الحلم ..  
هذه السعادة .. هذه الومضات العابرة التي عاشها بين أحضانها ..  
حياة الرفاهية .. والكيف .. والعز .. وأجواء المدينة  
المتحررة .. إنه سيحارب .. سيقهر الخذلان .. سيبقى لها ..  
إنه .. وقطعت عليه والدته شريط تصوراتهِ ..

وسام .. ولدي .. وتدحرجت دمعة على وجنتيها  
المغضنتين .. ثم ضاعت بين التعاريج والأخاديد .. عد الى  
نفسك .. إلى ماضيك .. إنك ستعجل بموتنا .. ان تهورك  
سيدفعنا الى القبر حثيثاً .. وضمته الى صدرها بقوة وحنان ..  
امي لكم ولي الله .. وعاند دمعة كادت تفقده مقاومته ..  
نحن لنا الله .. والأرض .. الأرض من لها يا وسام ؟  
خففي من غلوائك يا امي .. الأرض كثيرون يتمنون أن  
يستعملوها ويأخذوا نصف غلتها ..

يعني تحت القسم .. ومن يزرع ويفلح تحت القسم ..  
فالجميع مثلك مثلك ايها الإنسان .. مثلما تريد حضرتك ان  
تنزح إلى المدينة فهكذا الجميع ..

أنا لا يهمني الغير .. ولا اهتم سوى بنفسي ..  
أوليت نفسك ونفسنا سواء ؟ ..

نعم .. لكن ما العمل هكذا قررت ..  
أقول لك عاقماً أم ماذا .. إنك ولد ضال .. وإذا  
داومنا على هذه الحالة .. حالة النزوح المتواصل الى المدينة ..

فسوف لا يبقى في القرية سوى الذين يسرون على العكاز  
أمثالنا ..

لماذا كثرة التهريف يا رفقة .. دعيه يذهب الى الشيطان .  
ولنا من بعده الله .

تهريف يا ابو وسام .. لا .. ان خيرة شبابنا قد أصبحوا  
في المدينة .. والباقون على الطريق . ان هذا شيء معيب .  
جناية بحق القرى التي احتضنتهم ..

لا تقولي ابو وسام .. أنا ليس لي ولد .. كان خير لنا  
وللانسانية لو كنا قد انجبنا صخراً .

اتحققني وتهينني ايضاً .. وبلغ إهانته . نعم إن هذا لا  
٣٣٣ . لكنني أريد ان أعرف على أي خازوق سأركب ..  
فإن لم تتكروما حضرتكم .. وتعطفوا . وتحسنوا . سأدبر  
أمري حتى ولو استدنت من إبليس . وكان وسام يلقي بورفته  
الأخيرة بعد يأسه من محاولاته الفاشلة . لكنه كان الرابح  
بها ، لأن قلب والدته بدأ يلين .. وطبق بحالتهم هذه قول  
المثل ( قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر ) .

وسام .. أما زلت مصمماً ؟ ..  
وهل هذا يحتاج الى إيضاح .. لقد كلت سواعدنا من  
نحت الصخور ..

وأنت يا أبو وسام ما هو رأيك ؟ ..  
أتسأليني ما رأيي ؟ .. وهل بقي لي رأي بعد الذي  
حصل .. ان كل الشور لولدك العبقري .  
نديم .. ان مثل هذه الأمور لا تحل اذا كان نقاشها



سليماً .. دعه يحاول . وبعد ذلك نحكم عليه .  
طار قلب وسام فرحاً .. لكنه كتم فرحته تحت ستار  
الجد والاهتمام .. والدي .. دعني اجرب حظي هذه المرة  
فقط .. وسأكون لك خير مثال . وانكب على يد والده  
يغمرها بقبلاته التي شابهت قبلة يوضاض عندما سلم السيد المسيح .  
هيا يا أبا وسام .. افتح الكمر وادع له بالتوفيق .  
ماذا .. أفتح الكمر .. ان هذا مستحيل .  
لماذا مستحيل . اذا ذهب واستدان من الغير يكون  
أشرف لنا .. ونقودك . أتدفعهم في وسطك الى الأبد ؟ ..  
ودينه هل سيكون بلا فائدة .. لا .. ان الذي يؤسس عملاً  
بالدين يصفيه في تسديد الفائدة .

وبلع ابو وسام بريقه . معها حق . ان الاستدانة بالرأبى  
طريق للخراب .. وهو ولدي .. وبكى .. وبكى قلبه  
ثانية .. ثم امتدت يده الى زناره الجلدي الذي يلف وسطه  
وأخرج عدداً من الليرات الذهبية ، ورزمة أكل الدهر عليها  
وشرب لتقادم عهدا ثم أتبعها بأخرى . وكان لكل رزمة  
ولكل ليرة ذكرى مؤلمة في نفسه ، لأنه ضحى بصحته ..  
وقوته .. وركب أشد الأهوال والمخاطر عندما حصل عليها .  
فهذه الليرات المتقدمات العهد أعادت الى نفسه ذكرى  
رحلة قام بها الى سهل البقاع في أيام الحرب بصحبة بعض  
الرفاق الذين ركبوا المخاطر كي ينالوا ما يسدون به رمق  
النفس . وتمثل أمام ناظريه ذاك المشهد المؤلم . ها هو صديقه

أبو طنوس يلفظ النفس الأخير وقد تضرع بدمائه بعد اصابته برصاص أحد قطاع الطرق . ورنث كلماته الأخيرة الراجفة في مسمعه وهي تخرج من فيه مع خروج روحه . آ . آ . بو . بو . و ، و ، سا ، سا ، م ، خ . خ . خ . خ . خذ هذه ال . ال . لي . لي . را . را . وامتلاً فمه دماً . ، فمسحه أبو وسام بمنديله ، ونظر بعين بصيرته إلى الجيبة الأخرى في الكمر . . إن هذا المنديل سيبقى مع ليرات القليل لينزلا معه إلى القبر . . وحبس دمعة دامية حرقت مقلتيه . . وعاد بمخيلتيه إلى المشهد الهائل . وها أبو طنوس يستعيد وعيه .

خذ هذه الليرات وأوصلهم إلى أم طنوس إذا أمكنك الخلاص .

.. وكان خلاصه يوم ذاك بأعجوبة من السماء وبقيت ليرات أم طنوس يجيب كمره إلى الآن . لأن المرض والجوع كانا قد قضيا عليها وعلى ولدها الرضيع طنوس الذي لم يكن عندها غيره .

وكانت كل ورقة مما في يده صورة ناطقة . ودليلاً ناصعاً على حياة أمضاها بالألم والعذاب . وتطرق بتفكيره إلى المستقبل الغامض . واستوضح ضميره مستلهماً . . إلى أي مآل ستذهب ثمار أتعابه يا ترى . . وفي أي سبيل ستصرف . . وكان شعوره المرهف قد سبقه إلى وقائع المستقبل المظلم . لكنه سلم أمره إلى الله ونقد وسام ما طلب .



## بيروت

بيروت مدينة خلافة ، تقع في الجانب الغربي من لبنان ( وهي عاصمته في الوقت نفسه ) غسلت أقدامها بمياه البحر ، وألقت برأسها على مرفق الجبل ، ثم غفت بين أحضان بساتين الموز والليمون . فبدت وكأنها قطعة من الفردوس . رصع بها جبين الأرض . في النهار بناء حديث متقن الهندسة ، وفي الليل صورة حية لانعكاس الأصل ، تشع في وسطها النجوم . وقد حباها الله بجميع المميزات المفضلة حتى أصبحت منارة العالم أجمع .

فمن أصلها الفنيقي ، إلى حاضرها العربي إلى موقعها الشرق اوسطي نقطة الوصل بين الشرق والغرب . إلى مينائها الكبيرة الزائفة الشهيرة . إلى مطارها الحديث الذي يستقبل أسرع الطائرات وأحدثها . إلى مناخها المعتدل ، إلى قربها من أجمل وأروع مناطق الاصطياف . إلى صخرة الروشة التي ضرب برهتها المثل . إلى حضارتها . وعلماها . ورقمها . وتجارها . ومركزها المالي . حتى قيل عنها بيروت بنك العالم العربي أجمع .

وبفضل جميع هذه الميزات التقت بها الحضارت على اختلاف مقاييسها ، وأمتها جميع الشعوب طلباً لنهل العلم . والمتعة .. والساوى . فحوت ضمن هيكلها خليطاً من البشر على اختلاف نزعاتهم ، ولكل منهم طريقته الخاصة في تحصيل معاشه .

فهذا يواكب الأساليب الشريفة .. وذاك يمتطي مراكب الرذيلة . وآخر وسطي بين الاثنين .

أما هنا فكانت ممن ساروا الى تحقيق غاياتهم على اشلاء الفضيلة . ولم تتورع عن هتك الاعراض ، وهدم البيوت الشريفة كي تحصل من وراءها على المادة ، والمادة في عرفها كل شيء ، فبنت المنازل واستأجرت البنائيات ثم حولتها الى اوجار لتعاطي الدعارة والفحشاء .

وها هي الآن في أحد منازلها وقد أقلقها طول غياب وسام . فتسمرت أنظارها على مدخل الشارع القريب منها عليها تجد فارسها قادماً منه .. انه قد ذهب منذ الصباح الى بلدته .. ان الساعة تدق الآن دقتها التاسعة .. انه لم يأت .. ان موعد ايايه في السادسة .. لماذا كل هذا التأخير يا الله .. وتحركت عوامل الخوف في قلبها الصخري الذي لم يرتعش أمام أرباب الأهوال وأشدّها .. وشعرت صاحبتة بالذل في حضرة اله الحب الجبار . الحب .. تلك الكلمة الصغيرة في حجمها الكبيرة في معناها .. ان حب وسام قد ملك عليها عواطفها واحساسها ، فأصبحت بمجموعها عيوناً تنظر الى



الشارع . لكن عذايها لم يدم طويلاً ، فها وسام بطلعته البهية  
يترجل من السيارة على باب المنزل .

أهلاً وسام .. قالتها بلهفة وشوق ، وطبعت على فمه  
قبلة طويلة .. لماذا التأخير الى الآن .. لقد أفزعت قلبي .  
هوني عليك الأمر .. انه تأخير عابر لا فراق بعده يا  
حبيبي .

افصح .. افصح .. وترنحت من الفرح . أحقاً ما تقول ..  
أيقدر لي أن لا أفقدك ثانية يا حياتي ...  
انها الحقيقة التي لا شك فيها ..  
وكيف .. ووالداك .. والضيعة ..

كفى .. كفى .. هدئي من ثرثرتك . ان لكل علة دواء  
ولكل مشكلة حلاً . ومقابل كيف ووالدي والضيعة ، وجدنا  
مشروعاً أهم في المدينة .

أأنت تشتغل في المدينة .. ولماذا .. وكل هذه الأموال  
التي بين يديك . ألا تكفيك مؤونة العمل ...  
العمل .. ومن قال لك بأنني سأعمل ..  
ومشروعك ..

ان مشروعني كان في الضيعة حجة لأهلي .. أما هنا فأنا  
حر التصرف .. وخشخش بالذهب القابيع في جيب بذلته  
الجديدة التي أهدهت اياها هنا كي تفرنجه .  
أتسمعين ..

انك رائع .. رائع يا وسام .. وفعلت موسيقى الأصفر

الرنان فعلها في النفس الجشعة لكنها بقيت بين الشك واليقين .  
أهذا ذهب حقاً .. وهل هو غني بهذا المقدار .. لكنها  
تعامت وتجاهلت .

ماذا تقصد .. ( لم أسمع شيئاً ) .  
وإذا كنت لم تسمعي ، أتودين أن تنظري ..  
اسمع ماذا .. وانظر ماذا .. لقد حيرتني بأمرك ..  
لا .. لا .. لا تتحيري . ثم دس يده في جيبه وأخرجها  
ملأى بالدنانير .

ذهب .. وظهرت عليها آثار الدهشة . لكنها أخفت  
دهشتها تحت ستار اللامبالاة .

نعم ذهب . خذي أيضاً .. ووضع أمامها رزمة المئات  
الزرقاء . خفف من صوتك .. عندي مثلها الكثير .  
انقبض وسام .. وشعرت هي يجرح كبريائه . لكنها  
كانت تضمّر عكس ما تظهر .

وسام .. هل أنت زعلان . قالتها بدلع وميوعة .. انني  
لم أقصد احراجك لكنني كنت أقصد افهامك بانني لا أهتم  
بالمال . وأخذت كل ما وضعه أمامها وأرجعته الى جيبه ..  
انه رزقة .. نعمة من السماء .. سيسبغ نهما الجنسي وتعطشها  
الى المال .. انها أسعد مخلوقة في العالم .. وفكرت مليا ..  
حبيبي . وأتبعتها بقبلة على فمه . ، اما هو فبقي مبرطماً .  
أأنت غني لهذه الدرجة ... ظننتك ..



لا تظنين. ، ولا موجب للظنون.. قالها وسام بنزق وحرد..  
 بخاطرك . ، ونهض متجهاً نحو الباب .  
 وسام .. وسام .. هل جنت يا حبيبي . ، وتعلقت  
 بأكتافه ، ، دعيني ، ، ابتعدي عني .. ان ..  
 حبيبي .. هل بدأنا بالمعاكسات .. ما عدا مما بدا .  
 وضمته الى صدرها ضمة قوية بعدما وقفت بوجهه . فدفن بين  
 آهاتها وحرارة قبالتها كل مقاومة . وكان يتخلل عناقها كلمات  
 حلوة .. حبيبي حبيبي .. معبودي الجميل .. صغيرتي الحسنة . ،  
 لهاث وقبل . ، التحام وافتراق . ، وهمسات وهمهمات . ،  
 ونظرات ناعسات . ، وبقي الحبيبان على هذه الحالة الى أن  
 هدهدهما الحب وأهكهما العناق فارتما على أقرب مقعد وتجددت  
 ثورة جسديهما الى أن بلغت الذروة . ولم تخمد جذوتها الا  
 عندما انتقلا الى غرفة النوم شاهدة الليالي الحمراء .  
 بعد ارتواء الجسدين من التلذذ بسر سرمدية التجديد ،  
 قانون الطبيعة الأبدي .. انتقلا الى صالة الاستقبال التي تقص  
 بوفود الزبائن . فاتجهت الأنظار نحوهما . وطالعتهم هناء  
 ببسمة الرعناء وبغمزة اباحية من عينها النجلاء . واندجت  
 معهم في تبادل النكات الجنسية كي تستفز شعورهم وكأنها  
 أحست بأن جميع الأجسام العارية . الشقراء والبيضاء ..  
 والسمرء .. والسوداء . ، التي تنتقل كالأفاعي ، لا تكفي  
 لاثارة حفيظة الشباب الماخن . فعلا الضجيج في كل مكان  
 وشكل الحضور جماعات جماعات وكل فرد يتلهى بمغازلة من  
 لا تستهويه من الفتيات العاملات الى أن يجيء دوره مع فئاته  
 المشوذة .

أطلت أحد المومسات من الباب النصف مغلق فبان جسدها العاري إلا من غلالة حمراء تستر نصفه الأسفل . يسبقانه ثدييها الثملين . أطلت لتنتقي فريستها ، أو بالأحرى لتنتقي الفريسة قانصها ثم نادى من وقع عليه اختيارها ليستلم دوره . فنهض ملبياً النداء لكنه فوجيء بمن كان أقرب منه لها يملأ الفراغ قبله . تبعه آخر وآخر . الى أن شابهت بحالتها مستودعاً للأقدار تأتيه شحنة بعد أخرى فيطلب المزيد ويرفض الاكتفاء . لكن اختها كانت أرسخ منها قدماً في المهنة وأفتح شهية . إذ خلعت ثيابها وتحدث برودة الجو بجسدها العاري ، لكنها استعاضت عنها بنظرات الشباب اللاهبة : يحوف مترع بجميع أنواع الجمور .

تقدم منها شباب أبكم فتحرشت به ، ولكي تستفز شعوره أخذت يده بيدها ووضعت أصبعها الوسطى بها . ثم مررتها على ثدييها ، فشعر بلهب يتأجج في مكان من رجولته . لكن بكه أعجزه عن الافصاح عما به . فقضم كتفها بأسنانه وداعب مؤخرتها بيده . وكان بحركاته هذه موضع فكاكات الجمهور ومجال تعليقات كثيرة .

لكن اثنين شدا عن القاعدة ، وفضلا الانفراد . فاسترعيا الانتباه بكثرة حركاتها التي تدلى على مطارد وطريد . شقراء فاتنة يجسد كتنقاوة الثلج . تلفه غلالة سماوية . ممددة باسترخاء على مقعد وثير . وهو يغمر جسدها بنظرات راغبة وينتزع الغلالة عنه انتزاعاً . لكنه أحب أن تكون تخيلات واقعا لا وهماً . فغمز بعينه . افصحى عن . .



وامتدت يده الى الحرير اللاصق بالجسد فصدته .. وكانت  
شقراء ناقد تأكدت من وقوع الطريدة في شراكها . لكنهما  
أرادت المماطلة والتسويق كجميع بنات جنسها لتملك قياد  
فارسها العنيد . لكن جسدها شذ عن القاعدة . وكان أسبق  
منها لتلقي الأوامر من الأيدي اللعبة في الهواء . فانشق  
واديها الجميل ، وبان الكنز المحبوء الذي أرسل بدوره أسلاك  
لاقطة لجمع الاشعاعات الفضولية التي تسربت من المآقي الزائغة .  
وانجذب صاحبنا الى الامام . فأعرا فاه كأبله معتوه . لكنه  
عاد الى نفسه عندما رأى نظرات الحضور تتجه اليه . وذهب  
ليدفن ثورته في عش غرامها . ذهب مسلوب الارادة ..  
جندياً بلا سلاح .

دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . فملت هناء هذا  
الجو الذي يسير على وتيرة واحدة . وناقت نفسها الى التجديد  
ونادت خليل سائق سيارتها وأمرته باحضارها . ثم تأبطت  
ذراع وسام .

الى أين تودين الذهاب في هذه الساعة المتأخرة من الليل ..  
الساعة المتأخرة .. وقهقهت .. اننا في بداية السهرة  
يا حبيبي .

هيا .. هيا .. وسار معها دون اية ممانعة .  
وركبا في السياره فاندفعت بهما تسابق الرياح لخلو  
الشوارع من زحمة السير . واطاراتها تنهب الارض نهباً .  
واستقرت اخيراً على مدخل أحد ملاهي الزيتونة الليلية .

ترجلا منها وولجا مدخل الملهى فطالعتهم أنغام موسيقية  
صاخبة . تجاوبت في الداخل لترتد الى نفسية الحضور  
مشاعر .. بهيمية يسبغونها على الجسد العاري الذي ينثني مع  
الألحان كأنثناء صل اضربه القبط .

تسمر وسام في مكانه عندما رأى جسداً عارياً ( كما  
خلقتني يا رب ) تلتهمه انظار الجمهور ، لتلفه باشعاع الشهوة  
المتأججة في الصدور .

نعم انه شاهد جسداً عارياً كهذا . لكن ضمن جدران  
أربعة وفي منأى عن العيون الفضولية . وكان يشعر بالخطا  
نفسه وبخجل يغمره فيدفن خجله في وهدة عدم الاقتضاح .  
أما هنا حيث نضب ماء الخجل من العيون ، فلا خفر  
ولا حياء لأن الاباحية المطلقة كانت قانون الجميع . وأحس  
بانه غريب في جو حشر به حشرا . وعاد بذاكرته الى أيام  
خلت .. الى ايام كان يقضيها مع احدها أوفياء .. مع فتيات  
محافظات يحاسبن نفوسهن على أدنى حركة تصدر عنهن .  
وشعر بنشوة الاخلاص لماضييه تدب في أوصاله لترتفع به الى  
أسمى مشاعر الأنسانية . ففضل العودة من حيث أتى على  
الانغماس في محيط كهذا . لكن نداء الجسد كان أقوى من  
ارادته . فدفع به الى الداخل ليسير مع تيار الخضم الجارف .  
وأفاق من ذهوله على صخب الحضور وضجيجهم . وجمال  
ببصره هنا وهناك باحثاً عن أية طاولة فارغة ليجلس عليها .  
فلم يجد حتى ولا كرسيًا خالياً . لكن ضلعة هناء في المهنة



أكسبتها عطف الجميع . فالتقاها مدير الملهى بالتأهيل  
والترحاب وأفسح لها مكاناً في المقدمة . فجلست وجلس  
وسام بقربها . ثم نادى الساقى .

جميل ..

نعم سيدتي .

وسكبي مع الصودا .

حاضر سيدتي .

وتقارعت الكؤوس .

وسام .. أأنت مسرور .. وقبلته أمام الجميع . فارتبك  
وشعرت بارتبائك ، خذ حريتك ، اننا في صالة الفرح والسرور .  
والحرية ..

وردد وسام في داخله .. حقاً انها صالة الأباحية والحرية .  
وانتشى بمشاهدة الأجساد القتية التملئ المنشورة حوله كالنجوم  
حول القمر . وأحب أن يكلم هناء فلم يجد أي موضوع يبحثه  
معها . أما هي فاندججت مع الحضور بحديث ماجن وعيونها  
تتابع فصول العرض .

سيدة هناء ..

من .. واتجهت نحو مصدر الصوت . سيد فؤاد . ولوحت

له بيدها .. ماذا تريد ؟ ..

انني .. ونهض من مكانه في أقصى الصالة ثم أتى إليها .

لكتتها قابلته في منتصف الطريق بعد ان اعتذرت لوسام مخافة  
من غيرته وعنفوان طباعه . وعادا إلى طاولة فؤاد .

بقي وسام وحيداً فترة طويلة لأن جلسة هناء طالت مع  
جليسها أكثر من اللزوم . فتسرب السأم إلى نفسه رغماً عن  
الجو الذي يحيط به . لكنه تلهى عن سأمه بسماع حديث أثار  
اهتمامه .

انظر .. انظر يا جورج .. انها هي التي أخبرتك عنها .  
وأشار الى فتاة يونانية كانت تعطي خشبة المسرح آنذاك .  
أهي فتاة الأمس ؟

نعم .. وعض على شفتيه قهراً .. لقد كلقتنا ليلتها ألف  
وسبع مائة ليرة فقط .

ألف وسبع مائة ليرة .. وليلة واحدة .. ان هذا لا  
يصدق ..

إنه عين الصواب .

دعنا عن الخلط .. هل صنعنا لها ثوباً من المال يا ترى ..  
والله .. إنها الحقيقة يا صاحبي . وتنهت تنهدات طويلة ..  
أتراني بقدرك من الجنون حتى اصدقك ..

جنون .. نعم جنون .. لكنك إذا عرفت ما مر بنا  
لصدقت ذلك ..

حسناً .. ماذا حل بكما ؟ ..

منذ مدة وجيزة أتت هذه الشقراء إلى مربع الكيت كات .  
وتناقل شهرتها الجمهور . وحامت حولها الأعين كما يحوم النحل  
حول رحيق الأزهار . وبحكم ترددنا على مراتب الليل أنا وسليم ،



تعرفنا عليها . وكان معي اثناء ذلك ألف ومائة ليرة ومع صديقي ستياية ليرة . اقتصدتم من معاشه الشهري ، وأحضرهم معه إلى السوق كي يدفع قسط البراد ، ويشترى بعض الحاجيات لزوم بيته . وكان سوء الطالع دليلاً . إذ جالسناها ليلة البارحة بعد ممانعات عديدة . لأنها كانت ترفض مجالسة الزبائن . لكن وسامتنا شفعت لنا عندها . فقبلت قصدنا . وكان كرمنا حاتماً دون حساب فظننتنا بعض امراء الشرق . لذا تعلقت بنا تعلقاً أعمى . وبعد سهرة صاخبة امتدت الى حدود الساعة الثالثة صباحاً . وكان قد تعتينا السكر . انتقلنا بصحبتها إلى فندقها . وكان من فنادق الدرجة الأولى . وصعدنا إلى غرفتها الخاصة .. وداوم رأسي على الدوران من تأثير الحمرة وتدافعت بداخله خيالات متشابكة متنافرة .

خيوط انسلت من المجهول ، وحيكت على نول الواقع فكانت حصيلتها فكرة جهنمية لم ألبث ان عرضتها على سليم وسرعان ما وافق عليها . وامتدت يدي إلى جرس الخدم فقرعته . وسألتني بفرنسية ركيكة ، لأنها تجهل لغتنا ، ماذا تريد سيد رياض .

وكان الخادم قد حضر قبل الجواب .

من فضلك ثلاثة طرود من زجاج الشمبانيا .

وفغر الخادم فاه دهشة . ثلاثة طرود شمبانيا .. ولماذا ..

وعدنا في تخيلته . هي .. وهما ثلاثة . ولنفترض ان

الواحد منهم شرب زجاجتين أو ثلاثة .. والبقية .. لكنه

قلب شفتيه علامة الحيرة .. وذهب ثم عاد بعد حين وأحضر  
طلبنا .

من فضلك .. ضع زجاجتين على الطاولة في الغرفة والبقية  
أرسلها الى الحمام .

زادت دهشة الخادم من تصرفاتنا . لكنه نفذ ما أمرته  
به دون معارضة . ولم تكن ماغي أقل منه استغراباً وأحبت  
أن تسأل عن تصرفي الشاذ في نظرها . لكنني أسكتها بإشارة  
صغيرة . وسر حالي يقول لها : تمهلي وسوف ترين .

تقدم سليم أمامي الى الحمام وساعدني على فتح الزجاجات .  
فزادت دهشة ماغي .. هل انتما برميلان . ما هذا التصرف ..  
وكان جوابي لها ان سددت صمام الحمام . وبدأت بإفراغ  
الزجاجات عندئذ زال استغرابها . وكان تجاوب تفكيرها مع  
تفكيرنا مدهشاً . إذ بدأت تتعري تلقائياً .. لكن فضولنا لم  
يقف عند حد . وكانت أيدينا تسابق نظرنا على دغدغة  
جواهرها النادرة . وانسلت من بيننا كانسلال الزئبق .  
وأدارت المسجل القابع على طاولة في أحد زوايا الغرفة .  
وكانت ذواقة فن . خبيرة بمتطلبات هذا الجو البهيمي المحموم ..  
فانتقت شريطاً موسيقياً كلاسيكي النغم وأدارته خفيفاً  
ناعساً . يتغلغل في أعماق النفوس الصاخبة ليهديء من غلوائها .  
وعادت الينا باسمه ضاحكة ..

أخذتها بين يدي وألقيتها في المغطس . وكانت سباقه مرح .  
فقدفتني بلاء يدها خمراً مع الرذاذ الذي تركه جسدها ليستقر



على ملابسي وعلى صديقي سليم الذي شاركني بتدليك الجسد  
السابع امامنا .

فغر جورج فاه استغراباً ثم تساءل :

أبلغ بكم الجنون الى هذا الحد ؟ ..

جنون .. أفي ظنك كنا نعي ما نفعل .. إنه الخمر يا

صاح .. عصير الكرمة وعصير الجنس .. قوتان لا رادع لهما .  
وإليك ما فعلنا بعد ذلك .

كفى .. كفى .. إن ما أخبرتني عنه كاف يا رياض ..  
لقد أذهلتني .

لا .. إستمع .. وعدل جلسته .. أن الباقي أعجب مما  
مضى بكثير ..

إنه أغرب من الخيال .

أوجد أغرب من هذا أيضاً .

نعم يوجد .. إستمع إذن ..

وقرب وسام كرسيه منها كي لا تفوته أية كلمة من  
الحديث وكان ذهوله أشد من ذهول جورج . حقاً إنه لمجتمع  
غريب . مجتمع بيروت هذا .. إنه يجمع من المتناقضات  
المبكية المفرحة التي تضعع أعقل الأدمغة وأهداها .

بينما كانت ماغي مستسلمة لمداعباتنا إستسلاماً حالماً . كنا  
نحن نتبارى بإيجاد أساليب لم يسبقنا إليها أحد في عالم الفحشاء .  
عندما كنت أرشف رأس نهدا بشفتي المحمومتين وقطرات  
الخمر تتسرب منه إلى فمي . كان سليم يغذي سيلانها كلما

همت بالانقطاع بسكب ما يصبه بفمه من ثمالة الجسد العاري .  
ثم بعد حين يأخذ مكاني لأعيد دوره بسكب الخمر على  
مؤخرة النهدي الذي يتلألأ تحت ضوء الكهرباء كتلألأ السراب  
في يوم حر لاهب .

حقاً أنك ضعفت عقلي .. لكن كل ما مر بكم لا يحتاج  
إلى صرف كل هذا المبلغ الضخم .

صدقت .. أننا لم نكن بحاجة لصرف كل هذا المبلغ .  
لكننا كنا في وضع لا نحسد عليه .. بعد ذهاب آخر ذرة  
من عقلنا ومع انهيارنا كلياً . بقيت ملكة التلذذ بالمفاتن القمة  
أقوى من إرادتنا . فتضافرت مع القدر لتسلمنا آخر ليرة  
في جيوبنا . فكنا نأخذ ما تبقى معنا من نقود ونلقي بها في  
الهواء . لنتمتع بمشاهدتها وهي تتساقط فوق الجسد العاري .  
وماذا صنعتم بعد ذلك ..

بعد ذلك .. وهل كنا نعي ماذا نصنع وفي أية حالة كنا .  
لا .. كلما نعرفه أننا صحونا في الساعة العاشرة صباحاً .  
وتأثير الخمر ظاهر على حركاتنا وعلى تفكيرنا المشوش . حتى  
أننا أردنا الذهاب فلم نستطع تمييز سيارتنا عن غيرها .. لكن  
الصدفة انتمشتنا من ورطتنا . إذ أرسلت لنا صديقاً لوالد  
سليم يشتغل سائق تكسي ، فاشفق علينا ونقلنا إلى منزله .  
تابع وسام فصول الحديث فتعجب من إنحطاط عقليات  
قوم طبّق عليهم قول المثل (مناجيس قوم في ثياب أكابر) .  
وتساءل في سره .. ألف وسبع مائة ليرة في ليلة واحدة ..



يا للجرم والفضيحة .. ألم يجدر بها أن ينفقا هذا المبلغ على  
إعانة العائلات المستورة .. هذا إذا كان فائضاً عن حاجة  
عيالهما .. وبعضاً منه على مساعدة الأيتام الذين يتضورون  
جوعاً .. إرحمنا واشملنا بعطفك يا الله .

وتعامى عن الجسر الذي في عينه . ان الإنسان بطبعه  
مركب على النسيان . لا ينظر إلى أعمال الغير بمنظار نفسه ..  
الضعفة .. والكروم .. واغصاب والديه والألفي ليرة ،  
ومشاريعه الوهمية ، ووجوده مع هناء في أحط مواخير المدينة .  
هذه كلها أمور تافهة في نظره .

هناء .. حقاً أين هي هناء .. كيف نسيتهما .. وجال  
ببصره بين الجموع الراقصة فشاهدهما تخاصر الغريب الذي  
ناداهما وشقتاهما تكادان تتلامسا ، وصدرها معموس على صدره .  
فبخلق عينيه كأنه لا يصدق ما يرى . لكنهما الحقيقة . وشعر  
بالغيرة تنهش كيانه ، وبمساء كرامته يسفح أمامه .. أين  
رجولتي .. أين شرفي .. وتحفز للإنتقام ، لكن بنظرة خاطفة  
لما يحيط به هدأ بعضاً من غلوائه . هذا شيخ هرم وسبعيني  
يجلس وحيداً بعدما تركته كريمة ، لتراقص بعض الشبان ..  
وذاك آخر أفسح الطريق لزوجته كي تغازل رجلاً غريباً  
عنها . ليستأثر هو بأمرته .. وحكم عقله إنه قانون المقايضة .  
المجتمع الفاسد ، الحرية .. نعم ان مسلك هناء لا يعيها لأنها  
تطبق عادات مجتمعا .. وهو .. هو الغريب عن هذا الجو ..  
لقد بدأت نفسيته تندمج معه على ما به من متناقضات .

وبينا هو سادر مع تجوال أفكاره . تقدمت منه فتاة هيفاء  
وجلست بقربه دون استئذان .

سيد ..

وسام جابر ..

تشرفنا .

زهي خليل .

تشرفنا ايضاً .

لماذا أنت وحيد سيد وسام ..

وحيد .. بين كل هذا الجمع وحيد .. لا .

أقصد وحيداً على طاولتك سيدي .. أعني أين هي

رفيقتك ..

رفيقتي .. إنها تراقص بعض الحضور ..

وأنت .. ألا تحب الرقص .

قليلاً .. فأنا تلميذ جديد .

وإستادتك .. هل تبدلها بأخرى ..

إبدالاً مؤقتاً طبعاً .

وأبتسمت إبتسامة ذات معنى .

لا مانع إذا كانت الإستاذة الجديدة لا تقسو على التلميذ

الكثير الأغلاط .

وقهقهها معاً . ثم نهضا وانسجما مع الحضور برقصة التنغو

الحالمة .

وتلاصق الصدران . ونهداها معسا على كلكله . فولدا



في داخله ناراً أجوجاً صععدت على فمه همسات حارقات وتلامس  
الوجهان . وألتقت الشفاه بقبلة نبيذية معتمقة تخللتها بعض  
المشوشات .

شدني إليك بقوة . . بقوة . . أذبني في أتون جسدك  
اللاهب . إن قلبي في شفتي ، خذه ، خذه ، إنه لك . . إنه  
من نار . . إن بيتي في الشارع الفلاني . رقمه كذا ورقم  
تلفوني كذا . . أطلبني ساعة تريد ، فأنا رهن إشارتك .

## أذلال وخنوع

مع إنسلاال خيوط الفجر تفرقت المجموع كل إلى منزله .  
وكانهم شعروا بوطأة إباحيتهم ، وخافوا إفتضاحها في ضوء  
النهار فذهبوا ليدفنوها في أسرة خزيهم كي ينفضوا عنها غبار  
الموت ثانية عندما يجن الليل .

ووسام فتى القرية الورع تحطمت نفسيته بعد تكرار  
غزواته الليلية على صخرة المجتمع المتأغرب ( من كلمة غرب )  
السائر في طريق التقليد الأعمى . وأصيب بانهيار خلقي أفقده  
جميع القيم الإخلاقية التي كان يتمتع بها سابقاً . ومرغ هامه  
على أقدام الرذيلة ولوث شرفه بالوحل ثم أصبح آلة مسيرة في  
يد هناء ، تديرها مثلما تريد . واعتاد على شم الهيرويين .  
وأدمن على كافة المخدرات فتغلغلت في جسده تغلغل السم  
البطيء ، وأضرت بصحته . فتدرجت من سيء إلى أسوأ ،  
ووهنت قواه ومرض . فبدأت هناء تمله رويداً رويداً إلى أن  
أصبح في حياتها كمن سبقه من الفتيان . . ووطدت العزم على  
طرده مراراً . لكنها كانت تحجم من ذلك طمعاً بماله .

المال .. نعم المال .. وبرقت عينا هناء .

وسام .. أين أنت ؟



نعم يا معبودتي .. وركع أمامها بذلة وإنكسار .. ماذا  
تأمريني .

إنني رهن إشارتك .  
هل بقي معك نقود .

نقود .. وضحك ضحكة باهتة صفراء .. وهل تركت  
معني نقود .. ألم تأخذي مني البارحة ما تبقى معي من ليرات  
ذهبية ..

ليرات ذهبية .. أنا أخذتهم . يا لك من سخي .  
والهيريون الذي كنت تتهريه من أين كنت أحضره لك .  
أمن مال الشيطان .. هيريون .. هيريون . حقاً هيريون من  
فضلك أعطني درهماً ، ذرة .

أعطيك هيريون .. ومن أين .. أمن بيت أبي .. أم من معلمي .  
إن الهيريون يحتاج إلى فلوس .. فلوس .. ونظرت إليه  
نظرة قوية حطمته وأذلت كبرياءه .

هنا .. معبودتي الحبيبة . قالها بضراعة ومسكنة .. أنا وسام ..  
أنسيت وساماً يا هنا .. وسام الذي كنت تركعين أمام  
قدميه وتطلبين منه حتى نظرة رضى . وسعل سعالاً متكرراً ،  
ثم بصق تفل سعاله في محرمته ووضعها في جيبه .

إعرب عن وجهي .. أتتطاول على كرامتي ايضاً .. انا  
كنت أركع تحت قدميك ؟ .. ثم صفعته صفقة قوية أطارت  
الصواب من رأسه .. فوقع دون أن يبدي أو يعيد .  
هنا .. أهذه آخرتي معك .. أنا وسام الذي كنت لا

أرهب السباع في آجامها عندما كنت في قريتي . ولا أحسب  
أي حساب لأشد الرجال وأسطاها .. وأنت .. أنت الآن  
تتجربئين على صفعي دون أن يرف لك جفن ..

وراجعت هناء ضميرها . فندمت على ما جنته يداها ..  
حقاً إنني قد ظلمته . ولكن ما حيلتي .. لقد أصبح أثراً بعد  
عين .. وكبا به الجواد عدة مرار . وعندني مثله الكثير ..  
هل أحفظ به دون فائدة . وأتتها فكرة . لماذا لا تستخدمه .  
لكن لا .. لا يرضى بذلك .. إنه غني . وعنده مال .. سيفر  
مني الى القرية ، لقد كانت غلطي . كنت أجهده دائماً دون  
حساب للمستقبل .. كنت أظنه من غير معدن الرجال . أين  
قوته .. أين جبروته .. أين صلابه عضلاته . أهكذا في مدة  
وجيزة لا تتعدى الثلاثة أشهر تضمحل جميع هذه القوى ..  
لكنه إنسان قبل كل شيء . والنساء .. والهيريويين ، والخمر ،  
والحشيش ، والسهر المتواصل .. وأخيراً المرض . كلها أشياء  
فماكة تكفي لقتل ثور . فكيف إذا كانت مجتمعة .

وسام .. لا تؤاخذني .. كنت في ثورة جنون عندما  
امتدت يدي اليك . ومسحت جبينه المصفر بيمينها . فأعادت  
له الحياة .

هناء . بربك هناء . إن أعصابي تأكلني .. إرحمني عبدك .  
هيريويين يا هناء . وأعطته غراماً من السم الأبيض فوضعه في  
جورة إبهامه وتنشقه على دفعات ثم غاب في موجة تأملات  
طويلة ..



## توبة طازية

قرع الباب في الساعة السادسة مساء عند السيد نديم جابر،  
فتجاوب مع قرع القلوب الواجفة التي أضناها الحنين للملاقات  
الغائب الحاضر . لأن كل حركة يكون مصدرها الخارج كان  
أهل الدار يظنونها صادرة عن وسام . فيندفعون نحو المصدر  
ليتشبتوا من ذلك . لكنهم كانوا يعودون والخيبة ملء أعطافهم .  
أما الآن فقد تحققت آمالهم .. وها هو وسام بقامته الذابلة  
ينتصب أمامهم . أصفر اللون . زائغ البصر . متهدل الوجنات .  
فهاهم منظره وعصرت قلوبهم لوعة عليه . فطالعه الوالدة  
الملهوفة بأسئلة كثيرة ، بعد إن ضمته إلى صدرها .  
ما بك يا ولدي .. أية داهية دهماء سلبتك زهرة  
شبابك .. أين نضارتك وفتوتك ..

إنه العمل . إنها الخسارة ، آه من الهموم وسمها القاتل .  
خسارة .. خسارة وأي نفع لك من العمل دون فائدة ..  
دع المدينة إلى أهلها . وعد إلى أحضان تربتك . إلى أمك  
الأرض التي وهبتك نضارة شبابك . عد إلى عطف والديك  
وحنانهم لأنها أبقى لك من الجميع ..  
حبذا ما تطلبين كان هذا ممكناً بالأمس .. وتنهت تنهدات

طويلة عصرت قلبا والدته وشقيقته . أما الآن بعد أن خسرت  
ما خسرت لا أستطيع التوقف عند هذا الحد ، علني أعوض  
من خسارتي قليلا .

وسام .. وسام .. أح . أح . أح . أح .

أدخل ، إن والدك يناديك .

وكان والده قعيد الزاوية في المربع الآخر . قرب الموقد  
ينكت الرماد بملقطه ، ويقلب بضعة جمرات كادت تخمد  
جذوتها . وفكره يحول في البعيد البعيد . فولج إليه ، وشد  
ما كانت دهشته . عندما رأى جبار الأمس متداعيا أمامه .  
ودمع الحنان يترقرق في مقلتيه .

أبي .. أبي .. ما بك . أي أمر دهاك . وتساءل في  
سره ، أين أنت من الماضي يا أبي . . أين همتك ونشاطك  
.. ليتني مت قبل تعرفي بك يا هناء . أفي أشهر قليلة تذهب  
قوة أضناها الحزن والأسى . . وكان لا يقوى عليها مرور  
أعوام لو هي حازت على الطمأنينة التي فطرت عليها . وتسابقت  
الدموع على وجناته لتبلبل الأيدي المعروقة المرتعشة التي  
أمتدت لاحتضانه . ثم اختلقت الدموع بالدموع ، وشعر  
وسام براحة سلسة تقمره عندما ألقى برأسه على صدر والده  
ونسي كل ما مر به في غمرة سعادته . وأحس بشفء الحنان  
الأبوي ينبعث مع الكلمات الراجفة ، ومع النظرات المتقدة في  
المآقي المحوفة .  
ولدي .. ولدي .. وسام .. وتهدم الشيخ بين أيادي وحيدة .



وسام .. إنني . ولم يعد يستطيع إتمام الحديث .  
وكانت أم وسام قد دخلت أيضاً مع آمال التي هزل غصنها  
فتعاونوا على نقله إلى فرشته .

أبي .. أبي .. لا تجهد نفسك . . ها إنني أعود إليك  
والندم يحطم قلبي . إنني رهن إشارتك ، فلا تحمّل نفسك  
فوق طاقتها ، وكان يضمر في سره عكس ما يقول . ونظرت  
إليه والدته دون أن تكلمه ولسان حالها يقول : أنظر ما  
جنته جهالتك .

وصحا أبو وسام قليلاً فأشار إلى ولده أن أقعد يجنبي .  
وقعد وسام . فمسح جبينه بيده المعروقة ولمس شعره الذهبي  
بجنو ورفق .

وسام .. الحمد لله الذي أراني وجهك قبل أن أموت .  
لأنني أشعر بدنو الأجل . وبقرب ساعتي . بني ها إنني لا  
شيء .. أسير إلى حتفي حينئذ . دعني أقطع الحقة الأخيرة  
من حياتي وعينايا مقرورتان بالنظر إليك . دعني أغمضها على  
مراك وأنت متمتع بجميع قواك الجسدية . محافظ على  
معنوياتك . وحدق به طويلاً . ما هذا الذي آراه .

أين قوتك .. أين شبابك يا وسام ..

أبي .. أنه عارض بسيط وقد زال والحمد لله . لقد  
مرضت ودخلت المستشفى ما يقارب الشهر أما الآن فقد  
تماثلت إلى الشفاء . إن جو المدينة قد أضر بصحتي .  
وسألته والدته بلهفة . مرضت .. ودخلت المستشفى ..

لماذا لم تخبرنا .

لم أخبركم .. نعم لم أخبركم لأنني لم أود إقلاق راحتكم .  
وهل كانت حالتك خطيرة .

لا .. وتعهد التسويف لأنه وجد مادة حديثة . سلاحاً  
قوياً يظهره بمظهر الضحية .

وما نوع مرضك .

بحسب قول الحكيم ضربة دم . ولكن .

لكن ماذا .. قل بربك .. وضع

لا .. لا شيء ، وهو هكذا كما أظن .

وسام .. نحن أهلك .. هل تخفي مرضك علينا .

أخفي مرضي عنكم .. لا . لقد قال إن ثنايا تعبتان

أيضاً .

وهلع قلب الوالدة . وتغيرت هيئة الأب .

لا .. لا تخافوا ودخلت آمال ، وفي يدها كوب من عصير

الليمون . خذ وسام .. إن هذا يساعدك ويروق رأسك . .

إنك أصفر زيادة عن اللزوم . . وهذا الضعف . . ربه أية

داهية دهءاء حلت بك ..

قلت لكم لا تخافوا .. إنه عارض خطر كما قال الطبيب .

أما الآن فقد زالت جميع آثاره بحمد الله . إن جو المدينة

قد أضر بصحتي .

ولدي .. وقاك الله من كل شر . . وود لو يستطيع أن

يهب وحيداً ما تبقى في جسده المتداعي من حياة ، ليعوضه



ما فقد منه . لكن أنى له ما أراد وكل ذرة من حياتنا في يد الله .

حبيبي .. لا تدع الغصة في قلبي بإنسيائك نحو النقائص .  
وكان ضميره يشك في سلوك وسام . وبأنه يسير على عكس  
السبيل الذي أخطه له .. إنني قد أنرت نفسي شمعة لأضيء  
طريقك في تعاريج الحياة . وهذه الشمعة قد أذابتها عائدات  
الليالي . وأطفأتها رياح النوائب . وستدفن عما قريب في طي  
النسيان . فاستغني عنها بشبابك ، . بإرادتك ، . بأخلاقك  
الطيبة ، . بكرم ممتدك ، . وكن خير خلف لخير سلف .  
والذي الحبيب . كن قرير العين ، لأنني سأسير على طريق  
رسمتها يد الآلهة بريشة نفسك الطاهرة .

عندما نطق وسام بهذه الكلمات شعر بأنه مجرم مرتين ..  
مجرم بحق نفسه وبحق والده .. بحق تلك الشعلة التي ستقابل  
رهبها عما قريب . لكنه دفن خزيه في رمس مصلحته الشخصية .  
ودفن جميع انطباعاته في مظاهر الوفاء والاخلاص . وكانت  
اثناء ذلك عيون أربع تذرف دموع الفرح والابتهاج عيون  
أم وسام وآمال لظنهم بأن وسام سيبقى معهم . وشكرت  
القدرة الإلهية على نعمة هبطت عليهما من السماء . على أمل  
راودهما بعد أن فقدتا في رجوعه كل رجاء .

## طفل ورجل

جلس وسام بين ظهرانيهم والحيرة تأكل أعصابه ..  
والده .. والدته .. وآمال .. عطف وحنان ، فرح وابتهاج ..  
والجميع يحسدون به آمالهم .. وهناك في صورة تتأوج مع  
الأثير ، فتتجمع وتتجمع الى أن تغطي على كل شيء . وصمت  
يحلجل في الفراغ . في قطعة من الحياة . في نقطة ذرة من  
من الجسد الأكبر . من المجموعة البشرية التي هو منها .. في  
شيء مجهول يحسه ولا يفهم كنهه . فيندفع معه ويندفع  
مسلوب الإرادة طريداً ذليلاً . صورة ذرة لا قيمة لها ولا  
افادة منها إلا في نظره ونظر كل من له صلة بها من الموتورين  
أمثاله . مجهر للاوهام .. حب .. وأي حب .. ذل وامتهان ..  
احتقار وانتقام .. خنوع واستسلام . هذا هو الحب في  
عرفه ، نار أكل تتلظي ضمن هيكله .. في سرايينه . في  
دمه ، في شعوره .. في تفكيره .. حياة يعيشها في الذكرى  
لأنه تهدم معنوياً وأصبح أثراً بعد عين .  
أوهام .. عدسات لمهجر مضلل كبر صورة فكانت لاشيء  
في كل شيء .  
وصوت يهدر راعداً .. موج هائج .. عاصفة عمياء ..



آلاف .. ملايين المطارق تسقط على صفائح الحديد ، فتدوي  
وتدوي كالرعد القاصف لترتد في عالمه .. في رأسه .. في  
جمجمة قعواء محتوياتها عدسات لاقطة لكل ما تشاهد ،  
وشريط يسجل عليه كل ما يسمع .. صداه يتجاوب مع رجح  
صدى في فراغ كرقعة الفضاء ، اتساعاً .. وهل لغمامة عابرة  
مها كبر حجمها أن تحجب وجه الفضاء .. ورأسه  
فارغ إلا من شيء وهمي لا وجود له إلا في مخيلته . هناء  
أكسير الحياة .. وبدونها يتضعض عقله . يحن .. هي الداء  
وبها الدواء .. اذا لا مفر من الرجوع اليها .. لماذا المواردية ..  
انه رجل ويملك حق تقرير مصيره . لكن كان في قرارة نفسه  
طفلاً يرتعد فزعاً .. وعيناه تبحث عن ثدي والدته . انه  
جائع . فرق .. غول كبير سيبتلعه .. إنه بحاجة الى حماية .  
ومن له ليحميه غير أب رؤوف وأم رؤومة .. انه يريد لعبة  
ليلتهى بها . كيف يعبر عن ذلك . إن إرادته أكبر من جسده  
وجسده سجن لنفسه . ونفسه بحاجة للسانه كي تعبر عن  
مشتهاها .. ولسانه عاجز عن النطق . فبأي وسيلة سيحقق  
ما يريد .. لا شيء .. لا شيء سوى العويل يدفن إرادته  
ضمن تموجاته .

ما بالك يا وسام متردداً وحاجماً .. هكذا نطق الرجل .  
فانتفض الطفل وترعرع .. وشب الى ان بلغ .. لا إنني أريد .  
وسأحقق ما أريد ولي إرادة قوية وجسد صلب . ونفس

طهاحة ، ولسان طليق ، وصبوة سأحققها ولو وقفت الأجيال  
حائلاً دونها .

هنا يا معبودتي الجميلة .. يا مالكة فؤادي .. حقلك أن  
تغضبي وتشتمي .. نعم حقلك لانني جبان أكنم حبلك عن  
والدي .. وأراوغ أراوغ .. لكنها الوسيلة وأنت الغاية .  
وما ضرني إن كنت حاصلًا على الغاية وإن تدنت الوسيلة ..  
لا أنت جبان وتخاف من مواجهة الحقائق . فتدخل  
البيوت من غير أبوابها .

هكذا نطقت هناء كما تخيلها .

أستحي بي .. أتخجل أن يعيروك بضعفي .. ولماذا ..  
إنها وسيلة منحطة مظهرًا . لكنني أصدم بها الواقع وأواجه  
الحقيقة دون مواربة ولا إلتواء .. أأست أفضل من الذين  
يصلون لنفس الغاية تحت ستار التقوى والفضيلة .. في ثوب  
المكر والخداع .

لا .. إنني لا أستحي بك وبمعيارك .. إنني أعلم بأنك  
أرفع مقامًا من الجميع وأشهد بأنك أظهر منهم ذيلًا . لا  
تغضبي ، سأصارع والدي بواقع الامر . سأقول لهم إنك  
صبوتي وكل أملي في هذه الحياة . وإن فاضلوني بينك وبينها ،  
عظامي ستردد إنك لي وهما إلى الشيطان .

وسام .. يا ولدي الحبيب .. لا .. لا أريد أن أسمع ..  
قالها بخوف وضجر . وكان صوت ضميره قد أتاه بصورة  
والدته ..



ولدي .. ولدي ..  
لا دعيني .. إنني أكاد أتخطم لا أستطيع تحمل هذا .. دعوني ..  
دعوني أعيش .. وأغض عينيه ، وسد أذنيه بأصابعه ليحجب  
الصورة ويمنع الخيال .

ما هذا الخوف .. ما هذا التردد يا وسام .. إنك رجل ..  
لك القوة ولك المستقبل والحياة تشدد .. كن أكبر من المشكلة  
التي وجدت بها دون إرادتك .. أترك حلها إلى الأيام .. إن  
لكل معضلة حلا سيأتي دون أن تترقبه .

هكذا كائن حي كان يتجاوب داخل وسام . لكنه كائن  
غير منظور على مائدة نفس حطمتها الأحداث مع آخر وآخر  
من أمثاله . ولكل كائن أساليبه وتعابيره في توضيح مفهوم  
الحقائق والوقائع .

ما هذا التضارب .. ما هذا التناقض .. أي قانون وضع  
لتسيير دفة الكون .. ألا يستطيع رجل أن يوفق بين  
شخصياته المتعددة ولو ضمن تفكيره .. ألا يستطيع صهر  
جميع هذه الشخصيات في بوتقة شخصية واحدة ؟ حرب وحرب  
في النفس .. وفي التفكير .. في الضمير .. من الرابح ومن  
الخاسر يا ترى ؟

إلى أين تطرقت يا وسام .. إنك كائن تعمل ما لا تريد ..  
وتريد ما لا تعمل .. إنك مسير بفضل قوة خفية .. تصويبها  
وتحديدها يتعديان نطاق مفهومك .. لا تحارب .. إرم  
السلاح .. هي ستقرر لك مستقبلك ..

لكن لا .. أنا أريد القوة تنبع مني . أريد أن أصارح  
والذي يجلية الأمر .

وسام .. أي فائدة ستجنيها من جراء مصارحتها .. هل  
أنت واثق من موافقتها .. وهل تضمن النتائج ..

لا .. إذن دع هذا لنفسك .. ابقه طي الكتمان لتمتع  
بلذة بنشوة مفهوم الأنا . لأنك إذا وضحت لها كل شيء تكون  
قد أذبت أنك في بوتقة شخصيتها . وبفقدك وجود شخصيتك  
وتكون قد حكمت على إرادتك بالاضمحلال .

تجاوبت جميع هذه الأصداء ضمن هيكل واهن ، انحل  
تدريجياً مع مرور الزمن من جراء الأحداث التي تعاقبت عليه .  
فعاف التجديد وأحب الركون الى الخلود والسكينة . لكن  
شيئاً مبهماً كان يشده إلى عجلة الوقت . ليندفع معها ويندفع  
في فراغ يميلء فراغ . حياته حلقات مختلفة الأشكال والأحجام .  
تربطها ببعضها رغبة البقاء . وتنتهي بقيد يسور جسده ..  
قيد ثبتت أصوله ببلاط إرادة هناء .



مضت الساعات تجر نفسها متثاقلة في وحشة الليل البهيم .  
فأثقلت وسام بما يعجز عن حمله من هموم وتخيلات وخيالات لا  
نهاية لبدائيتها . فقد صبره ، وناشد الله أن تمر عليه ليلته  
دون أن يصاب بمس . ولم تكن حالة أهله أفضل من حالته .  
لكن اختلاف الوضعين كان في اتجاه تفكير كل فرد منهم .  
كان وسام في عزائهم وهم في هنائه . كانوا يفرشون دربه  
بالورود والرياحين وهو ينجر لهم الخوازيق . هو أمضى الليل  
يفكر بهناء وكيف سيعود إليها . وهم كان تفكيرهم محصور  
بمرضه وبمرضهم بعودته إليهم . وما ان طلع النهار حتى فاجأهم  
بعزمه على الرجوع إلى المدينة . ولم يكتف بذلك : بل طالبهم  
بنقود . إنه بحاجة إلى نقود . إنه خسران ويريد أن يعوض  
خسارته .

صعق الأب واصيب برجفة شديدة ، ثم بانحلال كلي  
اجبره على الانطواء . لأن ردة الفعل التي أحدثها قرار وسام  
كانت أقوى مما يتحملة جسده الضعيف . بعد أن بنى مستقبل  
وسام على احلام عذاب . وغابت مقاومة أمال ووالدتها في  
لطفها واهتمامها باسعاف الشيخ المسكين . لكن عيونها كان  
بها شيء من التأنيب مزوجاً بالاستعطاف . ولسان حالها  
يقول : انظر ما جنته فعلتك يا قايين .

توقف جسد وسام عن الحركة ، وأصبح كأنه صنم لا يريم .  
والشيء الوحيد الذي يميزه عن الجماد كان عينين زائغتين  
تتنقلان من والده إلى والدته إلى أمال . لكن خياله كان يحول

هناك ، حول المواخير .. في الطرف الكحيل . في الحصر  
الضامر .. مع الكاس .. وأخيراً في عالم الاحلام .. عالم  
الهيرويين .

كان جو المربع الذي يسكنونه ( مربع الشتاء ) خانقاً  
يضغط على صدره شيئاً فشيئاً حتى كاد ينفجر فخرج إلى  
المربع المجاور ( غرفة الاستقبال ) الذي تتصدره مرآة كبيرة  
من البلور الصافي وتقابلها من الجهة الأخرى صورة نصفية كبيرة  
للعائلة بكاملها . ضمن اطار جميل صفت على جوانبه من الداخل  
صور صغيرة لبعض الأشخاص من ذوي قرباهم أو أصحابهم  
المفضلين . وصورة أخرى للسيدة العذراء وهي تحتضن طفلها  
يسوع وضع أمامها مذبح صغير صفت عليه آنية الزهل بكل  
عناية وترتيب . وفي الوسط سراج مضاء لا يطفأ في أثناء  
الليل ولا في أطراف النهار .

أما ارض المربع فكانت مفروشة بقياس كبير من السجاد  
العجمي الثمين . ينتهي قبل انتهاء صدر المكان ليبتديء آخر  
فيحتل مكانه فوق طواية سميكة ارتفعت عن الحضيض قليلاً  
فوق افريز خشبي . وكانت مساند القش الافرنجي بوجوهها  
الدمسكية تقبل الحائط بقفاها الخامي الأبيض . وعلى حافتها  
الأمامية ارائك من الحرير والمخمل مطرزة تطريزاً جميلاً زاهي  
الألوان . وعلى الجانبين دواوين خشبية فرشت اجمل فرش  
ورتبت بمعرفة ذوق سليم . وفي الجهة اليمنى عند المدخل  
تربض خزانة للاواني الزجاجية نصفها الأسفل خشبي مطعم



بفصوص من العظم المصقول اللماع . وذلك بشكل عروق  
مختلفة الرسوم والاحجام . والنصف العلوى ذو واجهة زجاجية  
تظهر ما بداخله للعيان .

من هما هذان الضيفان الثقيلان الظل .. من دعاها إلى  
زيارتنا في وقت نحن احوج فيه إلى الراحة .. وهذا الضعيف  
المتهالك ما باله تعوي النقمة في عينيه .. وهذا الوسيم الجسيم  
ما هذه الابتسامة المشرقة التي تمر على شفتيه .. ما به ..  
ايهزأ مني أنا وسام صاحب الدار .. ما هذه الوقاحة .. يا لقلّة  
الأدب . سا .. لكنه رجع الى نفسه وقال : الأجدربى أن  
أسألها عما يبغيان وبعده سئرى .

كان وسام يجوس في فناء المربع يجسده وناظريه ، لكن  
عقله كان في عالم آخر . ضالاً لا يستقر له قرار . فمد يده  
ليصافحها لكن يده اصطدمت بالجهد . فارتد مذعوراً .  
ماذا .. من .. ألا يوجد أحد .. لكنهما كانا هنا منذ هنيهة .  
لقد شاهدتهما .. نعم كانا هناك . ثم فرك عينيه ليتأكد من أنه  
ليس في حلم . وفتحها على نفس المشهد . ضيفيه الثقيلين الظل .  
فتفاعل في ضممه صراخ مكبوت . وشعر بأنه يحتاج الى حماية ..  
الى من يظهر له جلية الأمر . ودار تلقائياً الى الخلف مولياً  
ظهره الى المرأة فواجه في الأخرى رسمة معلقاً على الجدار .  
انه نفس الضيف . انه ليس بضيف . لكن لا ، ووضع يده  
على صدغه وبدأ يفكر .

انه أنا .. هذا رسمي .. والآخر من هو .. ألا يزال هنا ..

ودار أيضاً على نفسه فواجه بديله بالمرآة .. وهذا أنا .. أي  
فرق .. أي بون شاسع بين الأمس واليوم .. وبدأ العرق  
البارد يتصبب فوق جبينه فمسحه بمديله وقال : يا لغباوتي ..  
حتى شخصيتي اشكلت علي معرفتها .. وبيتي هذا .. هذا  
بيتي أستطيع تمييز محتوياته .. نعم .. وجمال بنظره في  
جنبات المربع ان كل شيء باق على حاله منذ فارقته . ألم  
يدخله في غيابي أحد .. يا لقساوتي ان أهلي قد انقطعوا عن  
العالم . في طوال المدة التي غبتها عنهم .. وذلك بسببي ..  
انني جاحد .. عقوق .. وجمال بنظره ثانية .. السجاد  
والدواوين والمسافد والارائك في نفس المكان وفي ذات الوضع ..  
هل ان يد سحرية أبقتهم على حالهم ياترى .. وهذا ..  
والآخر .. ثم طالعه رسم والده بمحديقته الناريتين ضاغطاً  
عليه من علي .. فولد في نفسه ثورة جاححة انفجرت تهديداً  
وتنديداً .

أفي خلوتي تلاحقني بتأنيبك أيضاً .. أريد أن أتحرر ..  
أريد ، أريد ، وخفت صوته رويداً ، هذا حقي ، لقد  
دفعت ثمن حريقي من أعصابي ، من صحتي ، ثم نظر الى  
نفسه في المرآة وقال : هذا ثن باهظ ، أمن حق أي فرد  
مهما سما مركزه وارتفع شأنه أن يجد من حريقي ، لا ،  
هذا محال ، لقد دفعت الثمن غير مأسوف عليه ، و ..  
وبيئنا هو في سويدائه دخلت أمال وقطعت عليه حبل  
تفكيره . فتلقاها بوجه متجهم أصفر ذابل وعاجلها بالسؤال :



ماذا تريدین ؟

وسام .. اخي .. حنوني .. بحق الله اشفق على والدك ،  
انه يعاني سكرات الموت . ان المصيبة فاخرة فاما لتبتلعنا ..  
وكان حديثها في انكسار وضراعة .

كفى .. كفى .. انني لم اعد اطيعك تزلفكم واستعطفكم .  
ابتعدوا عني . ورفع يده في وجهها مهدداً .

اخي .. أنت كل ما نبغي في هذا الوجود .. حياتنا ..  
أموالنا وآمالنا فداك .. افلا يرضيك هذا .

ابتهج وسام كان يداً سحرية قد لمستة . وكان ترجيع  
صدى كلماتها يتجاوب في ضمنه . وفاه بكلمة واحدة كأنه  
لم يسمع غيرها .. مال ، مال ، مال ، ماذا ، ابقني مال .

وسام اهذال كل ما يهيمك ، ونحن ، وشددت على كلمة  
نحن ، واعادتها مراراً الا نعني في حياتك شيئاً ..

وكان قد صمم على السير في غوايته حتى النهاية . لكنه  
فضل الحيلة لأنها أقرب إلى نيل المرام .

أمال .. يا أختي الحنونة .. افي ظنك انني انسان بلا  
قلب ، لا ، لا ، هي مشا كل الحياة التي اجبرتني على الصدود  
عنك ، لقد فتح الله علي بابا كان مغلقاً ، وباشرت بمشروع  
كان القيام به يتطلب خبرة ودراية . وانا كنت فيما قبل غراً  
جاهلاً لا خبرة عندي ولا دراية . فبددت كل ما اخذته  
سابقاً على لا شيء . لكن ذاك المال لا يذهب هدراً إلا ..

إلا ماذا .. وداخلها قبس من نور الأمل عندها لمست

تغييراً في هيأته ولهجته .

نعم .. إلا إذا حصلت على قدر من المال الآن . لأنني قد كسبت من تجارب وحن الماضي خبرة تؤهلني لإدارة اعمالي بكل درايه ودقة . وهذا ما يضمن لي الربح الوفير .

فقهقت آمال عالياً وكانت بقهقهتها كمن يهزج فوق قبر عزيز غال . وتساءلت ضمناً ، ثم خرج تساؤلها على لسانها .

وسام .. قالتها بتهكم مازح .. ايها الخطيب اللامع والخبير الشهير . من اين امتلك هذه المعرفة كلها . خبرة . دراية . تجارب . حن . دقة . ربح وفير .. انسيت الرفش والمعول . والصمد والنير واعطر وغندور . ثم الكرمة والبستان . انسيت كل هذا يا وسام ..

لا يا آمال .. ان الحياة لا تدوم على وجه واحد .. واظن ان هذه قسمتي .. وهذا ما كتب لي .

لكن يا وسام .. الا تفضل العودة إلى احضان الطبيعة ، إلى بساتيننا إلى كرومنا وهي ليست الضئيلة المتباخلة عليك . آمال .. لم اللف والدوران .. انت رفيقة طفولتي وشبابي . أقول هذا لأثبت لك انك تعنين كل شيء لي في هذا الوجود . سأضع ماضي وحاضري ومستقبلي بين يديك وانت احكمي بما تشائين .

عندما رأت آمال منه هذه الصراحة ، شعرت بأنها قد وضعت أمام الأمر الواقع . واخذت المسألة من ناحيتها الجديدة لأنه اشركها معه بتحمل المسؤولية . فاجابته باهتمام كسلي ..



هات ما عندك لنرى .

اقتربي .. اجلسي بقربي .. لنبتدىء من الماضي يوم كنا نعطي الأرض قوتنا . ونفري ثراها بكل همة ونشاط .  
أكان يعود علينا ذلك بالخير واليمن .. طبعاً لا .. لأننا كنا نجد أمامنا إنتاجاً متزايداً وغلة فائضة . لكن في نهاية الموسم .  
أكنا ندخر سوى الزفرة والأهر لعدم إيجاد أسواق لتصريف  
إنتاجنا .. نعم كنا نراه أمامنا مكدياً مكوماً كأنه جيفة  
نتنة ولا من ينظر ولا من يسأل .

صدقت .. نعم ان كل هذا كان يحدث . لكن أوليس  
أفضل من حالتك الآن ؟ ..

معك حق .. انه أفضل من حالتي اذا بقيت عليها . لكن  
أعيدي معي أسماء الذين سبقوني الى المدينة . كيف كانت  
حالتهم قبل نزوحهم .. وبعده .. ثم الآن .. أبعدهم مثلها  
كلنا سابقاً ..

كان وسام يذكر لها ذلك . وهي تجول بمخيلتها وراء كل  
فرد من الذين ذكرهم لها . هذا فريد جابر ابن أفقر فقراء  
القرية . كان سابقاً موضع سخرية الجميع . سرواله المهلهل  
الذي استحال الى مجموعة من الألوان لكثرة الرتق به .  
وبسطاره ذو المسامير النافرة ورقاعه المتعددة . فهذه رقعة  
تجمعها شريطة وتلك تضمها رتقة .. ثم بقدميه المقيحتين .  
بكوفتيه التي لا لون لها . والآن أين منه فتى الأمس .. انه  
يختال كأنه وحيد زمانه عندما يسير في طرقات البلدة .

ويتلفت ذات اليمين وذات اليسار ليستلفت أنظار المارة باناقته .. ببذلته الأفرنجية وحنائه اللماع .

لقد نزع الى المدينة منذ عامين . واشتغل عاملاً في معمل لصب الحديد . ماذا مر عليه قبل أن يستلم العمل .. أجاج ، أعري ، ماذا ضحي مقابل استلام هذا العمل .. من برطل ، أين كان مأواه قبل ذلك ، لا أحد يعلم ، وذاك ، وذاك ، والآخر ، جميع الذين نزحوا هل هم أفضل من الذين فضلوا عيشة القرية ، والجواب نعم ، ابن القرية بقي هو هو ، تعب وكد ونصب ، ومحيطه صمد ونير وفدان وشجرة . أما ساكن المدينة فقد تغيرت أحواله ، وتبدلت عقليته فتفرنج وعاش حياة الرفاه والراحة .

أخذ وسام على أمال سكوتهما وقال : أجيبني .. لماذا لا تجاوبي ؟ ..

معك حق .. أجابته بتردد . لكن والدينا من يعولهم اذا حدث لهم أي حادث لا سمح الله .. ونحن هنا في وحدتنا بعيدين عن الجيران .. أنا الضعيفة أجرف الثلج وأتغلب على الرياح ، وأقلقل وحشة الليل لأطلب مساعدة الغريب .. أمال . لكم ولي الله . وكل شيء يحدث بأمره لا مفر منه . اذا سلمت معك جديلاً وبقيت في القرية .. كيف أستطيع مقابلة العالم .. وبأي وجه .. إذا قالوا لي أين بددت مالك فبماذا أجيبهم .. انظري إلي ملياً .. أسمح لي صحتي بمتابعة العمل بالأرض ، بعد هذا الضعف .. وإذا قالوا لي أين



همتك .. أين فتوتك .. فماذا أجيبهم أنا المتهدم المتداعي ..  
أقول لهم ان الصحة تذهب وتعود .. لا .. لقد انتهيت ..  
دعيني لهمي وبلائي . ثم ارتقى بين أحضانها .. وكانت دموعه  
قد سبقته لتبلل راحتها اللتين دفن رأسه بينهما . وأخذ  
ينتحب كطفل رضيع .

وهال هذا الأمر .. وسام .. حشاشة كبدها يبكي ..  
ذاك الجبار الذي كانت السباع ترهب لقياه ، وصناديد  
الرجال معاكسته .. ينتحب ؟ .. لا .. إن هذا لا يطاق ..  
أي مصاب جلال حل برؤسهم .. ماذا .. ما تستطيع أن  
تفعل وهي المهیضة الجناح .. الضعيفة الحيلة .. ثم رفعت  
يديها نحو السماء وقالت : رباہ ، إننا وديعتك في هذه الحياة ..  
لا تتخلى عنا .

وكان وسام قد سيطر على نفسه قليلاً فقال لها :  
لا عليك .. سأندبر الأمر .. وبإضافته على لهجته شيئاً  
من الجدية كان كمن صمم على تنفيذ شيء ما مهما كانت الأحوال .  
فاحتارت أمال .. ماذا سيفعل .. من أين سيأتي بالمال ؟ ..  
أيسرق . أيقتل . أيعتدي على مال الغير ؟ . لا . لا هذا  
فظيع .

إذا كان مجرد فكر هز نفسها هكذا فكيف إذا كان  
الأمر صحيحاً . إنها ستجن لا محال . وعادت بذكرتها الى  
الماضي ، الى الأيام الممتلئة الخاوية من بسمه مرحلة . من فرحة  
باجتماع شمل العائلة ، يوم كانت تجلس ووالديها يجترون المراتة

ويتجرعون العذاب • زادهم وأكلهم وشربهم خوف من مستقبل  
مظلم ينتظر وساماً وقرشهم الأبيض الذي كان يعتمر زنار  
الأب ويغفو في جيبه الأم تحت ستار سميك من الثياب ،  
ويرقد في نخباً أمين لا تصل إليه عيون الحساد • هذا القرش  
أين هو الآن • • لقد بدده الفأ وراء الف ، ومائة أثر مائة • •  
نعم لقد باتوا في المدة الأخيرة على الطوى ليال عديدة ليحافظوا  
على الأرض كي تبقى درعاً يقي وساماً غدرات الزمان •  
ولولا بقية مؤونة ادخروها في فصل الصيف لكانوا أقرب الى  
الاستجداء من سواد العين الى بياضها •

والآن • • ماذا بقي لهم • • ماذا تستطيع أن تفعل • •  
يا أنبياء • • يا قديسين انجدوني • •  
نهض وسام متثاقلاً وهم بالخروج فتصدت له أمال • •  
الى اين ؟ • •

الى بلاد الله الواسعة • • هو خلقي وهو يدبر أمري • •  
وكان باكبابه على صدر أمال قد شعر بخشيش أساورها الذهبية  
يخدش أذنه • • وباصغائه الى حديثها وهي تؤاسيه نظر الى  
مبرومتها الذهبيتين اللتين تسورا معصمها • • وكان في ضميره  
شيء • •

لا • • لن تذهب • • وصدته بتصميم وعناد • • بربك عدني  
بذلك • • ابق ولو قليلاً وبعده ستدبر الأمر ، وكانت تتوخي  
من جراء ذلك كسب الوقت عليها تقنعه بالبقاء ، أو يفرجها  
عليهم الله من باب لا ينتظرونه •



أمال .. أن مصالحي واشغالي لا تتحمل بعدي عنها أكثر  
من ذلك . وكل دقيقة تأخير تضاعف خسارتي .  
إذا عدت إلى عمالك وانت صفر اليدين ، فماذا ينفعلك  
ذلك ..

لا أدري .. وقلب شفتيه رضوخاً للأمر الواقع . لكن  
إذا افلست نهائياً لا يبقى أمامي سوى الانتحار .  
أن ، ان ، انت ، حار ، موت ، لا .. لا تفجعنا  
بك بحق السماء . ومدت يديها تستجير منه به . وبع صوتها  
وخنقته العبرات . لكن شيئاً ما اعادها إلى الهدوء .. يديها  
أمامها واساورها .. مصاعها . لماذا لا تدفعه إليه .  
وسام قطعة من نفسها اتعز عليه المصاغ .. لا .. لا كان  
المصاغ ولا كانت ساعته . فليذهب إلى الشيطان . وكانت  
بتنفيذ عملها اسرع من فكرها ، وكان المصاغ اسرع من  
الاثنين ، فخرج من الزنود الناعمة ليستقر في جيوب وسام .

## فاطر عابر

ماذا في الأمر .. تساءل وسام .. هل من جديد .. ان شيئاً غير طبيعي يجري داخل الدار ، وخارجها ، ان الجو ملبد بالغيوم .

هنا في الخارج عيون غريبة تراقب الزائرين . وفي الداخل ضوضاء مكبوتة . ايدخل ليري ما يحدث عل كذب أم يتريث ليعرف جلية الأمر .. لكنه قرر الانتظار أخيراً وانزوى في إحدى منعطفات الشارع . ولم يدم انتظاره طويلاً إذ مر أمامه خليل سائق سيارة هناء فسأله : ماذا هناك ؟ وأشار إلى الداخل .

لا شيء .. وقلب شفتيه بقلة اكتراث . لقد مرت الاحداث بسلام .

احداث .. وبسلام .. ماذا جرى ..  
لقد داهمتنا فرقة الاخلاق على حين غرة . ولولا مكالمة هاتفية وصلتنا قبل قدومهم بنصف ساعة كنا الآن نختال بقيود الحديد ضمن السجن . لكن الأمور جرت طبق المرام .. البنات التجأن إلى مخابئهن السرية بصحبة زبائننا الاشاوس . ثم توقف عن الحديث .



وهناء .. قل بربك .. هل حدث لها شيء ..  
لا .. هدى من روعك .. كانت بثوبها الأسود تستدر  
العطف والاشفاق ، ثم الاجلال والتقدير من اقصى القلوب  
واشدها تحجراً ..

انها أرملة ثري كبير توفاه الله وهي في أوج صباها ..  
أوليس هذا مما يستوجب العطف والشفقة .. ثم قهقهه عالياً  
الى أن بانث نواجزه .. وأردف .. وأنا سائق سيارتها كما  
تعلم .. أليس كذلك ..

انفرجت أسارير وسام بعد عبوس وتجهم .. وانطلق  
يخطف درجات الدار مشى وثلاث .. وولج الى فناء المنزل ..  
وعيناه تبحث هنا وهناك .. أين هناء .. سأل بصوت ملهوف ..  
انها في غرفتها .. ذهبت لتستريح .. وظهرت أمامه جميلة ..  
هل تريد أي خدمة ؟

لا .. وتقدم من باب غرفة هناء وفتحته بهدوء .. ثم  
تجلت به جميع مظاهر الاجلال والتكريم .. هنا ضمن هذه  
الجدران تجلس مالكة لبه ويجب ألا يزعجها بالضجيج  
والضوضاء ..

هناء ..

من .. وسام .. لقد عدت الله لا كان ردك .. ما هذه  
السرعة التي عدت بها .. هل عافوك أهلك ففدوك إلي بهذه  
العجلة ..

فيكفي فؤاده ونكس رأسه بذلة وانكسار .. ثم اردف ..

لم استطع تحمل فراقك يا حبيبتي • فعدت لأقدم لك عواظفي  
على طبق كرامتي •

وشاعر أيضاً • • أجابته بصوت خرج من صدرها كالضحك •  
أخرج من هنا قبل أن تنجس الدار بقدميك الرجستين • •  
عد الى ذويك • • الى بؤرة الفساد ومخزن الشرور لأن القرمة  
ينبت على أصلها الشجر •

وئارت كرامة وسام • • والداه أطهر أهل الأرض تحقرهم  
هنا وهي اللعينة الشريرة • لكنها بقية ثورة أفكار • • ثورة  
في الروح • واجتهد كي لا تتعدى نطاق الجسد • فتالك  
أعصابه وقال لها هدئي من روعك • لماذا كل هذه الاحتقارات  
والاراجيف وأخرج الأساور والحلق من جيبه • لأنه كان  
يعلم مسبقاً انها مفتاح رضاها •

اتسعت حدقتا هنا ولم تصدق ما رآته عيناها لأول وهلة  
ماذا • • أساور • • حلق • • وتبدلت لهجتها • من أين  
أحضرتها يا عفريت • • هات تنشوف • • ومدت يدها  
لتستولي على المصاغ لكن وساماً كان أسرع منها • فردها الى  
جيبه • • هكذا سريعاً ودون ثمن • • وقدمت له شفتيها القانيتين  
بنعنع ودلع • وقالت خذ • • ه • • أهذا يكفيك •

وأطبق على شفتيها بلهفة الجائع المحروم • وتجول متنقلاً  
بفمه فوق جسم الجسد الذي بدأ يعريه • شقتها • • صدرها • •  
وجها • • جسدها • • نهدها كل قطعة تصل إليها شفتاه  
الثائرتان • • وأخيراً كبا به الجواد فتراجع نجاراً وراءه



أذبال الحبيبة والخذلان . فتحطم شر تحطم . انه يعدنفسه هذه  
الجولة منذ أمد بعيد . منذ خذلانه لأول مرة . . والآن بعد أن  
تحققت أمنيته ينهار كأنه لا شيء ، . هذا كثير ، . هذا لا يطاق ، .  
ماذا جنيت ، . وكانت هناء قد استولت على المصاغ فلم تأبه  
لما حل به . . وصبت جل اهتمامها على تقدير قيمة ما استولت  
عليه . .

وبينا كانت تقلب الحلى في يديها استرعت انتباهها اسواره  
كانت قد شاهدتها في زند آمال . فأعادتها إلى ذكرى أيام  
خلت . . الى طلاوة أيام أمضتها في المروج . . في البساتين . .  
في الكروم بصحبة آمال .

وتردد ضمنها صوت خافت قادماً من البعيد . آمال . .  
آمال . . وأي شيء تعني لي آمال . . ماذا يعني من أمرها .  
لكن ذاك الصوت قال :

انها تعني كل شيء لك . جمال ، فتوة ، جاذب ، سمار .  
انها تحفة نادرة المثال . وهذا رأس مال كبير يا هناء . وصحاح  
في داخلها مجهول آخر . . و كان ثائراً ناقماً . صحاح بعد طول  
رقاد . الآن قد جاء وقت الانتقام . شرفها . لقد كانت  
عديمة الشرف إزاء آمال ذات الشرف المصون . كرامتها .  
وهل بقي لها كرامة تجاه ما رأته من آباء آمال ورفعة نفسها ، .  
وأخيراً عفتها ، . أين هي ، . لقد داستها الأرجل وعركتها  
في الأوحال ، . وآمال قد صانتها حتى من القيل والقال ، .  
ولو تلميحاً . لقد حاولت أن تجرّها الى السقوط مراراً ، .

وفي أسلوب شيق مستتر • لكنها كانت حيال صخر لا يلين •  
والآن •. الآن الطريق ممهدة أمامها • والوسيلة لاحتضار  
النعجة الى المسلخ بين يديها •. ووسام •. وسام الطريق وبه  
• نيل المرام •



## الخاطر يتبسم

مر اسبوع ثم آخر كتاب بخمسة عشر ورقة بثلاثين صفحة سوداء وبيضاء . اسبوعان فرقها الزمن في لجج الماضي بعد تضافر الخيز والشر على تسطير وقائعها وكانت هناء رسول الشيطان تلقي حباثلها للايقاع بالابرياء الوادعين .

هذا فتى تدل هيئته على ثراء وفير ، تلميذ يجاهد لتحصيل شهادته ، لكن لا ، انه ابتدأها في المدرسة وسينهيها في بيتي ، له اللذة والبهجة ، والذل والخنوع ، ولي المال ، وذاك شاب مع حوريته ، خطيبته ، محط ، رحاله ، غني متجول ، أتركه في حال سيئه لينعم في سعاداته وهنائه ، لا ، علي الخداع والاغراء والارواء وعليه دفع الدراهم بكرم وسخاء .

هذه فتاة جميلة ، وشريفة ، بنت عائلة فقيرة محافظة ، لها جمالها وفقرها ، ورغبتها الصريعة المكبوتة ، ورغبتها بالحصول على ثوب جميل لتكمل بهرجتها وزينتها ، وتحقيق ذلك عندي ، في جيوبي من مالي ، لقاء جسدها ، على حساب عفتها وكرامتها .  
وتلك امرأة ، ربة عائلة ، لها أولادها وزوجها ومنزلها ،

شرهة ، شهبوانية ، نارية ، طهاة ، وعندى الدواء  
لاطفاء شهواتها واخماد نارها المستعرة ، ودواءها شباب  
متوثب ، همة ونشاط .

ضحايا بريئة ، حبات عقد تضمهم هناء الى خيط مكروهاً  
وفسادها . والآن قد أتى دور الدرة اليتيمة . دور أعمال  
لتضمها الى رفيقاتها .

جالت جميع هذه الأفكار في رأس هناء وهي جالسة  
باسترخاء فوق مقعد وثير ، واضعة قدميها فوق مقعد آخر ،  
وردأؤها رقيق شفاف نفرته يداها عن عاموديها الرخامين .  
ودخان لفاقتها يجدل فوق رأسها حلقات وحلقات . فتنظر  
الى مستقبلها من خلاله . ومن حولها فتيات خليعات ،  
وشبان أعمت أعينهم الشهوة الحمراء . داسوا على رجولتهم  
وأصبحوا كأحط النساء الخانعات . كانت تنظر الى كل هذا  
الحشد الحافل من عبي . كأنها قائد منتصر يستعرض جيشه  
بعد معركة طاحنة تغلب فيها على عدوه .

لكن هذا لم يشبع نهمها ولم يكف غريزتها البهيمية التي  
تتوق دائماً الى نحر عفاف جديد . وسلب رجولة عارمة .  
فجلست فجأة ونظرت حولها فلم تجد وساماً . وكان هاجساً  
يدفعها .. ان عجلى ، استحشيه على احضارها . وكان بقرها .  
شاب عريض المنكبين ، يفترس عشرة من الرجال العاديين اذا  
تصدوا له ويقهرهم دفعة واحدة ، اسمه سعيد ، فنادته  
بنزق .



ولا ، يا اخو ، ك ، اين هو وسام ..  
لا أدري ، يا ش ، يا ، يا ، الى كل ما هنالك من  
نعوت في قاموس الرذيلة .  
لا تدري ، ابحت عنه وليأت الي حالاً .  
حاضر ستي .

دخل وسام مستوضحاً ، ماذا ، لما كل هذا الاستعجال ،  
خيراً ان شاء الله .

لا ، لكن اشتقت الى رؤياك فناديتك ، اسبقني الى  
الداخل ، فدخل الى غرفتها الخاصة وقد أوجس شراً ،  
وتساءل ، ماذا وراء ابتسامتها ، هل من جديد ، أهو  
المال ، لكنها تعلم بانني لا املك شيئاً ، جماع ، وألقى  
نظرة سريعة على جسده الهزيل المتراخي ، لا خصوصاً بعد  
كبتوتي في المدة الأخيرة وجدد فكره هذا حرقه الذل الذي  
اعترته آنذاك ، فتصعب العرق بارداً فوق جبينه وخذلته  
ركبتاه فلم يعد يقوى على الوقوف ، وألقى بجسده فوق كرسي  
كان بقربه ، فعلا لهائه وتسارعت دقات قلبه وأصبح كهارب  
من اشدق الموت .

ولم تتركه هناء في سويدائه ، فأعادته الى وعيه على رنين  
صوتها الساحر .

وسام .. ما بك يا وسام ..  
فانتفض كمن لدغته أفعى ، أو كجندي مخالف فوجيء  
بمحضور قائده على حين غرة ، وأجابها جاهداً في حفظ توازن

جسده لا شيء .. ماذا تريدن ..  
 ماذا أريد ، هذا غريب حقاً ، ألا تعلم ماذا أريد ،  
 انك تتجاهل ذلك .  
 أتجاهل ، لا ، وحقك .  
 وحقي ، وحياتي ، أتخلف بي ، أهذه الدرجة  
 تحبني ..  
 هناء ، أتسأليني ان كنت أعزك ، هذا حرام ، إن  
 حبك يجري في عروقي ، انه دمي أنت أئمن شيء عندي في  
 الوجود ..  
 وما البرهان على ذلك ، اني لا أؤخذ بالكلام ، أريد  
 حقائق .  
 حقاً انك ظالمة ، أبعد الذي ضحيت به بسبيلك يوجد شيء  
 في الوجود يستحق التضحية .  
 حقاً انك أضحكمتني .. وكان كلامها بسخرية . ماذا  
 ضحيت بسبيلي يا هذا ..  
 سؤال أجوف .. ماذا ضحيت بسبيلك .. وشبابي ..  
 راحتي ، سعادي ، ثروتي ، وأخيراً والذي .  
 قهقهت هناء عالياً حتى بانث نواجزها . واتسعت فتحة  
 فمها مع اتساع ضحكاتها مما زاد رعونة تكشيرتها . وخرج  
 الكلام من جوفها مبتدلاً .. ونادته مسمية إياه بالموضع  
 الحساس فيه .. ولا .. يا اخو . يا ، يا ابن ، يا شهيد الحق  
 والعدالة ، يا شهيد الهوى والغرام ، يا شهيد طيب .. أنت ضحيت



بسببيلي كل ما ذكرت ، وأي متى كنت صاحب ثروة وقوة  
وصحة وجمال ، ألم تكن معيشتك من فضلي وسعيمي وتدييري .  
وجالت في خاطر وسام أشياء وأشياء . كرامته . .  
رجولته . . شرفه تدوسها هذه الرعناء بقدمها دون أن يرف  
لها جفن . . لا . . ، لأذهب بسببيلي وأنقذ البقية الباقية من  
فترة حياتي من فظاظتها وعنجهيتها . . لكن الى أين . الى  
القرية . . وبأي وجه سأقابل أهلي بعد الذي أنزلته بهم من  
نواب . . الى العمل خارجاً . . وأين رأس مالي . أين صحتي ،  
وهل أقوى على القيام بأي عمل ، وتفجر الأسى في فؤاده  
فصرخ ورأسه بين يديه . . لا . . لا . . كفى . إنني أكاد  
أجن ، رحماك يا هناء .

أجرت هناء نشوة إنسحاقه ، وأجابته بليوننة مبطنة . .  
إنك باسترحامك هذا تضعني أمام الأمر الواقع . وتجعلني  
أشكك بنفسي وأظن إني ظالمة . لكن أنا بعكس ذلك تماماً  
وأقول هذا لمصلحتك . . لمصلحتك فقط . . إنني أدلك على  
طريق الصواب . . وأظهر لك نفسك على حقيقتها ، أجلس . .  
رافقني بجديشي . لكن دون معارضة .

عندما كنت في الجبل . ألم تكن غراً جاهلاً ولا أحد  
يشعر بوجودك . . وأنا ألم أرشدك إلى النور وأشعرك بلذة  
الحياة . . وذلك بفتح أبواب الحياة أمام شبابك وقوتك . .  
وقوتك . وشبابك أين هما . . ألم تدفعها ثمناً للذتك ونشوتك  
بخمر حقائق الوجود . . وحقائق الحياة ذروة شاهقة حطت

رحالك فوقها ووسيلتك إلى بلوغ الذروة سلم طويل .. وهذا السلم هو المادة ، أو بمعنى أوضح المال .. المال الذي تبكيه وتندبه .

كانت كلماتها واقعا حيا عاشه وسام . وهو كان تاجراً .. راجحاً خاسراً .. لا يدري .. يقايض بضاعة ببضاعة . من قوته وصحته وماله يدفع .. ومن بحر ملذاتها يغرف .. من وقائع أوجدته بها فيها من الغرابة ما يحير ويدهش ، ومن المتناقضات الشيء الكثير صور موضحة غامضة . مضحكة مبكية .. لا يهم .. كل شيء كان له لذته المفضلة التي تميزه عن غيره .. والأجدر من كل ذلك أنها أطلعت على الوجه الآخر من الحياة ، أي الحياة البهيمية المتحررة من جميع سلاسل المجتمع الوعي وقيوده .

وكلما رافقها بجديثها كانت أساريه تنبسط شيئاً فشيئاً . إلى أن قال لها : كفى .. دعينا من الماضي ولنعش حاضرنا . الآن ماذا تريدن ..

وكان انتصار هناء ساحقاً إذ شعرت مسبقاً بأن جميع رغباتها ستقرر ، وبأن آمال قد أصبحت في دارها . وجمال فكرها في رحاب مستقبلها .. آمال ستكون كنزي الدفين ، سا .. وسا .. وردت على وسام بكل جدية واهتمام .

في الآونة الأخيرة بدأت أشعر بوخز الضمير . وبفراغ يلاً حياتي . ثم تثابقت ورمت يدها على حرجها بتراخ بعد توقفها عن الكلام ، لترى ما مدى تأثير وقع كلامها عليه . وكان



ظننها في محله ، إذ تبدلت حالة وسام ونطقت جميع جوارحه  
بالاهتمام والجدية . فقال :

ما بك .. خير ان شاء الله .

وأجابته بتمويه ظاهر :

لا شيء يستحق الاهتمام . لا تشغل بالك .

كلا .. يجب أن أعرف . إنك تسحقيني بسكوتك .

ماذا في الأمر ؟ ..

قلت لك لا شيء مهم .. لكن ..

لكن ماذا ؟

وسام . بربك أعفني من الإفصاح .. ودعني في عذابي

وآلامي .. وتقمصت شخصية الشهيدة المعذبة . جن جنون

وسام وطار صوابه ، فصرح حائراً :

إفصحي بربك .. ماذا في الأمر ؟

هدىء من روعك يا حبيبي .. ومررت يدها المرتعشة فوق

جبينه .. سأقول لك كل شيء .

وسكن روع وسام كأن بيدها سحراً غامضاً .. ونادها

بضراعة الطفل :

لقد مزقت فؤادي .. ويكفي أنني ظننتك ولو لدقيقة

واحدة في خطر .

همت هناء بأن تفصح عن رغبتها . لكنها فضلت التريث

لتتشبت من قوة مفعول قبلتها . ولتتأكد من متانة شباكها .

فأخذت وسام من يده وأجلسته فوق ركبته ثم انهالت

عليه بفيض من القبلات المحمومة فأسكرته بخمر مفاجئها الغير  
منتظرة . وأعادت إلى تخيلته ذكرى ماضٍ تليد عاشه منذ  
كان مالكا قوته ونشاطه .

وكانت كقائد مجرب . عندما يرى موطن الضعف عند  
خصمه يضربه عليه . . . وسام وضععه عطفها المفاجيء .

هنا سيداها خطر غير منظور . . وهي بحاجة إليه . .  
اختارته ليكون منقذها من بين الجميع . . إنها لا تزال على حبها  
السابق . . وجفاؤها ما هو إلا تمثيل بتمثيل . جالت هذه  
الأفكار بمخيلته وشفاها ترشف رحيق القبل . وتخلصت هنا  
من بين يديه وأرتمت على الأرض . وأخذت تنتحب .

أرتمى عليها وسام وأنهضها مرتبكا . ثم قال . . ما هذا  
يا هناء . . ما هذا العمل .

أجابته وكأنها تحدث نفسها .

لا . . لا . . إنها ملاك . . لا يحق لي التصرف بما لها ، كيف  
أجرؤ على التفكير بها . لا يحق لي التلفظ باسمها . . ملاك . .  
ملاك . .

تعجب وسام من حالتها ، وأشكل عليه الأمر . ثم تساءل  
ضمنا من هي التي تخاف التلفظ باسمها ، ما معنى ترديدها  
ملاك . . ملاك . .

وكانت هناء قد ملت التمثيل فانتشلت من حيرته . . إذ  
قالت له مرفقة كلامها بتقديم مصاغ آمال إليه .

وسام . . بربك خلصني من هذا الكابوس الذي وضعته



فوق صدري . من اليوم الذي أحضرت لي المصاغ . . مصاغ  
أمال . . وأنا لا تغمض لي عين . . رده إليها فهي أحق به  
مني . .

فوجيء وسام بعملها وتساءل . . ما بها . . هل أصابها  
مس . . بالأمس القريب تكالبت على المصاغ . واليوم تتنازل  
عنه مقابل لا شيء . . هذا لأ يصدق . . أنا غلطان ، إنها  
شاهدة . . بريئة . . طاهرة . . وتقدم منها ضارعاً كأنها أحد  
الألياء ، وتلا صلاته أمامها هامساً ، هناء . يا من ظننت بك  
الشورور . . يا ملاكاً طاهراً . . أغفري لي خطيئتي ، لأنك  
مثال الخير والبر والصلاح .

وقهقه قلبها سروراً . لقد أنطلت عليه الحيلة . وما علي  
سوى قطف الثمر .

أنت غلطان يا وسام . . إنني شريرة . . زانية . . طريفة  
الشرف . محتقرة ، لكن لي الفخر لأنني رافقت ملاكاً عفيف  
النفس طاهر الذيل . ومع كل هذا كنت عاقبة ناكرة الجميل ،  
شقيقتك أمال أمضيت بصحبتها الصيف بكامله . وكانت لي  
خير رفيقة . لكن بماذا كافأتها ؟ . . أليس بالنسيان وعدم  
الذكرى . . رباه ماذا تكون قد ظنت بي .

قهقه وسام بدوره باستهزاء مازح .

هذا الذي يعذبك يا قرقورتي الصغيرة ؟ هدئي روعك

وعلي تدبير الأمر .

لا .. لا تهون المسألة علي .. أذني نذرت علي نفسي ان  
لا امس مصاغها ، حتى ولا ابتسم من الآن فصاعداً إلا إذا  
التقيت بها واعتذرت لها عما بدر مني من تقصير نحوها .

ألقت هناء ، كلامها بغنج ودلع آسرين طغياً علي تفكير  
وسام وحصراه في حلقة واحدة . هناء ضحية مظلومة ..  
وعليه وحده يقع عب نجاتها .. يجب تخليصها من همومها  
مهما كلف الأمر .. ما اشرفها .. ما أظهر ذيلها .. يجب  
احضار آمال إلى عندها مهما كانت الظروف .

هناء .. إذا كان هذا كل ما يهيك فعلي تدبير اللقاء .  
عليك تدبير اللقاء .. كيف ذلك .. التحضرها إلى هنا ؟  
ورد عليها بلا تفكير .. صحيح .. كيف ذلك .. واين  
سنجتمع .

لا ادري ، وقلبت شقتها بحيرة مصطنعة .. لكنها  
استدركت قائلة .. انا تعيسة .. انا ساقطة . ساعدني يارب ،  
كيف أجرؤ علي التلفظ باسمها الطاهر .

تقدم وسام منها . وجلس على المقعد بقربها ثم أخذ يدها  
بين يديه وقال ..

هوني عليك الأمر يا حبيبي . ان اجتماعك بأمال ليس  
بالمعجزة .. هي شقيقي ولي كل الحق بالاشراف علي توجيهه  
حركاتها .. سوف أمرها وعليها ان تطيع .  
إذا قبلنا معك بانها ستطيعك .. ووالداك ايسمحان لك



بالتحكّم بارادتها.. وخصوصاً بعمل يتنافى مع تقاليدنا القروية..  
فتاة محافظة ولها كرامتها وعفتها ترتاد المدينة.. حيث الفحش  
والرذيلة حسب عرفكم انتم ابناء القرى.. لا هذا لا يصير .  
يصير لا يصير .. هذا ليس من اختصاصك .. دعي  
الأمر لي

## عود على بهد

نكش ابو وسام رماد المظلم برأس ملقط كان بقربه ،  
وحوحى منطويًا على ذاته .. فبانبت بضع جمرات نصف  
مشتعلات ، كأنها اجبرت على الاحتراق جبراً .. وخبا تأثير  
وهجها مع لفات الزمهرير المتسرب من شقوق الأبواب والنوافذ.  
لذا كان البهد شديداً لاذعاً .

وكانت الطبيعة في الخارج في ذروة ثورتها ، تتصرف  
بعناصر الوجود كيفما تشاء .

الجو ملبد بالغيوم . والرياح تعوي عاصفة ، فتصنع الجهاد  
صفعاً .. والشجر تتشابك اغصانه فلا تفترق كأنها في حرب  
ضروس . والواح الصفيح التي دفت بها بعض سقوف الدور  
تقعقع متقلقلة ، وتمتج مع عواء الرياح وولولة الأغصان وضجيج  
الحروب لتؤلف مجزرة الطبيعة الرهيبة .

اقتربت أمال من والدها وذرته مجرام من الصوف ، لتقيه  
صولة الصقيع ، وجلست القرفصاء قرب المظلم وأخذت تعيد  
تحريك الرماد عليها تجد بعض الدفء ، وكانت والدتها قد  
التحفت حراماً آخر وقبعت قرب زوجها . وكان في عينها  
أسا وفي ضميرها تساؤل .



رباه .. أنا خاطئة جاحدة . اعرف نفسي واستحق أكثر  
من ذلك . نعم استحق عقابك .. لكن ألا يكفي هذا .  
رباه ارحمني ، ارحم شيخوختنا ، ارحم ضعفنا ، اننا في نهاية  
المطاف . اجعل نهايتنا هائلة سعيدة ، وانت على كل شيء  
قدير . ونظرت الى آمال نظرة يأس ، ثم رددت في همس ..  
وهذه الصغيرة .. ما ذنبها كي تتحمل كل هذا العذاب ..  
وهذا الشوك ، وهذا العوسج ، لماذا زرعا في طريقها . .  
اليسدا عليها جميع أبواب الحياة .. وهو . أرشده يا رب ،  
أرشده الى طريق الصواب ، أنر سبيله ، دله على دروب الخير  
والصلاح ، وخرج من صدرها أنين مكبوت وضاعت دموعها  
بين تجاعيد خديها .

وانتهرها ابو وسام قائلاً :

ألم نكتف بعد .. نفس الحالة ونفس الكلام .. بكاء  
وبكاء .. وآخرتها معك .

ولدي .. ولدي انه ولدي يا نديم .. وكان كلامها في  
غيبوبة حاملة .

لا .. لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام .. ولدنا قدمات  
ولا أريد أن أسمع ذكره بعد الآن .

ما هذا القول .. بربك يا نديم لا تعيده ثانية . وإلا  
عجلت برحيلتي الى القبر .

ونظر اليها أبو وسام بحرقه وألم وقال سراً ! ان هذا ليس

ببعيد .

تملئت آمال يجلسها . وألقت الشرف الذي تطرزه على  
الأرض . بعد أن استحال العمل به ، لكثرة ما صب عليه  
من دموع . وقالت لوالديها ضارعة ..

ألا يكفيننا ما نعانیه من عذاب .. لتعودا الى الشجار  
بينكما . ان حالتنا لم تعد تطاق . لنضع الجدل والتحسر على  
الماضي . ولنجد أي حل مفيد يخرجنا مما نعانیه .  
حسناً يا بنية .. ماذا ترتئين ..

لا أدري .. وكل ما أعرفه يجب أن نجد مخرجاً لحالتنا .  
اننا نكاد نموت جوعاً وبرداً . وهذا لا يطاق .

وانت يا رفقة .. ما هو رأيك ..  
رأيي .. وفكرت ملياً .. يجب أن نستدين .  
دين .. لا ..

إذن لنسبع قطعة أرض لترد عنا ذل التسول .

هذا مستحيل أيضاً .. وهز برأسه علامة النفي .. اني  
لا أبيع شبراً من الأرض وفي عرق ينبض . انها أمانة في  
عنقي . وديعة لا يحق لي التصرف بها .. انها ذخيرة توارثها  
الأبناء عن الآباء .. والآباء عن الأجداد . وسوف أورثها لأبنائي على  
زيادة ودون نقصان . وتنهذ بجرقة .. وهل لا يزال لي أبناء  
وضم آمال إلى صدره وكأنه يحميها من غدرات الزمان .

آمال .. يا ابنتي الحبيبة .. أنت كل ماتبقى لي في هذا الوجود ..  
رباه أبقياها لي . وشدها إلى صدره ثانية . ودفنت رأسها ضمن  
عباءته وشعرت بعطف الأبوة دافقاً معطاء .



وبيناهم في حالتهم هذه ، اقتحم عليهم وسام سكونهم  
وحيرتهم . فتلقوه بوجوه عابسة ، ودون أن يبادروه بكلمة  
ترحاب . لكن وساماً لم يفاجأ بهذا الإستقبال . بل كان  
ينتظره ، لأنه كان يشعر بخطيئته في قرارة ضميره . وكان  
صوتاً من البعيد يناديه . ستعود إلى صوابك يوماً ما .

وألقى عليهم التحية بلا مبالاة .. الله معكم .  
فلم يتلق رداً على سلامه .. الأب ناقم والأم كبتت ثورة  
حنانها إحتراماً لإرادة الأب .. أما أمال فكانت بين نارين ..  
ويلها وسام ، وويلها تقريع وتأنيب والدها . وكان في نفسها  
صراع .. وكان تساؤل ألم يكف الذي مضى .

اكتمل شمل العائلة ثانية . وكان شيئاً وراء المجهول يقرر  
مصيرها . عامل واحد كان يجمعهم . إرادة البقاء في تفاهم  
ووثام . ونفس العامل كان يفرقهم ايضاً عندما تتصادم  
مصالحهم المستترة في أنانية كل منهم . فتشن على إرادة الآخر  
حرباً شعواء .

أبو وسام .. رب بيت .. قائد في مملكته الصغيرة ،  
استقوى عليه أحد جنوده ، وجرده من انتشائه بخمرة  
التسلط .. كان يشعر بقوة هذا الجندي ويقر له بالغبلة ضمناً .  
لكنه كان يجب أن يوهم نفسه بأنه لا يزال القائد .. ولو في  
عين الآخرين .

ووسام جندي محكوم .. ناقت نفسه إلى التحرر من  
الأساليب التي يحكم بواسطتها .. أساليب كانت تطبق على

أمثاله لكن على عهد ( بندق أبو فتيل ) وليس على عهده . .  
 عهدة الذرة والصاروخ . عهد غزو القمر . . انتفض على القديم ،  
 واندفع نحو الجديد ، لكن إلى القسم المظلم منه .  
 وأم وسام . . خادم . . رفيق . . جندي قديم مطواع ،  
 اعتاد على تلقي الأمر وتنفيذه دون أن يجادل في دوافعه .  
 عاش القديم ووعى الجديد . . وعلم إن في القديم مر وفي  
 الجديد حلاوة . . أما جسده فقد ألفت المرارة وعلم إن الحلاوة  
 تضربه . . لكن الحلاوة كان لها في خلده جاذبية ونداء .  
 وآمال . . تآهة بين القديم والجديد . لكنهما كانت في  
 حيرة . . فلأبي الأثنين تنتصر . القديم عاشته بجسدها وروحها  
 عاشته واقعياً . أما الجديد فكانت تحسه بروحها فقط . .  
 لأن بابه مغلق في وجهها . وكان في جوهره شيء خفي  
 يشدها إليه .  
 وكان فوق الجميع شبح هائل . . كالوهم حجماً . .  
 جسده من دخان وفمه واسع كالأبدية . . وعيناه السنّة من  
 نار . . فحيح وزئير . ثم قهقهة هادرة ، ومع الجميع كلام  
 لاذع . تقريع وتنديد .  
 أيها الانسان الضال الشريد . مهما تجول في غابات الحياة  
 وتختبئ في أدغالها . فلا يغرنك اتساع الغاب وتشابك الدخول .  
 لأنك دائماً محج صبوتي ولسهمي هدف . . أنا المجهول القابض  
 على كل شيء . . لأنني وراء كل شيء .  
 تحطمت أعصاب القوم تحت وطأة الصمت . وكان وسام



السباق الى بدء الحديث . وأحب أن يلج في صلب الموضوع

مباشرة . فوجه كلامه الى والده بتحد سافر .

انني بحاجة الى الف ليرة . . الآن أو في وقت قريب .

عقدت الدهشة ألسنتهم واتجهوا اليه بأبصارهم فاغري

الأفواه . وأفاق ابو وسام من دهشته قبل الجميع ، فأجابه

بنزق .

هل جنتت يا وسام . . أبقيت لنا مالاً ..

لا أدري ..

كيف لا تدري .. ألا تعلم باننا نكاد نموت جوعاً ..

وسام .. ولدي . أنا والدتك يا وسام ، لماذا هذا التجني ..

عد الى نفسك يا ضايا .. انظر الى حالتنا ، حتى قوتنا

الضروري لا نحصل عليه إلا بشق النفس .

لماذا كل هذه المسكنة .. تدعون الفقر وأنتم أغنى من

في القرية .

أغنى من في القرية .

رددتها والدته بتساؤل وألم دفينين .

يا حسرتي كنا وكان العز بديارنا . ويالي مضي مضي

يا وسام .

لماذا كل هذه المسكنة ..

اننا لم نزل كما كنا وأفضل .. اذا بعنا قطعة أرض أو

قطعتين أظن لن تخرب الدنيا لأجلهما .

نبيع من الأرض .. وانتهرته بنزق .. ولماذا نبيع من

الأرض .. وما الذي يحوجنا لذلك .

اننا على ابواب الربيع .. ومواسمنا كطوف البحر . انه

شهر ويفرجها علينا الله بعده .

وقهقهه وسام عالياً أتعني بانني استطيع العيش معكم هنا .

ومثلما انتم عائشون . وشدد على كلماته وكررها مراراً

وباستهزاء .. خبز وبصل وزيتون .. ثم أكوبح قرب النار ..

لا .. ان هذا محال .

ماذا .. ماذا .. من أي وقت أصبحت تتكبر علينا .

وخرج الشهب من عيني الأب لهول ما سمع .

أتكبر .. ولماذا اذا قلت انني لا استطيع أن أعيش هذه

الحياة أكون متكبراً .. لا .

مثلما تريد .. اذا كنت لا تحب الحياة معنا فلهذا

أتيت إلينا إذن . انك تستطيع العودة في أي وقت تشاء .

فهذا الباب مفتوح أمامك .

أتطردوني أيضاً .. طيب .

انت الذي تطرد نفسك . لأننا قوم جرباء . ونخاف

أن تتسرب العدوى إليك .

حسناً ابق على كلامك .. فاما أكون وسام وانال الذي

أريده . وإما ..

وتدخلت الوالدة عندما رأت زوجها يهيم بطرد وسام .

ما هذا يا نديم .. ابلغ بكم الجفاء إلى هذا الحد .. وأنت

يا وسام .. أبهذه اللهجة تكلم والدك .



ونكس وسام رأسه بذلة .. بأي حق جاهر والده  
بالعصيان .. لقد أتى لاسترضائهم وطلب رضاهم . كيف تغلب  
عليه الغضب .. تبالك أيها الرأس الفارغ . وضرب على رأسه  
بكلتا يديه دون وعي .

وسام .. وسام .. هدىء من روعك .. ما هذا الجنون ،  
أجلس لنرى ، ما هي مطالبك .

مطالبي ، وهل يحق لي أن أطلب شيئاً لا أمون عليه .  
لكن .. لا .. وكلم نفسه بنفسه .. انني أمون على نفسي  
ولا شيء غيرها . وسأتصرف بها كيفما اشاء .

وفهمت والدته مرماه فهلع فؤادها ونظرت الى زوجها  
بخوف .. وتكلمت العيون .. وفهم أبو وسام ما تقصد ..  
لكنه كان افطن منها وعلم مرامي وسام البعيدة والقريبة .  
لا تخافي .. ان الحية لا تخرب موكرتها .. وردد في ضميره  
هذه هي آخرة التعب والشقاء .. يا حصرتي علينا .. يجب ان  
يذهب إلى الشيطان .. يجب أن يغرب عن وجهي .. وخرجت  
فكرته على لسانه كلاماً كلسع السياط .

أغرب من وجهي وبسرعة .. لا تدعني أراك بعد الآن ..  
وبلع وسام الإهانة .. لأن كل شيء يسمونه كرامة كان قد  
مات في نفسه . وشرفه دفنه عند هناء قبل أن يأتي .. واتفق  
حرفة التمثيل .. واصبحت هوايته المفضلة .

حسناً سأذهب .. وسأترك لك الأرض لتتعمم بها شيبتك ..  
واندفع نحو الباب .

وكان لفعلته قوة انفجاراً قبلة .. امه وشقيقته ووالده .  
 جميعهم طارت افئدتهم خوفاً . وكانت السبابة إليه أمثال ،  
 فتعلقت بأذيال سترته واستعطفته .  
 دخيلك يا وسام .. دخيل الجزيك . كرمال الله . كرمال  
 القديسين .. لا تذهب .  
 وكافأها على دموعها واسترحامها بصفعة خاطفة .  
 وكانت صفعة قوية قاسية تركت آثاراً أصابعه الخمسة على  
 وجنتيها .. واردف أبتعدي عني .. دعيني . وإلا .  
 حسناً .. اضربني .. موتني .. روحي فـذاك ، لكن  
 لا .. لا تذهب .  
 وانضمت إليها والدتها .  
 وسام .. اشفق على حرقه والدتك .. اشفق على تعبير  
 والدك .. انظر إليه . انه يذوب لوعة عليك .  
 وتحجر قلبه .. ابتعدي عني اتركيني لشقائي . انني  
 لا أريد أحداً منكم .  
 ولدي .. حبيبي ، وسام الله يهديك على طريق الصواب  
 وينور عقلك . أين ودعت عقلك ياسندي .. أين فهمك .  
 من قال لك بانني عاقل . وعندي فهم . أنا حمار .  
 والحمار لا مكان له بين البشر . دعوني .. دعوني اذهب  
 بسبيلي علني أموت ويبقى الرزق لزوجك ليفرح به .  
 يفرح ابوك بالرزق .. وهل كد وجاهد طوال عمره ليفرح  
 هو بالرزق .. لا يا وسام .. الأرض وكل ما تملك وقف



عليك وحدك دون منازع . ان والدك على حافة قبره .  
وأنا انظري الي . . هل تريني أفضل منه . . لا . انني  
سأسبقه الى القبر وكل آت قريب .  
لا يا وسام . . لك شبابك . . و . .  
ان شبابي قد ذوى . . والههم والخساره لم يبقيا منه  
شيئاً .

هم وخسارة . . انها من اعمال يديك . . دع المدينة  
وتجارها وعد الى أحضان أرضك . . فهي التي تهبك القوة  
والصحة والشباب .  
صحتي أو غيرها لا أدري . . انني بحاجة الى نقود . .  
نقود . . وهذا كل شيء .

وبقي ابو وسام على عناده ، انه لا يبيع شبراً من الأرض  
حتى ولو خرجت روحه من جسده . وكان في داخله نداء .  
انه عنيد . . عنيد انه ولدي . ارحمني يا رب . . خذ روحي  
وأعد له صوابه يا الله .

وعلى صخرة هذا العناد الوالدي تحطمت أحلام وسام .  
ومثل نفسه عائداً الى حجر هناء صفر اليمين . ذليلاً مهاناً . .  
ووعده باحضار أمال . . أين هو من وعده . . . أيعد بشيء  
لا يملكه ، ولماذا لا يملكه ، أليست أمال شقيقته والحق يخول  
الأخ في القرية أن يتحكم في أمور البيت بعد الأب مباشرة .  
وهذا الأب . . لماذا يقف بتعنته عقبة في سبيل تحقيق مبتغاه .  
وهذا الهيكل البشري ، لماذا يتحداه . . انه رجل . ، وله

آراؤه الخاصة . يجب أن يفعل ما يريد .. يجب أن تزال هذه  
الكمية من العظام من طريقه .. وتحرك ضميره .. انه أبي ..  
علة وجودي . وله علي حق التربية .. لقد تحمل مسؤولية  
تربيتي طفلاً .. وكان مرشدي يافعاً .. وخاواني شاباً .. لماذا  
أكون عدوه .. لماذا أطلب منه المستحيل ، الأرض أرضه ،  
وستؤول إلي من بعده ، لقد دفع ثمن كل ذرة من ذراها  
قطرة من عرق جبينه .. وأخيراً وجه سؤالاً الى نفسه . هل  
أنا محق في كل ما أفعل .. وكان الرد عليه سريعاً ، لا ..  
انك ضال .. تطاردك اخطاؤك وذلاتك التي لا تحصى ولا  
تعد .. وأخيراً شقيقتك .. هذا الملاك الطاهر .. أتلقني بها في  
مواخير الرذيلة لتدفع بها إلى السقوط دفعاً .. أفق من غفوتك  
ثب إلى رشك علك تعوض عما فات .

وبين هذين التيارين المتناقضين في الأهداف والدوافع وقفت  
هناك بكل سلطتها وجبروتها .. يجسدها الشهباني .. بأحبابيلها  
وآلاعيبها .. برياعها وأغوائها .. وقفت وقفة عز لتقول له  
إنك عبدي .. عبدي .. ويجب أن تنفذ كل ما أطلب  
وأريد ..

وإزاء هذا الأمر الذي لا مفر من تنفيذه ، رضخ وسام  
بذلة المغلوب على أمره .. رضخ لسيدته .. الخالبة لبه .. وقرر  
أن يسير في الطريق التي رسمتها له يد الأقدار ..  
ومع تطاحن هذه الأفكار في رأسه ، وجد في حالة شبه  
هستيرية ، وتحولت جميع المرئيات أمامه إلى آلات حادة تعمل



في أوصاله تقطيعاً وتمزيقاً .. وتخييل إن كل شخص يقترب منه يريد به شراً .. حتى أمه ظنّها من ألد أعدائه .. واستعدى نفسه على نفسه . وقرر أن ينتقم من الجميع . . من الأشياء الموجودة أمامه . . من والده ، من والدته ، من شقيقته ، وحتى من نفسه . وكانت حصيلة هذا الصراع فاجعة خيفة .. البيت مبعثر الأغراض محطم الأواني . . والوالدان أذهلتها المفاجأة .. وأمال مقرحة الأجنان مسبلة الشعر تلمع بين طبائته مجاري الدموع مختلطة بالدماء التي تنزف من خدوش عميقة شقتها الأظافر .. ووسام أغمى عليه بعد أن أنهال على جسده بعدة ضربات .. وبعد أن دق رأسه بالعامود القابع في وسط المربع .

تسرب الصراخ والضجيج إلى خارج المنزل . فالتقطه الأذان الفضولية . وتساءلت .. ماذا في بيت السيد نديم . . ماذا في العش الهانئ . كما كان يسمى سابقاً .

انتقلت الأخبار من بيت إلى بيت ومن فرد إلى فرد إلى أن عم الخبر معظم الحي الذي يقطنون به . فرحفت الجموع إلى هناك تدفعها الحمية لكشف الغموض الذي يحيق بأهل الدار .

وعند وقوفهم أمام هذا المشهد المفجع عقدت الدهشة ألسنتهم . لكنها لم تدم طويلاً إذ بددتها الرغبة بانتشال القوم من مصيبتهم . فشمروا عن ساعد العمل مدفوعين بنخوتهم

القرؤية وواجباتهم الإنسانية التي تحتم على كل قروي مساعدة أخيه .

عملت العجائز على شحز قرائحها لإيجاد وصفة نافعة تعيد وسام إلى وعيه . فأثمرت أتعابهن وأفاق من غيبوبته فنقلته جمهرة من الشبان إلى فرشة في زاوية المربع كانت قد أعدتها ورتبتها أيادي الفتيات النشيطات . . وفي الوقت نفسه كانت جمهرة أخرى تهدىء الخواطر المبلبلة . إلى أن خيم الهدوء على الجميع . وتحسنت حالة وسام نوعاً ما . فتفرقت الجموع كل إلى بيته . ولم يبق منهم في دار السيد نديم إلا الأخصاء . فأخذوا يلومون وسام على طيشه وعلى اساءته إلى والديه . لكن حالته لم تكن تساعده على تحمل اكثر مما لأفاه سابقاً . فصب جام غضبه فوق رؤوسهم وصرخ قائلاً :

اخرجوا من بيتي . . اذهبوا من هنا وبسرعة . . انا لست بحاجة اليكم ولا إلى نصائحكم .

فغضبوا وأرادوا أن يردوا إليه اهانتته . لكنهم كظموا غيظهم وانصرفوا لا يلوون على شيء .

بعد انصراف الجميع عاد الهدوء إلى المنزل . وأفاق أهل الدار من ذهولهم . فانزوى وسام في ركن المربع الشرقي . . ووالداه وأمال في المربع الغربي . وكان لكل منهم همومه واشجانته .

وقرر وسام أن يسير بغوايته حتى النهاية . . ان المال بجوزتهم . وسيناله مهما كلفه الأمر . . وأمال شقيقته عدل



عن اصطحابها الى المدينة . وكانت بقية من شرف قد افاقت  
في ضميره .. لماذا اقود النعجة بيدي إلى المسلخ .. لماذا الطبخ  
سمعنا بالوحل .. ألا يكفي ما حل بي لاشرك بجرمي اعز  
مخلوق لدي .. ومن .. أمال .. اطهر عفاف . وانقى سريرة  
مما في الوجود قاطبة .

وقهقهت الرذيلة في في نفسه العفنة . عفاف ، طهر ..  
يا صاحب الذيل النقي .. ابقني عفاف وانا خلفه .. أم دام  
طهر ومواخيري منتشرة في جميع أنحاء المدينة ، وجيوشي  
تجوب السهل والجبل .. البلدة والقرية .. لا ... إذن الى  
اللذة الحمراء يا خفيفي العقول .. إلى مائدة المحون والعريضة  
انتم مدعوون .

وبقي سلطان التردد مسيطراً على أرادته . ومعركة  
طاحنة تدور رحاها بين حاضره وماضيه .. بين الشرف  
والسفالة .. بين ابقاء أمال في كنف والديه أو جعلها جندياً  
من جنود هناء رسول ابليس الى الأرض .

والذين كانوا في هنائه كان هو في عزائهم .. هو يعمل على  
تقويض سعادتهم وهم يبنون له من قلوبهم قصوراً .. وكان  
اجتماعهم كهيئة محكمة .. ابو وسام مدعي عام .. وأم وسام  
قاض وأمال محام .. وبعد ان تدارسوا قضيتهم من جميع  
وجوها قرروا بيع عدة قطع من الأرض التي ضنوا ببيعها  
سابقاً من أجل وسام ، وأما اليوم فقد صدر القرار ببيعها  
لأجل الحفاظ على جسده . لأن روحه قد امتلكتها الأبالسة .

## عاصفتان

... تحسس وسام جيبه المنتفخة ، وجرض بريقه ، ثم مسح بيده الأخرى فوق شعره عدة مرار .. ووقف أمام المراة متأملاً هندامه .. وأخذ يدور على نفسه تارة الى اليمين وطوراً إلى الشمال وبعد القاء عدة نظرات على شكله شكك في حسن منظره . فأراد ان يستنطق الجماد . لكن صوتا من الماضي اجابه .. هيهات ان يعود ما فات . عش واقعك لأنك فضلت الضعف على القوة والنشاط .. والمحاشش والمواخير على الطبيعة العذبة والنسيم العليل .

وأندست يده في جيبه تلقائياً ، وقبض على رزمة الأوراق النقدية الكبيرة .. وهم بإخراجها .. لكن شيئاً خفياً كان يكلمه .. ألم تشاهدتم سابقاً ألم تعدهم مئة مئة ، وقد بلغت قيمتهم فوق ما كنت تمنى نفسك بالحصول عليه .. لكن حاسة اللمس كانت في عراك مع النظر .. وأرادت العين أن تتمتع بروياهم ايضاً .. وكانت الغلبة لها . ورضخت اليد لشريعة المساواة .. وأطلت على النور ملأى بالمئات .. وعاونتها يده الأخرى فعدهم .. وكان فكره يحصيهم ، إثنان ، ثلاثة ، عشرة ، إلى آخره .



وبعد انتهائه من عد صبوته .. أعادها إلى مدفنها الأول ،  
مسروراً مبتهجاً كأنه ملك الدنيا . . وما الدنيا في نظر  
الموتورين أمثاله سوى مادة .

أعاد وسام المال إلى جيبه ، وهم بالتوجه إلى المدينة . .  
لكن صوت هناء جال في رأسه معاتباً تارة ومؤنباً أخرى . .  
أين أمال .. أين أنت من وعدك .. أم إنك لست مالِكاً  
لإتمام أمرك .. انني لا أريدك وحيداً ولا أريد الوفك .. أمال  
.. أمال .. ان أمال بغيقي ، وعندما وصل بتفكيره إلى  
هذا الحد قال :

حقاً أمال . قد وعدتها بإحضار أمال .. لكن . .  
و كأن الصدف ارادت اخراجه من هذا المأزق .. فاقتربت  
أمال منه وقالت له بدلع مزاح :  
ها قد نلت بغيقتك .. ألا تود اصطحابي معك إلى المدينة  
كي اتفرج على شوارعها الجميلة كما وصفتها لي . وكان كلامها عن  
غير قصد لكن عند ترديدها لهذا الكلام أفاق في داخلها حب  
الاستطلاع .. ورددت المدينة .. كيف هي .. ما شكلها .  
رباه لو استطيع رؤياها ولو من بعيد . وكانت قد رسمت لها  
في مخيلتها صورة مشوهة ، جمعت موادها من خلال وصف  
رفيقتها زهرة عندما نزلت الى المدينة كي تقص جهاز  
العرس .. ووسام وصف لها بعض المشاهد ، ومن أيضاً ..  
صحيح من .. لقد كلمها بخصوص ذلك آخر . انني لا أدري ..  
لقد نسيت ، وعصرت دماغها ، ووضعت يدها على عينيها

المغمضتين .. وجاءها خيال من البعيد ، هناء .. نعم هناء اين  
هي .. ما حل بها .  
تعجب وسام من حالتها وسألها . ما بك .  
لا شيء . كنت استعيد في خيلتي بعض الصور .  
وما هي ..

انها ليست ذات بال .. لكن بعضها يدور حولي هناء .  
هناء .. وما الذي ذكرك بها ؟ ..

لست أدري ، خيال عابر ، هل رأيتها بعد نزولها من

الصفيفة ..

رباه .. كأنكما على صلة غامضة .. فقد التقيت بها البارحة  
صدفة في بعض المحال التجارية لا تسألني كم كانت فرحتها كبيرة  
عندما شاهدتني .. وسألني عن والدي وعنك .. وقالت انها  
بشوق لرؤياك .

أحقاً ما تقول ؟ ..

وحياتك يا أمال .. وعاتبتي على عدم زيارتنا لها ..  
اتودين الذهاب إليها .. قالها بجنث وكأن الأمر لا يعنيه .

وسألت نفسها ، حقاً اذهب إليها ، ووالدي ، ايسمح  
لي ، وكان جوابها على وسام مبهم ، استنتج منه إرغبتها  
برؤية المدينة وزيارة هناء وردد في سره ، هذه أول عقبية  
زلت نفسها ، وانتقل بخياله إلى والديه ، ايسمحان له  
باصطحابها الى جهنم كما يقولون ، وتكاثرت في رأسه  
الافكار ، وانتقلت به من مكان الى مكان ، ومن حادث



إلى حادث ، وافكاره هذه ، لماذا تخونه عندما يريد تركيزها على نقطة معينة ، انه واقع بمشكلة ، وحلها مستعص عليه ، مشكلة ، مشكلة ، اف ما اكثر المشاكل ، وحزم أمره أخيراً ، الصراحة طريق الخلاص ، فلأصارعهم وليعني الشيطان .

حمل السيد نديم فوق كاهله ثقل ثمانين عاماً وبقي محافظاً على قواه العقلية . وأما قواه الجسدية فكانت قد سارت في طريق الانحلال الجزئي .

لكن هذه الشتوية الملعونة مشت به حثيثاً في طريق القبر .. لأن هم وسام كان اكبر من أن يتحملة جسده الضعيف . ولما وافق على بيع بعض قطع الأرض اصبح كمن حكم على نفسه بالأعدام . وشعر بروحه تنسل من جسده المتهدم رويداً رويداً . وبينما هو سادر في سويدائه ، دخل عليه وسام .. والبسمة ملء فيه .

أبي ، ولم يرد عليه لأول وهلة ، وكرر ندائه .. حسناً ، ماذا تريد ؟ .

لا شيء ، لكنني اتيت لأطلب رضاك .  
تطلب رضاي .. ولماذا ... ألتقي نظرتك الأخيرة على ذبيحتك وهي تتمرغ بدمائها ؟ ..

أبي .. قالها بنفاد صبر .. ان هذا لكثير ..

هون عليك يا وسام ، ان السيد المسيح قال : ابني اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون ..

ابي رحماك .

استرحمني ، . ولماذا ، . وهل تستطيع الضحية ان تهب  
الرحمة الى جلادها ، . لا يا وسام ، . ان النار تأكل نفسها  
بنفسها ولو علمت ما مقدار جرمها لنضحت هذه النار برداً  
وسلاماً واطفأت سعيها المشبوب .

وعا وسام ما يرمي إليه والده ، . وتعاما ، . وأراد أن  
يهرب ، . لكن إلى اين ، . وأمال ...

ابي ، . انني اود الذهاب ولي رجاء أخير عندك ، . قالها  
بضراعة وتوسل .

تفضل ، . لم الاحجام ..

وتشدد وسام ، . أمال ، . أريد أن تذهب معي أمال  
لتعاونني في اشغال البيت فتوفر علي بعض المصروف ..

أمال تسكن معك في المدينة ، . لا ، . لا ، . انني أكاد  
أجن ، . أعندك شيء آخر ، . شيء تريد أن تقذفنا به أيضاً ، .  
وما هو ، . ارحمنا واقذف بجميع مطالبك دفعة واحدة .  
وذلك أفضل من قذفها بالتقسيم . لأن الموت المجرى ممنوع  
ومحرم في جميع كتب الله .

هون عليك يا أبي ، . وهل سكنها معي في المدينة  
مستهجن لهذا الحد ، . ولماذا ..

وكبح السيد نديم جماح غضبه ، . وقال كفك انتقاماً من  
قوم لا يريدون لك إلا الخير يا وسام ..

قوم يريدون لي الخير ، . وهل أريد أنا لهم الشر ، . لا



بالعكس ، انني أريد لهم الخير أكثر مما يريدونه هم لأنفسهم .  
ودخلت أم وسام تصحبها أمال ..

نعم ، ما بكم ، هل عدنا الى الداى داي ، والطبيب  
الله ، قتال وجدال وعياط ، هل كتب علينا أن نعيش  
بقية عمرنا بالخلاف العقيم ..

سحب السيد نديم نفساً طويلاً ، جمع به شتات قوته ،  
وأجابه : ان الجلاد أراد يعجل بموت ضحية كي لا يطيل  
مدة نزعها .. وأشار الى وسام بيده المعروقة المرتعشة ،  
ومع اشارته سقطت دمعة محروقة أبت أن تنساب في أخايد  
وجهه ، لأن محجر عينيه كان أكبر من أن تملأه دمعة شمع .  
شعرت أم وسام بفداحة الرزية ، واتجهت نحو وسام  
وجميع جوارحها تنطق بأسئلة ايضاحية وخرجت الكلمات  
من فيها جافة كجفاف حلقها ، غبراء كلون بشرتها .  
ماذا بعد يا وسام ؟ ..

تلجلج وسام بالرد ، لأن خياله كان يجول فوق مقصلة  
عالية ، وبيده فأس كبير كادت تهوي فوق رأس ضحيته ،  
وكان نظره قد سبقه في تشخيص الحوادث ، وشاهد رأس  
والده يتدحرج عن النطع ويقع تحت قدميه .. وسمع كلمات  
تخرج من فم الرأس .

أنت ملعون الى الأبد ، ملعون ثلاث مرات ، ملعون  
لأنك أهنت شيخوختي ، ملعون لأنك سعيت ببيع أرضي ،  
وملعون لأنك ستدنس شرفي ..

وكان هذا فوق طاقته فصرخ ضارعاً ، رحماك يا أباي  
رحماك ، ووضع رأسه بين يديه بشكل فكلي ملزمة ،  
وشد عليه قاصداً عصره ليزيل منه صور الماضي والحاضر ،  
الصور التي تكاثرت الى حد لم يعد يستوعبه رأسه ، وندت  
عن ضميره صرخات متتاليات ..

وسام ، كفاك ما مضى ، عد الى رشك يا وسام ..  
لكن هذه الصرخات أتت مكبوتة لأن صوتاً آخر كهدير  
الموج طغى عليها .

الي يا عابدي اللذة الي ، اجثوا في معبد الشهوات ، وهنا  
في بيتي ، هنا ، تمرغوا ، لأنني لذة اللذات ، وممكن جميع  
الشهوات .. وكان هذا الصوت بمثابة ناقوس انذار اعاد وسام  
إلى رشده ، جعله ضعيفاً ذليلاً ، وجاءه صوت آخر ، ولد  
من الضعف قوة ومن الذل اباء ، انك صاحب حق ، وصاحب  
الحق سلطان . وبعد خروج وسام من هذه المعركة النفسية ،  
رد على والدته بكل برودة .

لا شيء وكل ما في الأمر انني اردت أن اصطحب أمال  
معي لتعاونني في بعض اعمالى .. ومن اجل ذلك ثارت نائرة  
ابى ، و اراد ان يلقي بجميع حطام الدنيا فوق رأسى .  
تلقت أم وسام النبأ بجيرة وذهول ، وشعرت بأن يداً  
خفية تعتمر قلبها . وبان هذا القلب يقطر اساً ، وبأن  
هاتفاً من وراء الجهول يقول لها ، انها قضية صعبة ، أم  
المصائب ، وتحاملت على نفسها اكراماً لزوجها المتداعي ،



ووجهت كلامها الى وسام ..

ايحق لك يا ولدي ان تفجعنا باعز ما نحب ، لا ، لا ، لا  
ان هذا لظلم ، دعها لنا وخذ كل ما نملك ، خذ روحنا قبل  
أن تأخذها ، وغفت على آمال ثم احتضنتها وكأنها تقبها  
غائلة الاعداء . وامتزجت رعشات قلبها بشهيق آمال وبانينها  
المكبوت ، فالفتسا اشجى نغم حزين واروع صورة للبؤس  
والشقاء .

وهنا سيتخيل للقارىء ان وسام سيلين قلبه الصخري .  
ويترك هذه العائلة المنكودة لبؤسها وشقاؤها لكن لا البكاء ،  
ولا الضراعة ، ولا الاسترحام ، ردعوه عن غبه .

وإذاء هذا التصميم والمهانة من والديه قال :

فالادع الوقت يعطيني ما اريد ، والوقت وحده كفيلا  
بتذليل الصعاب . وانطلق نحو غابة الصنوبر القريبة من  
منزله : والتي كانت ملكه منذ يومين فقط . انطلق وفي ضميره  
عاصفة هوجاء وفي رأسه افكار وافكار .

وجلس قرب جزع صنوبرة هرمة حنت عليه طفلاً وكانت  
ملعباً لأحلامه الصبانية ، ثم محكماً لأختبار نشاطه شاباً .  
وكان وجه السماء مكفهرأ ملبداً بالغيوم الرمادية الدكناء .  
والشمس قابعة تحت هذا القناع الصفيق .. ووجهها محجوب  
عن رائديه لا يرى إلا لماماً . وحرارتها تبددت مع لفحات  
الصقيع القارسة ، الزاحفة مع الرياح المزججة في أعالي جبل  
صنين وجبل المنبوخ وجبل الجريد . هذه الجبال الثلاثة المكلمة

بالثلوج ، حراس بسكنتنا الأوفياء .

وهذا الجو المبرد المنذر بعاصفة هوجاء ، اضفي على الغابة وحشة ورهبة لم يشعر بها وسام أول الأمر . لأنشغال افكاره بما جرى له مع والديه . وطال مكوثه . دون ان يدري ما هي المدة التي قضاها على حالته هذه .. وافاق من سويدائه رويداً .. ووعى الجو الذي يعيشه .. وشعر بقرصات البرد اللاذعة تتغلغل في عظامه وأراد ان يقف على قدميه ويرجع الى المنزل .. لكنهما خذلتاه لضعفهما ولأنهما لم تتحملا وطأة الجليد الذي يغطي وجه الأرض .

فحز في نفسه هذا الضعف ، وعاد بمخيلته إلى شتاء العام السابق عندما كان يقضي نهاره مع قسم وجيز من هزيع الليل الأخير أي مع الفجر سائراً فوق الثلوج في أعالي الجبل بين الهضاب والروابي . مطارداً لأرنب بري أو باحثاً عن رفوف الحجال مع رفاقه . يوم كانت قوته وحرارته تذيبان الجليد تحت قدميه .

والآن لم يمض على مكوثه هنا وقتاً طويلاً . لكنه كان كافياً لتجميد أطرافه وانخزال همته ، وهذه الأشجار ما بالها عابسة في وجهه ، وهذه الطبيعة المتجهمة ، ونفسه ما بالها منقبضة ، أصبح غريباً بين أهله ، بين أحضان غابته . في جو كان يعبده ، وكان يغتم أية فرصة مهما كانت وجيزة لينطلق بين أشجار الغابة وصخورها ، ينطلق صياداً يبحث عن طيور السمّن والشحارير ، غريب ، ما هي هذه الكلمة ،



ما مدلولها ، وأتاه صوت من أعماق المجهول ، نعم انك  
غريب ، غريب عن بيتك ، بين ذويك ، في بسايتنك ،  
في كرومك ، في غابتك هذه التي أنت ضمنها . لأنها لم تعد  
لك ، لأنها أصبحت ملكاً لسواك ، وذلك بفضل تهورك  
ومجونك ..

وبانت دلائل العاصفة في الطبيعة ، في أشجار الغابة ،  
في كل كائن حي ، الطيور أخذت تتجمع على بعضها ، وتبحث  
عن مكان أمين تحتبىء به ، في عب صنوبرة غضة ، في  
دفرانة متشابكة الأغصان ، في شقوق صخرة كبيرة .  
مدفوعة بغريزة حب البقاء والأشجار بدت وكأنها مكومة  
على نفسها تحت وطأة جنون الريح .

والسماء مريدة مدهمة دكباء الغيوم ، تديرها من حبال نار  
تتكسر على نفسها وتشد الأرض إلى السماء بوهج من شعاع ،  
ثم يعقبها رعد هائل يصم الأذان بقوة ضحيجه ، مرسل إلى  
الأرض ناراً وكبريتاً .

وبدأت العاصفة عاتية كيوم الدينونة ، وجرفت معها  
كل ما هو ضعيف وخفيف ، والتفت أغصان الأشجار على  
بعضها ، ثم انفجرت ثم التفت وتمايلت يميناً وشمالاً بحسب  
اتجاه الرياح التي لا ضابط لها . وكان يسمع للأغصان الضعيفة  
قضضة وأنين تحت ثقل العاصفة ، هذا في بدايتها .

لكن عندما طال الوقت ، بدأت مقاومة الأشجار تضعف  
حيال تلاعب الرياح . وبدأ بعضها يهوي مقبلاً بهامه وجهه

الصحصحاحان . وبيننا عناصر الطبيعة في أوج هياجها تصارع بعضها بعضاً كانت عوامل نفسية تتصارع في داخل وسام أيضاً وكانت ثورتها أشد من ثورة الرياح ، وذلك لشعوره بانحلال عام في جسده ، وبعجزه عن الدفاع عن نفسه مما يحيق به من أخطار ، وقويت غريزة حب البقاء في هذه النفس المتهدمة . فجمع شتات قوته وهم بأن يقف على قدميه . لكنها خذلته ثانية ، فهوى على الأرض وشابه تلك الأشجار التي القاهسا الأعصار من حوله ، وجاهد جهاد المستميت . وحاول ان يقف مراراً لكنه لم يقو على ذلك . فزحف على بطنه مستعيناً بيديه ورجليه على الاندفاع الى الامام . وحبا كطفل صغير ، وزحف ثانية ، ومع زحفه تعامى عن كل ما يعيقه في تقدمه . ولم ينتبه لأصل شجرة كانت قد قطعته فاس حطاب . وكان هذا الأصل مسنناً كجد سكين فعلق بثيابه ومزق بعضها ، وجرح صدره جرحاً بليغاً ، سالت دماؤه وامتزجت بالتراب الموحل ، وبقشرة الصنوبر اليابسة التي تداخلت بين طيات الثياب ، وتألم . وثابر على زحفه . واطعم لجربانة ( نوع من الشجر الصغير ، الكثير الشوك والمزاليف ينبت في احراج الصنوبر ) اعترضت طريقه بعضاً من ثيابه ، ولأخرى خصلة من شعره ولاختها نتفاً من لحم يديه ورجليه ، وبان المنزل امامه من خلال الأشجار على بعد مئتي خطوة تقريباً . ووهنت قوته لكثرة ما نزف من دمائه ، ولم يعد يقوى على التقدم قيد أملة ، ونشب أظافره في الأرض ، وعوى عواء مكبوتاً .



النجدة ، النجدة ، أكاد أموت ، وجاوبه على ندائه عواء  
ذئب جائع جذبته رائحة الدم الذي سال من جرح وسام  
وبدأ يقترب منه رويداً رويداً .

بينما كان وسام يجاهد ضد ثورتين . ثورة الخذاله وثورة  
الطبيعة الجاحمة . كان ذووه في مركز لا يحسدون عليه أيضاً .  
وكان كل منهم يحمل المعضلة حسب تفكيره . ولنتركه بين  
أشداد القدر وندخل الى داره لنرى أية مأساة تحاك خيوطها  
في داخله .

ها هي أمال قرب الباب تسكب الماء في طاسة نحاسية  
من جرة فخارية تقبع فوق خشبة عريضة جوفاء في وسطها  
على قدر محيط أسفل الجرة . وثبت طرفاها في جانبي طاقة  
كبيرة تشبه الشباك الصغير بشكلها . وكانت أفكارها  
تنسكب في بحيرة نفسها كأنسكاب المياه في الطاسة . تنسكب  
تارة منتظمة كماء شلال يندفع من عال . وطوراً متقطعة مبعثرة  
كرذاذ الأمطار .

طفولتها .. ما هذا الهمس الذي يأتيها من البعيد ، ماهو  
محور الحديث الذي كان يدور بين خالتها أم عساف وجارتهم  
أم جميل ..

أبوه يخفي .. شفتي شو هالخبر الملعون .

وسرحت أمال بخيالها الى سبع سنين مضت ، يوم كانت  
لاتفقه للحياة معنى . وتمثلت وجه أم جميل حين تقلصت  
تجاعيده ، والدهشة التي تمثلت في مقلتيها الغائرتين .

شفتي هالشب المدنجي يللي أجا من بيروت وخطب عليا  
القنطار .، الله يقصف عمرو شو أزعر . بعد ما غشا بالمصاري  
وزوزوقلا بشوية فساطين ورروبات . ضحك عليها وسلبا  
عفافا .. ودشرا وقل .

وجاءها الجواب .، لا شيء ، وقلبت شفتيها .، هذا  
لا يُعنيني .

فتوتها .، ها انها تدرج في الرابعة عشر من عمرها .، وكل  
شيء في جسدها قد تبدل .، وهذين الهرمين اللذان يحتلا  
صدرها بعنفوان وزهو .، ما أجملها .، ما أروعها . ما هذا  
الاحساس الغريب الذي يعتلج في داخلها .، كل شيء أصبح  
فيها غريباً عنها وجديداً عليها .، حتى أفكارها كانت تدور  
وتدور حول أشياء وأشياء .

وسر آخر أقض مضجعها وجعلها في حيرة من أمرها .،  
ما هو .، ما مدلوله .، انها .. وأفهمتها والدتها بطرق  
مباشرة وغير مباشرة .، هذا رمز لصلاح الفتاة الذي يؤهلها  
لأن تصبح أمّاً .، وان عفافها تاج يكلل رأسها بالكليل  
الطهارة .

وجاءها رد على سؤال خامرها في الماضي ..

عفاف .، سرقة .، ابن المدينة .، أزعر .، إذن العفاف  
يسرق .، وسارقه المدنجي بحسب قول أم عساف وأم جميل .،  
والسارق يستفيد من المسروق طبعاً .، ليتها تعرف ما هي  
فائدة سارق العفاف .، وتردد مع هذه الأفكار صوت والدتها ..



كوني حارسة على عفافك لأنه أمانة في عنقك . انه  
وديعتك من الله لتقدميه الى عروسك الذي يختاره لك . .  
واليوم شبابها . هذه التجارب التي مرت بها ، ابتداء من  
احساسها الغريب الذي لازمها عندما ألقى عفيف جابر أول  
كلمة اطراء في خلدتها .

ما أجملك . عيناك حلوتان . وثغرك أبهى من كرز  
صنين . ما هذه العاطفة التي تغمر كيانها عندما تراه .  
وهذه الرغبة في أن تهبه شيئاً ضئلاً في كيانها لا تعرف ماهو .  
وهذا الغفر . وهذا الحياء . وهذا القلق . وهذه الغيرة  
عندما تشاهد مطلق فتاة تحادثه . .

وجاءها جواب على كل هذه الاسئلة .

هذا مزيج مركب من عناصر البقاء السلالي . صهرته  
الطبيعة في بوتقة الحياة ، فاستحال الى جوهر حسي غير  
لمحوس . سمي الحب . نعم انها تحب . وهذا الحب لفها  
بشاله الفضفاض . فأصبحت بكلمتها ملكاً له .

لكن حبها سرق منها . وسارقوه بنات المدينة . انهن  
قد اعطين عفيفاً ما ضنت هي به عليه ، قد وهبته عفافهن .  
وهي ضحت بجهها على مذبح العفاف .  
ومرت هناء مروراً عابراً .

هل هي كبقية بنات المدينة يا ترى . وهل وهبت عفافها  
لأحد أبناء الجبل ، وهل هذا الجبلي وسام . وسام . نعم  
أين وسام . وهمت في أن تبحث عنه . لكن لا . انه رجل .

ولماذا أخاف عليه ، انه موجود في مكان ما ، لكن ،  
ما هذا الانقباض في نفسي ، وقلبي ، لماذا أسود هكذا ،  
وتطرق على فكرها خاطر سرعان ما جرى على لسانها .  
أيعقل أن يكون قد خرج في هذه العاصفة ، وهمت بأن  
تخرج لتبحث عنه ، لكن صوت والدها وصل الى مسمعها  
ضعيفاً .

أمال ، إلي بالماء يا أمال ، لماذا تأخرت ، أكاد أطق  
من العطش ، واحتارت بين أمرين ، والدها ، وسام ،  
لماذا هذا القلق يا بنية ، لا يجب أن أدع الشك يتسرب الى  
قلب والدي ، سأبحث عنه فيما بعد . واتجهت نحو والدها .  
وكان تفكيره جافاً كحلقة ، لأن غمامة كثيفة من الهم  
كانت قد لفت عقله وحجبت عنه كل مرئيات الحياة ، فانهار  
انهياراً كلياً وأصبح ملقى على الأرض كبعض اوراق الخريف .  
تقدمت منه أمال وطاسة الماء في يدها ، لكن منظره  
وتبدل لون سحنته من بياض مشرب بالحمر الى اصفرار  
بلون الزعفران . صدمها بقلبها صدمة قوية وضعفها .  
فصرخت ، إلي يا أمال ، النجدة ، النجدة ،  
وأنساها هذا المشهد كل ما راودها بخصوص وسام ، فلم  
تعد تهتم بالبحث عنه .

وكانت والدتها في أثناء ذلك في المراح ، تهتم باطعام الفدان  
مع بقية الطروش . لذا لم يصلها صوت استغاثة أمال واضحاً  
لأن معظمه ذهب مع صفير الرياح .



لكن .. ما هذا الصوت الذي يأتي من بعيد محمولاً مع  
الرياح أيضاً ..

إلي . إلي . النجدة . النجدة . يا إلهي لقد انقطع  
الصوت . وراجعت أفكارها . وأي صوت . ان أذناي  
يسمعانني هذا ..

وبينما كانت تسير ويدها سلا من القصب مملوءاً بالعلف .  
ارتطم كنفها بعامود كان يتوسط أرض المراح . فوق السل  
على الأرض . وانحنت عليه ولممت محتوياته مع دمعين سقطتا  
من عينيها . رباه احفظها لي . وسام .. آه منك يا ظالم ..

وانت يا أمال . يا طفلي الصغيرة . ماذا يخبئ لك القدر؟  
وكان صوت بومة ينعق حينذاك على غصن شجرة قرب  
الدار . فتطارت . انك نذير شؤم . ابعده عنا يا رب ..  
وذهبت لتفرغ العلف أمام غنطور فوجدت معلقه مملوءاً .

رباه . رباه لقد ملأته منذ هنيهة . يا لعقلي الضعيف .  
وانتقلت إلى العلف الآخر . وكانت الطريق إليه معتمة  
قليلاً . فخطت أول خطوة والثانية وفي الثالثة داست على  
ذنب جرد كان يقبع هناك . فنعض نعصة قوية . وانقض على

قدمها ونهشها بأنيابه . فأذهلتها المفاجأة . وارتدت إلى الوراء  
صارخه إلي . إلي . النجدة .. النجدة ..

والنجم الذي كان يضيء في السماء  
لمسحوا رءوسهم بالتراب  
وربما يشبهوه بجمعة منسمة

## الكنار المريض

مرت الأيام مبحرة في زورق الزمن ، من ميناء الواقع المموس والمفهوم إلى شاطئ اللانهاية حيث كل شيء هناك يقوم على التقدير والتخمين . وكان عددها يربو على العشرين يوماً . عاشتهم هناء على أعصابها . عاشت كل ساعة وكل دقيقة وكل ثانية من هذه الأيام في تفكير ممل مضمّن . في سويداء دائمة . وذلك منذ غادرها وسام إلى القرية ليحضر أمال .

إنها الآن في غرفة نومها ، ممددة فوق سريرها ونظرها عالق بسقف الغرفة . وشعرها أشعث منفوش كأنه على عداء مع المشط منذ سنين . وحول عينيها هالة سوداء تميل إلى الزرقة قليلاً . فكانت دليلاً واضحاً على سهرها المتواصل . ووجهها غادره لونه المشبع بحمرة الصحة والنشاط ليحل مكانه إصفرار ممقوت . وأهملته يد العناية ، وتركته دون رتوش ولا أصباغ . وظهرت على بشرتها تجاعيد صغيرة وصغيرة جداً . تكفي دلالتها على تقدير عمر صاحبيتها . إنها تدرج في نهاية العقد الرابع مع إنها كانت في حدود الثلاثين . ويجانبها على طاولة صغيرة وضعت منفضة للدخان ، وكانت ملأى بأعقاب اللقائف ، وتبعثر بعض هذه الأعقاب مع الرماد على جوانب



المنفضة يدلنا على عصبية هناء في تفكيرها وعدم ضبط ثورة  
أعصابها .

وكانت تعب من دخان لفاقتها بشراسة ونهم ، ثم تنفث  
بقايا الدخان في الفضاء ، فيتصاعد حلقات حلقات . ويتحول  
إلى غمام كثيف . تنظر من خلاله إلى مستقبلها الغامض .

وبينما هي في سويدائها دخلت عليها خادمة نصف بدينة .  
مترهلة قليلاً ، مفلطحة الوجه يتم منظرها عن محبة لسيدتها  
وإخلاص لعملها ، ولما شاهدت سيدتها على هذه الحالة قالت لها  
والأسى يحز في نفسها .

سيدتي ، . إن الطبيب في غرفة الاستقبال . أتأذنين له  
بالدخول ، . طيب ، . وما شأن الطبيب عندي ..

سيدتي . . ألم تأمري حضرتك بإحضاره . .

أنا أمرت بإحضاره ، . وغاصت في لجج أفكارها . هل  
صحيح هذا ، . وتجمعت خيوط هذه الأفكار في سلسلة  
رتيبة ، . نعم إنني أشعر بصداع أليم . وقد دعوت الطبيب ، .  
يا لعباوتي ، . دعيه يدخل .

وبعد برهة دخل الطبيب ، ودخلت معه رائحة العقاقير  
الدالة على مهنته . وكان في العقد الرابع من عمره . متوسط  
القامة ، أسمر اللون ، بشوشاً رزيناً .

استقبلته هناء نصف جالسة في سريرها . بعد أن أصلحت  
هندامها قدر الإمكان قبل أن يدخل .

فحياها بتأدب ، وأخذ يدها بين يديه ، ثم جس نبضها

حاصياً دقائقه . فوجدتها غير رتيبة مشوشة ، ثم انتقل إلى  
رأسها . الحرارة شحطة فوق المعدل .

وبعد أن أتى على نهاية الفحص ، قال :

إن جسدك صحيح من كل مرض . لكنك تشكين من توتر  
في الأعصاب ، وهذا لا يقدّم ولا يؤخر الآن . أما في المستقبل  
فيخشى من المضاعفات التي تسبب الهستيريا وتجهد الجسد ، لذا  
يلزمك هدوء تام . مع عدم إجهاد عقلك في تفكير مضني .  
وذلك بقصد إراحة أعصابك ، . ووصف لها بعض العقاقير  
المهدئة وخرج على أمل أن يعود لها ثانية .

وبعد خروجه عادت إلى وحدتها ، وتمددت في فراشها ،  
ثم أغمضت عينها نصف إغماضة ، وراجعت ما قاله الطبيب .  
إن أعصابك متوترة ، . لا تجهد عقلك في تفكير مضني ، .  
ما أغبى هذا الطبيب ، لقد جر نفسه من عيادته ليقول  
لي هذا فقط ، . ألم تكن تعرف هي أيضاً إنها تشكو من  
توتر في الأعصاب . . لكن ما أغباها هي أيضاً . وهل يحكم  
الطبيب على غير علمتها ، . آه منك أيها العقل الدائب العمل ، .  
يا ليمتك تتحجر ، . وأنت أيها الفكر ، . يا مخزن الصور  
المفجعة وهل يؤخذ من المخزن غير ما يحويه ، . لكنها تساءلت  
ما يخفي لها القدر في منعطفات الزمن ، . إن الحظ قد شن  
عليها حرب شعواء ، . هل ستتغلب عليه في النهاية ، . أم  
سيتغلب عليها هو . .

وذهب النهار بضحيجه ، وأقبل الليل يحمل في هجوعه



بعض الهدوء . لكن أفكارها بقيت مشوشة لا تستطيع تركيزها ضمن محور معين .

وبينما كانت ساردة في تجوال أفكارها المتضاربة . رن جرس الهاتف بقرعها . فألتقطت الساعة متاهلة وبدون إكتراث . لكن عندما سمعت الصوت في الطرف الآخر انتفضت كمن لدغتها أفعى . وتساءلت برعشة ظاهرة ، . نعم ماذا ، . هل مرض الكنار ، . وكانت هذه الجملة كافية لتضع الساعة في موضعها ، وتصدق جرساً كان بقرعها ، وعلى صوت قرع الجرس أتت الخادمة ، وسألتها : ماذا . .  
لقد مرض الكنار .

وسرت هذه الجملة في جميع غرف البناية سريان النهار في الهشيم . لقد مرض الكنار . لقد مرض الكنار . وانتقلت من فم إلى إذن ومن إذن إلى فم . إلى أن تناقلها الجميع . فأصبحوا وكأن على رؤوسهم الطير . لكن دهشتهم لم تدم طويلاً . إذ شعروا بدنو الخطر . فعملوا بسرعة مخافة من أن يقبض عليهم . وإنسل القسم الأكبر منهم من باب سري في مؤخرة البناية يؤدي إلى زاروب جانبي يخلو من المارة تقريباً . وخصوصاً في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . واندسوا في بيت حجير لا تحوم حوله الشبهات . والذين بقوا في المنزل تفرقوا كل إلى وظيفته .

الخادمة في المطبخ . وأخرى عند سيدتها تقوم على خدمتها لأنها مريضة . وسائق السيارة يعمل على اصلاحها في الكراج .

وبينا الجميع منهمكون كل في وظيفته إذ بباب المنزل  
يقرع بشدة . وذهبت الحادمة وفتحته .. ففوجئت بعدة  
رجال بلباسهم الرسمي يلجون بسرعة وبدون استئذان .  
ويندسون في جميع غرفه وكأنهم الأبالسة .  
هذا يفتح خزانة مقفلة ، وذاك يبحث وراء اخرى .  
والآخر يقلب جميع الأغراض التي يحتمل أن يختفي وراءهم  
مطلق انسان .

لكن جميع جهودهم باءت بالفشل ، لأنهم لم يجدوا ضالتهم .  
واندفعت هناء من سريرها معترضة على هذا التصرف الغير  
مشروع تجاهها . وعلى انتهاك حرمة منزلها . منذرة بالويل  
والشبور . لكن رئيس هذه الحملة أبرز لها أمراً بمداهمة المنزل  
وبالقبض عليها وعلى كل من يجدونه عندها اذا اقتضت الحاجة .  
باي جرم يا ترى . وما ذنبي . قالتها بتهكم مبطن  
لا يلحظه إلا اللبيب الفطين .

لكن أبا محمد أي رئيس الحملة ، الذي كان يستمع اليها  
بتحرق وكيد والسم يقطر من وجهه . كان يراقب كل  
خلجة في وجهها ، فلم يقته تهكمها . لكن أفلت زمام الأمر  
من يده وأقر لها بالقلبة فجاوبها متهدداً متوعداً والكلام يخرج  
من فمه مع الرذاذ كالقنابل . الدهر يوم معك ويوم عليك .  
ولا بد أن يجلس الكنار يوماً في القفص .  
عندما نطق صاحبنا بهذا القول ، تهلل وجه هناء بشراً ،  
واقتربت منه ، ثم لكزته بكرشه لكزاة خفيفة وأرقت



لكزتها ببسمة مغناج . ارتج لها اللحم قليلاً . وكان صاحبنا  
ابو محمد بديناً منتفخ الأوداج ، أحمر البشرة ، بسام الحيا .  
فعلت هناء هذا لظنها بان أبا محمد قد أصبح من رجال  
حاشيتها . وأما أحد رؤسائه الذين يعملون في بلاطها قد  
أرسلوه اليها وأعطوه كلمة السر كي لا يرهبها ، وتقع في  
المحذور أمام أحد أفراد مرؤوسيه . وهمت بأن ترحب به  
وتدخله الى غرفتها الخاصة ، كي تقوم بواجبه . لكن خاطراً  
سريعاً فاجأها ..

ان كلمة السر فيها بعض التحوير ، ان الكلمة المتفق عليها  
لانذارها عندما تود دائرة شرطة الأخلاق مدامتها . هي  
( لقد مرض الكنار ) أما أبو محمد فقد قال : ( لا بد أن  
يحبس الكنار يوماً في القفص ) . ان التناقض ظاهر بين  
الجمليتين . وتسارعت الاسئلة في رأسها . لربما كان يلقي هذه  
الجملة دون قصد . وكان لا يعلم بانها كلمة سر بين معظم  
مسؤولي دائرة الاخلاق . والتي أخذت مضايقاتها لنا تزداد  
رغم تحذيرنا . نعم انهم بدأوا يضيقون علينا الطوق . رغم  
ما نمدهم به من أموال . يجوز أن يكون من الزمرة التي تناصبنا  
العداء . فماذا يكون موقفه تجاهي يا ترى اذا كاشفته بجلية  
الأمر .. ألا أكون قد حكمت على نفسي بنفسي .

لا .. إذن سأنتظر عله يوضح ما بفكره أكثر .. وبعده  
نرى . وخفت حدة أبو محمد قليلاً عندما لكزته هناء في بطنه .  
وتكهرب جسده ، وارتعشت شفتاه ، وجالت في فكره

أشياء وأشياء .. انه يعلم بأن بعض رؤسائه على صلة وطيدة مع القوادة هناء ، كما كانت تصلهم أخبارها وكما كانت تصفها معظم التقارير . لكن سرعان ما كانت تتبخر أحلام كل من كان يود القبض عليها . لأن خبر مداهمة وكرها كان يصلها قبل أن تصدر الاوامر بتنفيذها . نعم انه كان يعلم هذا وأكثر . وكان يعلم بان جبنه طرية صنع هذه الدار تتداولها أنياب حادة . من أجل طمس السر الذي يدور حول كيفية المواد والظروف التي تصنع بها الجبنه . وكان يحس بطعمها تحت أنيابه بالفكر فقط . وراوده أمل بمشاركة متدوقي طعمها الحقيقي . لذا بدل لهجته من الشدة الى اللين وقال:

بعض ألسنة السوء قد وشت بك وقالت . كل دار تحلين بها تحولينها الى وكر للدعارة السرية . ونحن بحكم وظيفتنا مطلوب منا أن نحقق بهذه الوشائيات ، لنتثبت من صحتها أو عدمها .. وبما اننا الآن لم نجد أي دليل على ممارستك هذه المهنة . ستبقين بعيدة عن العقاب ، الى أن يصح الخبر ، ويصبح الشك يقيناً . عندئذ يكون البكاء وصرير الاسنان .

قال هذا وأمر معاونيه بالانسحاب فخرجوا الواحد

تلو الآخر .

وردت عليه هناء يجفء

لقد انتهكت حرمة منزلي أنت ورجالك دون مبرر . وقدمت لي عذراً أقبح من ذنب . تبريراً لموقفك . ناعماً إياي بالرديلة .. ومستتراً خلف تقرير ملفق وخلف القانون الذي



يحيى لك أن تنفض الغبار عن طرف ثوبك وتقول . انه  
الواجب .. انها وظيفتي .. ودون أن يطالك أي عقاب اذا  
نعت قوماً بما ليس فيهم .. وأقل تهمة تلصقها بهم ظالماً وعدواناً  
يكون جزاؤها الحبس والتعذيب لسنين عديدة .

لكن انت من يقاضيك .. من ينقذ شرفي من الوحل بعد  
أن مرغتني به .. من يصدق بانني لست العاهرة هناء بعد أن  
داهمت منزلي شرطة الاخلاق ... ان التهمة قد لصقت بي  
ظالماً وعدواناً .. وصمة العار والزندقة . لكن لي الله .  
واجهشت بالبكاء .. واعولت ، وتأوهت ، وتوعدت ..  
و . . . و . . .

وكان ابو محمد ذا قلب حنون ، فتقدم منها وقال بجنب  
مبطن .

لا عليك يا ست هناء . ان الأمر اهون مما تظنين بكثير .  
وهو لا يتعدى كونه عمل اداري يقع تحت طائلته مطلق فرد  
دون ان يطاله أي عقاب . ودون أن تمس سمعته . خصوصاً  
إذا تأكدت براءته بشهادة شرطة الاخلاق نفسها .

قال هذا الكلام وربت على كتفها بيده البدينة . وانزلت  
هذه اليد بطريقة عفوية الى الزند . وغاصت باللحم البض  
الناعم .

تجاهلت هناء هذه البادرة واجابته .. انني اشكرك على  
تلطفك بتعزيتي . وان كنت اسأت إلى من حيث لا تدري ،  
لأنك كما قلت سابقاً تقوم بوظيفتك .

وبما ان عملك قد انتهى الآن . ولم يعد لك علي اية دالة .  
فارجو ان تشرفني بغير صفتك الرسمية . كي يتسنى لي أن  
أقوم بواجبي نحوك . وواجهك مواجهة الند للند ( لا مواجهة  
الصيد للطريدة ) .

احس أبو محمد بأن كرامته قد امتهنت بهذا الطرد المبطن .  
لكنه كظم غيظه ونام على الإهانة . على أمل الانتقام حينما  
تسمح له الظروف .

بعد ذهاب ابو محمد انهارت هناء انهياراً كلياً . لأنها اجهدت  
نفسها كثيراً ، وحملت فوق طاقتها ، لتظهر أمام مطارديها  
بانها الشريفة الطاهرة الذليل . وكان تصنعها لعدم المبالاة يحز  
في هذه النفس الامارة بالسوء . . وكانت خائفة . . وخوفها من  
هذا الانقباض المجهول الذي يلفها برهبتها . . وكان هاتفاً  
لا تدري كنهه يقول لها ، ان نهايتها قد دنت .

وفي فسحة الفراغ بين الخوف من دنو الساعة ، وبين الرغبة  
في حب التسلط والتشفي وحب السيادة . تجاوزت اصداً  
صرخة هائلة في صدر هناء . . صرخة مكبوتة لم يسمعها اقرب  
المقربين إليها . لكن دلائلها كانت ظاهرة في عيونها . . في  
اكداد لون بشرتها . في انحلالها . . في كل خلجة من خلجات  
صدرها .

رباه . . رباه . . ماذا جنيت . . انقذني مما حاق بي ، ارفع  
عني هذا الكابوس المرعب ، أي مستقبل مظلم اعدته لي . .  
وتمثلت نفسها هاربة . . وحيدة . . في بيضاء مقفرة .



وجميع قوى الكون تطارها . شبح جريمة اقترفتها في الماضي  
دون قصد ، لعنات الاباء والأمهات اللواتي زجت بفلذات  
اكبادهن في اتون الحمأة والرذيلة . لعنات الأزواج والزوجات  
اللواتي هدمت صرح سعادتهن .. يجر الزوج الى بالوعة المقامرة  
والخيانة . وإغراء الزوجة بأرق الكلام . ومعسول الحديث .  
ثم بالأصفر الرنان ، لملها على المتاجرة يجسدها . كي تكون  
وسيلة لربح فاحش يكس في صناديقها .

لعنات الشباب والشابات . لعنات كل خطيب وخطيبة ،  
لأنها هدمت صرحاً منيفاً من الأحلام الذهبية بنوه على أمل  
بمستقبل زاهر يقضونه في ظل الاستقرار والطمأنينة .

واخير .. مطاردة الحكومة .. وتضييق الخناق عليها .  
مع جشع بعض المتنفذين الذين يتولون حمايتها .

والآن انها على وشك الإفلاس وتجارها قادمة على البوار ،  
لعدم توفر عناصر جديدة من الفتيات والزوجات ليحللن محل  
اللواتي لم تعد ظروفهن تسمح لهن . بممارسة هذه الوظيفة . لذا  
أخذ معظم زبائنها يتحولون إلى اوجار أخرى .. طمعاً  
بالصيد الجديد .

وعند وصولها بتفكيرها إلى هذا الحد ، شعرت أكثر  
فأكثر بحاجتها الى وسام .. اين هو ماذا حل به .. لماذا لم  
يعد إليها .. هل تركها نهائياً ، لماذا هجرها وهي المتسلطة  
عليه ، المالكة ناصية قياده .. وحامت بخيالها حول نقطة ..  
وخافت الولوج الى جوهرها مخافة من الصدمة وردود الفعل ..

لكن فضولها سبقها الى استجلاء الغامض المجهول •• هل  
فقدت آمال • والى الابد •

فقدت آمال •• والى الابد •• سؤال تجاوب مع سريرتها  
فوجهت افكارها ناحيته •• نحو آمال المستقبل ، • آمال  
الحياة •• وأمال اللحم والدم • آمال • يا للحم الضائع ،  
ان كل ما يتمنى المرء ويصبو اليه لسراب خادع ، يبهز  
بوجهه سريرة من يتعلق به • ويعمي بصيرته • فيندفع  
مجرورا وراء اللاشيء



## سجل حياتي

وبعثت بخيالها رسولا الى خزائن الماضي • لينقب لها عن حقبات ومعلومات من تاريخ حياتها • ابتداء من الحقبة الاولى التي أحست بها بفيض من الاسرار المبهمة • • الاسرار التي تلف مطلق فتاة تخطر بسن الرابعة عشرة وتلفها بهالة نورانية • الاسرار الاسئلة التي تجعلها تدور في دوامة ملأى مفرغة • • ملأى بأحلام • • وآمال ، وأوهام ومفرغة ، لان هذه الاحلام والامال مبنية على هوى البلوغ •

وعاد الرسول حاملا بين يديه مجلدا ضخما ، وألقاه على مائدة مخيلتها ، فقلبته بيد عقلها ، وتصفحت عنوانه بعين بصيرتها ، وكان عنوانه • سجل حياتي •

وقلبت الصفحة الاولى والثانية والثالثة الى الثانية عشرة انها صور ملفوفة سعيدة • زادها اللعب والعفة والظهارة • ومن الثانية عشرة الى الرابعة عشرة • • حيرة ووجوم • • من تقلبات جسدية ونفسية وبلوغ غامض في الاناء لا في محتوياته •

وها هي الصفحة الخامسة عشرة ، تطل عليها مشبعة بالاحلام المعريات • • والذكريات المؤلمات • • بدء عذابها

وسبب شقائها ، وها الصورة الاولى التي رسمتها بريشة  
شبقها •• فتى أسمر واسع الصدر عريض المنكبين ••  
وضاء الجبين •• مقتول الساعد قويه : يختطفها ويفر على  
صهوة حصان أبيض • وأغمضت عينيها •• انه يطير بين  
الارض والسماء ، محمولا فوق هالة من الغمام •• انها  
في عالم مشبوب باللذة والسعادة •

وهذه صورة اخرى •• لقد وجدت فتاها • انها تعيش

في قصر من اجمل قصور الآمال العذاب •

وها صورة اخرى •• لكن وجهها أغير •• ان فتاها قد  
غرر بها : وسلبها عفافها •• مستغلا طبيعتها النارية، وذلك  
تحت ستار الحب والزواج والامل بالمستقبل •• و•• و••  
وتتابع الصور سوداء كملكة نفسها : زانية، سافلة ••  
منحطة •• هكذا كان حكم المجتمع عليها بعد ان نبذها  
فارسها •• وانتقلت الى الصفحة السابعة عشرة • انها في  
الدير حيث آملت ان تدفن ذلتها في رمس التوبة ، والصلاة  
والتقوى والفضيلة ••

وهنا أيضا لاحقتها ذيول جريمتها ، حيث تسربت أسرار  
فضيحتها • وطاردتها نظرات رفيقاتها •• مقت وازدراء •  
بعد أن قضت بينهن ما يقارب السنتين في خدمة الانسانية  
وتخفيف آلام المعذبين •• ولماذا ؟ الآن زلتها قد افتضح  
أمرها •• وهن •• ألا يمكن ان تكون زلاتهن أعظم من  
زلتها ، وهل ان عدم افتضاح الزلة تجعل صاحبها في منأى  
زلتها ،



عن محكمة المجتمع •• ومحكمة الضمير أين هي ••  
وفي الصفحة العشرين بعد فرارها من الدير •• رذلتها  
نفس المجتمع عندما عادت إليه •• ناعتا اياها بمفسدة  
الاخلاق •• لكن لا ، انتي أقوى من هذا المجتمع الدعي •  
وسأحاربه بنفس سلاحه •

بازالة الاقنعة التي تججب وجوه مدعي الفضيلة واظهارها  
على رعونتها •• الى الانتقام ، الى الانتقام ، ان في الانتقام  
راحة للنفس •• ووضعها ضميرها في محكمة العدل لا محكمة  
المجتمع ليحاسبها على ما صنعته من خير وشر •• وتساءلت  
الضمير ، الضمير ، وهل بقي لي ضمير •• وهل للمجتمع  
ضمير •• كلا ، اذا فليدفن ضميري حيث دفن المجتمع  
ضميره في مقبرة المصلحة ، والمادة ، والانانية ، نعم انتي  
قد دفنت ضميري ولم يعد له أي سلطان علي ، الى العمل ،  
الى العمل •• وعملي يحتم علي ان أجذب أكبر عدد ممكن  
من أفراد المجتمع الى صفوفني •

وقلبت عشر صفحات من تاريخ نقيمتها على المجتمع دفعة  
واحدة •• لازم محتوياتها على روتين واحد ممل •• نساء ••  
بائع لذة ، ورجال ذئاب •• وسكر •• وعربدة وأفيون ،  
ومقامرة ، نعم انها قد ملت هذا الروتين ، لكن ما حيلتها  
اذا كانت حياتها قد أصبحت حلقة مرتبطة ببقية حلقاته  
الى الابد •• انه يعيش في دمها •• في نقيمتها على المجتمع  
وعلى الحياة ، في سبب معيشتها •

وصرفت خيالها رسول الماضي ، وناقشت حاضرها ،  
نقاشا منطقيا عقليا • خرجت منه بتعليين لا ثالث لهما ••  
أحدهما خيرها والآخر لويلها • وكان استقرارها المادي  
مرتبطا الى حد ما بخيط واه بهذين التعليين •  
فاما ان تنقل دكانها وتعلن أفلاسها ، وتقر بالعبء للقدر  
وللمجتمع • واما ان تنال بغيتها وتهزأ من الاثنين معا •  
وحامت أفكارها حول آمال جابر •• آمال القرية ••  
هذه الحورية الصغيرة •• ذات الجمال الآسر ، نعم ان  
شغلها قد خف وأصبحت على وشك الافلاس •  
لكن اذا كان الحظ بجانبها وأحضرت آمال • فستعيد  
الى عملها سابق عزه ومجده • وتعود فراشات اللذة لتحوم  
حول نورها ثانية • وبعد تفكير عميق انتفضت وكأن  
كل ما مر عليها لا يعينها • فاستعادت نشاطها ونادت خادمتها  
لأنها صممت على شيء •• وحضرت الخادمة على جناح  
السرعة • ووقفت حيال سيدتها كالصنم • لأنها رأت شيئا  
غير طبيعي يعتلج في نفسها •• وتهيئت الموقف مخافة من  
أن تقوم بأي عمل يزعجها •  
لكن هناء لم تدعها فريسة لهذا الوجوم •• وقالت  
لها ••

ان الساعة الان تقترب من السادسة صباحا • وبعد  
ساعة يجب ان أكون متوجهة الى بسكنتنا اذهبي الى خليل  
وقولي له كي يحضر السيارة الساعة السابعة •• أفهمت ••



• ان • سيدتي •

قلت لك اذهبي دون جدال •• وعودي الي مسرعة  
لانني بحاجة اليك •• وكان في نفس الخادمة جزع على  
سيدتها • وأرادت ان تقول لها ، انك لم تذوقي طعم النوم  
منذ ليال • لكنها رضخت لامرها وذهبت •

## الاعجوبة

وفي بسكنتنا كان شغل الناس الشاغل • الحديث عن  
الاعجوبة الخارقة التي أنقذت بيت السيد نديم جابر من  
كارثة محتمة • ألا وهي خلاص وسام ومن بين أنياب  
الذئب الجائع الذي كاد يفترسه ، لولا رسول العناية  
الالهية الذي تقمص شخص أمال •

ولنعد لشارك آل جابر مصيبتهم ، بعد ان استولى  
الرب على الجميع ، وكان كل منهم ينادي الاخر طالبا  
منه المعونة •

انا الان مع أم وسام في خوفها من شيء مجهول انقض  
على قدمها ذي ظلمة زربية الحيوانات • ومع أفكارها  
المشوشة التي ساعدت على زيادة الرب في قلب لا يهاب  
أشد المواقف هولاً ، لو كان في غير هذا الجو الملبد  
بالغيوم • غيوم الفكر طبعاً •

لكنها ثابت الى رشدها سريعا عندما رأت الجرذ يقفز  
أمامها على نور الغروب المتسرب من شقوق الباب •  
ولامت نفسها على هذا الرب المفاجيء •  
ووصلها صوت الاستغاثة وكأنه يقطع اليها آلاف الاميال



الي •• النجدة •• النجدة ، رباه ، وأصاحت السمع ، ما  
هذا ، انه ليس وهما ، انها الحقيقة •• وتجاذبها صوتان ،  
صوت من الداخل ، وصوت من الخارج •• والاثنان  
يتجاذبان فلبها ، لكن صوت الداخل أقرب الى الحقيقة ،  
ربما الصوت الاخر كان صدى تشويش أفكارها لا غير ••  
ودخلت الدار بقلب واجف وشاهدت أمال نصف مغمى  
عليها • فصفعتها على وجهها صفتين قويتين ورشتها  
بالماء • فعادت الى صوابها •• وعاجلتها بالسؤال • ما  
بك ، أي مصاب حل بنا •

آ •• آ •• ب ، بي ، آ •• آ •• أبي ، وأشارت  
بيدها ناحية والدها تقدمت رفقة من زوجها ملهوفة جازعة •  
وقدمت له بعض المنعشات ، فثاب الى رشده •• وكانت  
أول كلمة نطق بها •

أين وسام •• وكان عقله الباطن مع الحنان الابوي قد  
أظهر له وسام بوضع خطر شديد • تقابلت الوجوه مع  
بعضها •• وكان تساؤل مبهم •

حقا •• أين وسام •• ولو عرفوا ان وساما اقرب من  
الموت أكثر من قرب بياض العين الى سوادها •• لكانوا  
فدوه بمهجم •• لكن اني لهم ان يعرفوا وهم ليسوا أنبياء ••  
اختلط في الخارج عواء ذئب جائع مع ولولة الرياح  
ومع صوت خنقه الضعف والفرع • وتسلسل الى الداخل  
نذير شؤم وجزع •

قالت أمال لو الدتها •• ان قلبي يحدثني بحلول مصيبة،  
ان شيئاً ما يحدث حولنا في الخارج •  
دعينا من الافكار السيئة • يكفيننا ما نحن به •• لكن  
ماذا اسمع ، ان قلبي تغمره الدموع ، ولداه أين أنت ••  
واندفعنا مع توارد أفكارهما الى الخارج •• وشاهدتاه •  
لكن يا لهول ما شاهدتاه •

شلو قعيد يفترش الارض وعيناه مسمرتان في عيني ذئب  
مفترس يحاور فريسته ليتأكد من عدم قدرتها على الدفاع  
وندت على صدريهما صرخة لم تتعد الشفاه •• واندفعت  
الام نحو وحيدها •• عليها تفديه بنفسها •

لكن أمال كان عليها ان تقدر وتعمل بشوان معدودة •  
وكل خطرة فكر كان لها ثمنها •• انها لا تبعد عن الباب  
سوى خطوتين •• ان بندقية وسام معلقة على قاب قوسين  
منها •• انها تجيد الرماية ، واحتمال آخر، ربما لا تصب  
طريدها ، لكن صوت الطلق سيرهب الذئب ويفر • وكلا  
الامرین لصالحها ، واذا اندفعت نحو الذئب مع والدتها،  
ربما لم يرهبنه • وربما انقض على وسام قبل ان تدفعه  
أذاه •• اذا الى البندقية •• وكان تنفيذها لعملها أسرع  
من تفكيرها • اذ أزلت البندقية من علاقتها وحشتها  
بقديفتين مع خروجها من الباب وبدأ الذئب يتحرك نحو  
فريسته لينقض عليها • لانه اغتاز من تدخل غرباء في  
أمره •



وأم وسام أفعدها الرعب قبل ان تصل الى وحيدها ♦♦  
وأصبحت بين الذئب ووسام وبين أمال ♦  
ووسام عيناه مسمرتان بعيني مطارده ، فلم ينتبه لما  
كان يجري من حوله ♦  
وكان على أمال أن تسدد الطلقة على الذئب بحذق ودون  
ان تصب أمها وشقيقها ♦  
وهجم الوحش على فريسته ، ومع هجومه خرجت من  
بندقية أمال طلقة أردته قتيلا ♦  
وكان هذا بقدرة قادر ♦♦ أم لبراعة أمال فسي الرماية،  
لا احد يعرف ، فلنقل انه القدر ♦  
وبعد خروج الطلقة من البندقية دارت امال على نفسها  
دورتين وهوت على الارض مغشيا عليها ♦

## حكيم القدر

وأبى القدر الا أن يتم فصول هذه المأساة • فأعاد  
عفيف تامر الى حلبة صراعه الدموي متضافرا مع القوى  
الغير منظورة •

وكان عفيف قد تواری عن مسرح حياة آل جابر منذ  
فرت منه أمال في الغابة ، ومع فرارها فسخت خطوبتهما ،  
وقطعت كل صلة بينهما لكن أفكارهما كانت تحوم حول  
محور أقوى من ان يتجاهلاه • وهذا الرباط الخفي كان  
يسيطر على ارادتهما ويطوق قلبيهما بسوار من أمل •  
هي كانت تحزن الى عفيف وتغفر له رعونته احيانا •  
لكن في سرها • وكان في جوهرها صراع بين أنانيتهما  
وعفافها ، وبين حبها •

وهو في انغماسه في حمأة الرذيلة ، ومع تقلبه بين  
احضان اللذات في أحضان الغواني • كان حنينه الى حبه  
العذري السابق يشده الى الراية الخضراء • • السي  
السنديانة العجوز ملعب طفولتهما ، وحاضنة هذا الحب •  
وكان نبي قلبه خوف • • وفي نفسه حياء • • وفي خلدته



رجاء ، خوف من ان يفقد آمال الى الابد ، وحياء من  
مواجهتها بعد الذي سببه لها من اهانة وآلام •• ورجاء  
بأن يراها ولو من بعيد •• وهذا الرجاء حملته على ارتياد  
جميع الاماكن التي يحتمل ان ترتادها فاتنة لبه ، قرب  
العين ، عند بعض صديقاتها •• في البستان •• من نافذة  
المنزل في الغابة •

وفي بعض الامسيات كان يتحقق رجاءه لكنه كان  
يتجنب مقابلتها ، ويكتفي بمشاهدتها فقط من بعيد •  
وها هو الان يقترب من منزل من أحب • على أمل أن  
يتمتع برؤية الوجه الصبوح • لكنه رأى ويا لهول ما  
رأى • وصعق لاول وهلة ولم يصدق عينيه • ففركهما  
أولا وثانيا وثالثا • وفي كل مرة كان يفتحها على اتساعها  
ليتأكد من صدق ما رآه •

لكن دوي البارود أكد له الواقع • وشاهد كل شيء  
بالعين المجردة • فصرخ من أعماق قلبه رباه هذا لا يصدق •  
وانطبعت في نفسه صورة خاطفة لما رأى •  
أمال مغسى عليها وأم وسام أقعدها الخوف فتكومت  
على نفسها وتجسدت أطرافها • ولم يبق منها سوى صوت  
مبحوح يحشرج في حنجرتها • ولدي ، وسام ، أنقذوا  
ولدي •

ووسام كتلة من دماء ، لا شيء يدل على الحياة فيه  
سوى بعض أنفاس متقطعة • وبجانبه جثة ذئب تنبجس

الدماء منها فتتخلج وتتخلج دليلا على قرب توديعها للحياة •  
وأمام هذه الفاجعة أصابه الدهول ، وتسمر في مكانه  
لا يبدي ولا يعيد • ووقف من امره على حيرة • لمن  
يقدم المساعدة أولا • • وكلهم بالاولية أولى • وعدا دوافع  
الوضع الذي يدفعه الى التردد : كانت عوامل تجيش في  
فؤاده فتزيده ارتباكا على ارتباك كل بحاجة اليه • • وكل  
عزيز على نفسه • أم وسام ، وسام • وأمال حبه الابدي •  
مرت هذه الخواطر في رأسه مرورا خاطفا • في ثوان  
معدودة حسبها دهرًا لكن حيرته لم تدم طويلا ، فنأدى  
بأعلى صوته طالبا مساعدة أهل النخوة والمروءة • ومن  
أبناء هذه الربوع لا يفدي نفسه في سبيل عمل الخير •  
وقادته خطاه من غير ارادة ، فحمل وسام ونقله الى  
داخل الدار • لا لغاية في نفسه بل لانه كان الاقرب اليه •  
وعاد ثم وقف كالصنم حيال الجسد البض اللون • • هذه  
أمال معبودة خياله وزوجة روحه • • وها الجسد الذي  
تمنى احتضانه حياة وقوة • • فتوة وبهاء ملقى أمامه دون  
حراك • • هل سأحمله • • هل يحمله ويفر به الى آخر  
أصقاع الدنيا في الغابات، في الادغال حيث لا حسيب ولا  
رقيب • تبا للطبيعة ما أقساها • لقد أوجدنا بها ضعاف  
الجسد • • كذرة من ذراها ، لكن نفوسنا أكبر منها  
وأوسع وأرحب وطموحنا أبعد من حدود اللانهاية • •  
لكن تبا لهذا الجسد الذرة لانه سجن لهذه النفس القوية



الكبيرة لهذا الطموح المجنح الخالد •• وأنحني فوقها  
يريد احتضانها ، لكنه تهيب الموقف •• هذا كفر ، هذا  
أجرام •• انها قالت لي لقد فررت منك الى الابد وملعون  
أنت ان لمست جسدي ثانية •• فأحترم ارادتها ، وخاف  
اللعنة • وأتج: نحو أم وسام •• وكان يجر جسده جرا  
وكان بقدميه سلاسل هائلة من قيود نفسه الثقيلة •

احتضن الجسد الهرم بين يديه ونقله الى المنزل سريعا •  
وكانت طلّاع النجدة قد بدأت تطل عليه •• فحقد على  
نفسه •• وحقد على الجميع ، ونهشت الغيرة كيانه •• ان  
أمال لي ، ولي حدي ، لماذا أتوا يشاركونني نجاتها ••  
وخطا نحوها ثانية ، خطا مندفا كزوبعة هوجاء •• وعندما  
وصل اليها هدأ وكان عصا سحرية لمستته • وكانت الغيرة  
قد أعمته عن كل محذور •• فانحني عليها واحتضنها  
بكل جلال ورفق •• وتسارعت نبضات فتواده المكلوم •  
وتمنى أن يهب هذا الراعش الخفاق الى من فارقتها الحركة  
وكان نداء يملأ كيانه •• فدتك روجي يا أمال وارتعش  
الجسد الساكن بين يديه فتزاوجت الخفقات مع الرعشات  
وامتزجت الروحان وأصبحتا روحا واحدة •

ومع شلال الرجاء المتدفق من عيني عفيف • التقت نظرة  
خاطفة انتزعتها أمال من مخالب الابدية انتزاعا • لكنها  
عادت وغطت في سبات عميق وهذه النظرة العابرة كانت  
بمثابة الوقود لعاطفة العاشق الملتاع • فصرخ من أعماقه •

ارحميني يا رب •• أعد الي الثقة بنفسني •• أعد الي رقة  
حبيبتني وحنانها ، وشعر بناب الحرمان يغرز في قلبه •  
حرمانه من جسد اقرب اليه من الموت الي الحياة • لكنه  
بعد قليل سيصبح بعيدا عنه بعد الارض عن السماء ••  
وتمنى أن تقف حركة الكون لتبقى له هذه البضعة يردات  
التي تفصله عن دار آمال ، ويبقى هو مثقلا بحمله حتى  
انقضاء الدهر •

لكن حركة الكون لم تتوقف •• وهذه اليردات المتبقية  
قطعها بثوان معدودة •• وحمله سلخه عن جسده سلخا ••  
وفر من الجميع • من نفسه ، من آمال ، من الفضول  
والدهشة ، والاستغراب ، وهام في الغابة نصف مجنون •



## موطن سن كن بن

ها هي سيارة السيدة هناء تمر في بكفيا حاضنة أعياد  
الزهور ، ثم بالجوار • ومنه الى الخنشارة مقلع الرجال  
الافذاذ ، ثم الى بتغرين البلدة الباسلة الرابضة على كتف  
وادي الجماجم •• ومن بتغرين ظهرت بسكنتا موطن سن  
كن يتن أول مؤرخ عرفه التاريخ القديم وحصن المردة  
الاشداء • ظهرت بعظمتها وجلالها • منشورة بين البساتين  
كحبات بر بذرتها يد الله في حقول الجنة • ومما زادها  
رونقا وروعة قرמיד دورها الاحمر الذي أضفى على سحرها  
سحرا ، وعلى جمالها جمالا • نعم ان بسكنتا لوحة خالدة  
في متحف الزمن قل ان جادت بمثلها ريشة الخالق •  
وها النظر يصافح بتنقله صنين الجبل الاشيب •• الجبل  
الاله • ويقف في محراب رهبته وقفة خشوع • ليسبح  
رب الارباب ويشكره على ما أبدعت يده •  
انحدرت السبارة بركابها الى قعر الوادي السحيق التي  
شابت بعمقها عمق تفكير هناء •• حيث كانت لاهية عن  
كل ما يحيط بها من جمال • وسابحة في بحر من الهواجس  
السوداء •• وفي رأسها ألف سؤال وسؤال ••

هل توفق في مهنتها •• هل وسام بعده على عهدها ••  
وهل •• وهل ••

ولم تفق الى نفسها الا والسيارة تقف أمام دار السيد  
نديم جابر ، فترجلت منها وتقدمت خائفة وجلة •• وتهميت  
الموقف • بأي حجة ستبرر قدومها الى عندهم •• لماذا  
خصت سمها لاهل هذه الدار الذين احاطوها بكل حفاوة  
واكرام ، والى مدة اقامتها بين ظهرانهم •• ولماذا هم وحدهم  
من دون الناس ••

وهذا التساؤل أحيا في خلدنا موات الضمير •• فخجلت  
من نفسها وهمت بأن تعود أدراجها من حيث أتت •  
لكن ترددها لم يدم طويلا • الآن القدر حليفها •• أم  
هي كانت حليفته • الامر سيان •

وفتح الباب • وأطلت منه أمال •• ووقفت الاثنان دون  
حراك وعقدت الدهشة لسانهما لكن أمال كانت السبابة في  
استرجاع وعيها • ففتحت ذراعيها واندفعت نحو هناء ••  
وصرخت •

أهلا •• أهلا •• يا للحظ السعيد ، أية صدفة قادتك  
الي هنا ، وهذه البادرة أخرجت هناء من تحفظها فتجاوزت  
الصراع الداخلي مع شخصياتها المتعددة وجاوبت نفسها  
بنفسها نعم انه القدر ، هذا ما كتب لي •• والمكتوب ما  
منو مهروب •

وبين قيل وعتاب وأشواق دخلت هناء الى دار من



فتحوا لها قلوبهم قبل دورهم دخلت وفي جعبتها هدية  
غامضة • • لكننا سنسميها نحن لعبة المجهول •

دهش القوم لهذه الزيارة الغير منتظرة • وشعروا  
بانقباض في نفوسهم لا كرها بلضيوف ولا لبخلهم وهم  
من عرف عنهم بأهل الكرم والسخاء بل لاندفاعهم مع ما  
يسمونه الحاسة السادسة • ولأنهم استبقوا الاحداث  
وشعروا بأن جميع هذه المصائب التي حلت بهم يجوز ان  
تكون مسببتها هناء ولم يكن خوفهم من الماضي وماسيه  
لان الماضي مع هوله يمكن ان يكون عسلا لانه عرف •  
بل كان خوفهم من المستقبل • لانه رهيب بمفاجأته •  
ومجهول ، وغامض •

شعرت هناء بأن جو اليوم غير جو الامس • وان الذين  
كانوا يستقبلونها بالبهجة والترحاب • • يستقبلونها اليوم  
وبسمة مصطنعة تعلو ثغورهم • وهذه الظاهرة لا تخفى  
على المجريين أمثالها • ومع شعورها بانقباض جو المنزل  
أحبت ان تسير باللعبة حتى نهايتها •

فتقدمت من السيد نديم وقبلت يده المعروفة الراجفة •  
وطلبت رضاد • ورد عليها بصوت حنون يشوبه الاسى :  
الله يرضى عليك يا ابنتي •

وردت مع نفسها • الله يرضى عليك يا ابنتي • وهل  
أنا ممن يستحقون رضى الله •

ومع ترديدها لهذا الهاجس كان قلبها يبكي وثرعها  
يتسهم لام وسام التي تحاملت على نفسها وتقدمت منها  
مرحبة • وفي ضميرها تساؤل •

عدوتي .. لا .. ان حاملة هذا الظرف وهذا القلب  
الطيب لا يمكن ان تكن عدوتي وكان شكلها قد سبقها  
ووقف حائلا بينهما \* تسانده الغيرة حاسة المرأة التي لا  
تخطيء .. هذه خاطفة ولدي \* لكن الواجب واللياقة  
دفعوا الشك وحلا محله \* فاحتضنتها وقبلتها في جبينها  
وبادلتها هناء القبل ، لكن على فتور .. وكان نداء خفيا  
يجذبها \*

هذه هي القابضة على مفتاح سعادتك \* هذه هي الحارسة  
الامينة لكنزك .. اكسبي ثقتها .. وبعدها كل شيء يهون  
وتساءلت .. بماذا ، وجاءها جواب سريع ، البكاء ..  
وأبي سلاح أمضى من البكاء في يد المرأة \* وبكت بدموع  
التماسيح \* وقلوبت بألف لون ولون \* بكت من فرحتها  
بلقاء من دعنهم والديها \* بكت متوسلة رضاهم .. لانها  
في نظر نفسها لا تستحق هذا الرضي .. وبكت لانها  
وحيدة .. لطيمة ، لا أم لها ولا اب وطلبت من أم وسأم  
أن تمنحها بركة بنوتها .. لتشعر بروعة الحياة من جديد  
احتارت ربة الدار في أمرها \* واسقط في يدها ..  
اتصدق ظنها وتندفع وراء شكوكها .. أم تصدق هذا  
الكلام المعسول \* وهذه الدموع الهاتئة \* دموع هناء \*  
نعم ان لها قلب امرأة يغار ويحقد \* ويجب الانتقام ،  
لكن ايضا لها قلب أم يجب .. ويحنو .. ويغفر اذا كان  
هناك ما يستحق الغفران ، وهناء عرفت من اين توكل  
الكتف \* فضربت على الوتر الحساس وتر البنوة ..



والامومة • • والحنان فملكتم ثقتها مع العطف والتقدير  
والاحترام •

لكن هذا النصر على من ظننتهم اعداء لم يسكرها  
بخمرته • لانها ليست من اجل هذا وحده تجشمت مشقات  
السفر من بيروت الى بسكنتا وفي فصل الشتاء فصل  
الزمهرير والصقيع •  
وفي فترة سلامها على أهل الدار كانت انظارها تتجه  
يميناً وشمالاً باحثة عن وسام •

أين هو • • لماذا لم يأت لاستقبالها ، ورجف فؤادها •  
هل أصبح يتجنبها • ولماذا ، هل منعوه عنها ، هل دروا  
بعلاقتيهما • • تجنبت السؤال عنه لاول وهلة منعاً للشكوك •

لكن بعد فترة وجيزة حسبتها دهرًا سمعته يتكلم في  
المربع الاخر مع بعض زائريه • وكان صوته يصل اليها  
ضعيفا واهنا • فأثار الريبة في نفسها والخوف في قلبها •  
وجاءها رد مشؤوم على سؤال خفي • • هل أقعده المرض  
ومنعه عن الرجوع اليها • • وهل فقدته الى الابد • • وهل  
يصمد جسده الضعيف أمام المرض • • لا • • وتخليلته على  
قاب قوسين من الموت ، وهل يهدم الموت في لحظة عابرة  
ما بنته هي في عدة ليال ، ورددت انه القدر • • ما أظلمه •  
وعند هذا الحد من التفكير المشوش المضني • لم تعد  
تقوى على السكوت فتقدمت من أمال وسألته متصنعة  
عدم المبالاة •

أين وسام • • اني لم أشاهده في الدار •

أبلغ رد على سؤالها •

وسقطت دمة على خد أمال الليموني الاصفر • فكانت  
فصعقت وبلغت بها المفاجأة ان شاركت أمال في بكائها •  
دون ان تدري لماذا • وتساءلت • هل بلغت بهم المصيبة  
الى هذا الحد •

ولجت أمال الى المربع الذي يرقد به وسام دون ان  
تنبت بينت شفة وأومأت لهناء ان تتبعها • وتبعتها • لكن  
أقدامها تسمرت في الارض • وتملكها الرعب مذوجا  
بالشفقة • اذ طالعا وسام بلونه الترابي • • بعظم وجهه  
البارز • بمسحة الموت التي تهيمن عليه •

عندئذ ندت عن صدرها آهة هائلة خرجت وكأنها  
فحيح ماذا • • ماذا ألم به • • آية نازلة حلت بالطودفهدمته  
واستفسرت عن حالته بلهفة الملتهع ، وكأنها لم تشاهده  
مطلقا منذ فارقتهم في أواخر الصيف •

وكان صوتها بمثابة روح جديدة دخلت في جسد وسام  
المتهاك • فرفع رأسه عند سماعها • وجال نظره في أرجاء  
المربع باحثا عنها • وعندما التقت نظراتهما سبقت عيناه  
شفتيه بالافصاح عما يجول في خلدته • فاستجار من هناء  
بها • وأراد ان يدعم نظره بالكلام لكنها زجرته بنظرة  
خفية • وسر حالها يقول ، أتريد ان تفضحنا • • أتريد أن  
تهدم في ثانية ما بنيناه في عدة شهور •

واستكان هو الى نظرتها الزاجرة • وعرف من الاشارة  
ما أرادت افهامه اياه بصريح العبارة •

جری كل هذا في ثوان معدودة خفية عن الجميع •



وأكملت هناء في الحاح عجول •  
 أي حكيم يشرف على حالته •• ولماذا لم يأمر بادخاله  
 إلى المستشفى •• وكانت تحيك في رأسها خيوط مؤامرة  
 تركت اتمام فصولها الى الظروف •  
 قالت هذا وتقدمت من وسام • وكشفت الغطاء عنه  
 قليلا • تقدمت ودموع الرياء تهطل هاتئة من عينيها •  
 تقدمت وتقدمت معها شخصية اخرى •• شخصية رهيبة ••  
 مجرمة ، اتجهت بنظرها نحو أمال الصيد الثمين الدسم  
 ولحست دم فريستها اللذج القاني قبل اصطيادها •  
 انطلت حيلة هناء على أهل الدار ، وأخذوا يلومون  
 نفوسهم على تسرعهم بحكمهم عليها •• وبأنها مصدر الآلام  
 وسبب تهدم شخصية وسام أديبا وخلقيا وصحيا • واحتاروا  
 في أمرهم • أيصدقون ظنونهم ويندفعون وراء شكوك لم  
 تؤيدها شواهد حسية •• شكوك لا تستند سوى على  
 استنتاجات خيالية أوحتها اليهم أوهام باطلة •  
 وها هنا تضحد الشكوك والظنون برمتها • بحنوها •  
 بلهفتها بعدم اظهار ولو بادرة صغيرة كانت ام كبيرة تدل  
 على صلة سابقة به • لانها مثلة بارعة •• ولانها مقدرة  
 مركزها حق قدره •• ولانها عالمة مسبقا بأن ست عيون  
 تراقبها •• وثلاثة قلوب محطات لاقطة تسجل أقل هفوة  
 تصدر عنها •• لتتذف بها الى الجحيم • لذا حشدت لاداء  
 دورها جميع امكانياتها الفكرية والعاطفية والجسدية ••  
 فنجحت في تمثيلها أيما نجاح •• وملكت على أهل الدار

عظفهم وتقديرهم •• وثقتهم ايضا •• ويا ليتها فشلت ،  
بعد فترة التلاقي التي غسلت القلوب من أدران الشك  
والريبة ، جلست هناء قرب السيد نديم وأخذت تهون  
عليه الامر ، وهو يقص عليها كل ما مر بهم من أحداث •  
من اليوم الذي فارقتهم به الى الساعة الانية • فهالها الامر •  
وأخذت سحتها تتبدل وتكيف بحسب الظرف أو الحالة  
التي يصل اليها أبو وسام •• بسرده لمؤاساتهم التي لو  
حلت على طود شامخ لهدمته •• فتارة تتأوه وطورا تبكي  
وأخرى تعود الى محكمة ضميرها • فتقول :

أست أنا مسببة جميع هذه المآسي والمظالم •• ويحتدم  
في جوهرها عراك بين الخير والشر • بين الرذيلة والفضيلة •  
وتعود الى نفسها •• يجب ان أتوب • يجب ان أكفر عن  
ذنوبي السابقة • وذلك بمد يد المساعدة الى هؤلاء القوم  
الذين أحاطوني بكل عطف وحنان •

وأنا •• ؟• وشددت على هذه الآنا ، أنا الجانية ، أنا  
الجاحدة التي قابلت كل معاملاتهم الحسنة بالعقوق ونكران  
الجميل •

نعم يجب أن اعترف الى والد ضحيتي •• بل الى  
جميع ضحاياي بما فعلته بهم •• بما جنيته عليهم •  
وعلقت كلمة أنا الجانة على فمها • وكادت تخرج الى  
حيز السمعيات • لكن اله الشر أوقفها مع النفس الاخير •  
وصرخ بها ، ماذا تفعلين أيتها المخبولة ، أتكتبين وثيقة



اعدامك بيدك، أتوقعين على قرار جلدك بدمك، أتقوضين  
في ثانية ما بنيته في ثلاثين حولاً ؟

ويحك أية جريمة نكراء ترتكبين بحق نفسك ••  
وصرخت نفسها ، وصاحت أنا ، نعم أنا ، أنا ومن  
بعدي الطوفان •

في هذه الاثناء كان ابو وسام يروي لها بقية الحديث •  
وهي لاهية عنه ، تحلل واقعا على ضوء مصطلحتها • وكانت  
مشكلتها كيف تبدأ الحديث مع مضيفها بخصوص آمال  
صبتها الضائعة •• وكيف تصل الى غرضها دون ان  
تشعرهم بما ترمي اليه • لكن اله الشر كان معها على موعد  
لان اله الخير كان في اجازة على ما يبدو اذ دخلت آمال  
ووراءها طبيب البلدة ، الذي دخل بأعوامه الستين • بجده  
ووقاره • بشتته الجلدية القاتمة اللون • فقطع على الجميع  
حبل كلامهم ، وراى عليهم صمت ثقيل فرضته جلاله المهنة ،  
ورهبه الخوف من نتيجة يراد ان تعرف أو لا تعرف • وكلا  
الحالين مرهق مضم •

بعد جولة مع جسم الجريح دامت ما يقارب الربع ساعة  
ظهر العبوس على وجه الطبيب • فكان خير دليل على  
تأزم حالة المريض •

وسبقت العيوز الشفاء - ماذا •• ماذا يا حكيم ••  
أحالته خطرة ؟

لا ، لا • الامر بسيط ، وسيشفى عما قريب باذن الله •  
آمال ••

وانتحي بها جانبا ، لانه توسم بها الاعتدال ورباطة  
الجأش •

أمال ، يا ابنتي ، انني لا اکتسك الامر ، ان حالة وسام  
تدرج من سيء الى أسوأ ، وهي لا تخلو من الخطر •  
ظهر الهلع على وجه أمال وفي مقلتيها ، وقالت :  
ماذا نستطيع ان نفعل • أهدينا • انجدنا بربك •  
رويدك ، هدئي روعك ، أنا لم أخبرك الا بعد ان توسمت  
فيك رباطة الجأش ، ان أملنا بالله كبير ، ولم يفتنا القطار  
بعد ••

والنعم من الله يا سيدي ، لكن ، ماذا جد عليه ،  
أأستطيع أن أعرف مصدر الخطر •  
نعم وحقك ان تعرفي ، ان أخاك وسام ضعيف الجسد  
وهذا الجرح البليغ الذي أصابه استنزف ثلثي دمه ،  
وبما ان جسده لضعفه لا يعوض ما فقد منه بسرعة ، لذا  
وجب علينا أن نعوض هذا النقص بالطرق العلمية • وهذا  
لا يتم هنا لفقدان الوسائل اللازمة لذلك •  
وماذا علينا ان نفعل ؟•

المستشفى ، المستشفى خير وسيلة يا بنيتي ، قال ذلك

• وخرج

عادت أمال عابسة متجهمة الوجه والدمعة تجول في  
مقلتيها المقرحتين •• أرادت أن تنطق ، ان تتكلم ، لكن  
ارادتها خانتها ، فطفق الدمع من عينيها مدرارا •  
بكت ام وسام ، وبكى أبو وسام ايضا ، • وكانت



وسيلة التفاهم فيما بينهم الدموع ، لا شيء غير الدموع  
لانهما شعرا بفداحة الامر من خلال دموع آمال .  
وقفت هناء حيال هذا المشهد كالمخبولة لا تبدي ولا  
تعيد ، وقد أفقدتها الصدمة كل مبادرة . وظهر عليها  
الارتباك جليا ، واحتارت في امرها ، أترك القوم في  
بليتهم وتنسحب في حال سبيلها ، أم تعاونهم على بلواهم  
لكن ترددها لم يدم طويلا لان القوى الغير منظورة قد  
أوجدتها بين ظهرانيم لتبقى وتعاونهم وأعطتها دورا فعلا  
يجب عليها تمثيله مهما كلفهما الامر . ثم دفعها الى ذلك  
دفعاً .

تقدمت من آمال ومسحت دموعها بمنديلها الحريري  
المعطر وأجلستها بجانب والدتها ، ثم تقدمت من أبو  
وسام ومسحت دموعه الواقعة في محجريه ايضا فامتزج  
سم الافعى بدمع البنوة الحنون ليؤلف مع دموع آمال  
ووالدتها أغرب مركب لاغرب متناقضات وكان ابو وسام  
قد عاد الى نفسه وسأل آمال .

ماذا قال لك الطبيب ؟ قالها والحرقة تكوي فؤاده .  
لا عليك يا أبي ، الامر بسيط ، انها أيام معدودة ويعود  
وسام الى صحته التامة .

آمال ، أترمين والدك بالغباء ، أتضعين غشاء على عين  
بصيرتي .

لا سمح الله ان أغشك ، ان الامر بسيط كما قلت لك  
لكن .

لكن ماذا • صرحت ان قلبي ينبئني بخطورة المصاب  
قبل أن تنطق ، ان وسام في خطر • أليس كذلك ••  
لا ، لا ، قالتها في حدود الهمس ، أخفض صوتك كي  
لا يسمعك ، أنظر اليه • قد أزاح الغطاء عن وجهه ، عله  
سمع ما قلت •

أمال ، وسام ، ولدي ، ارحمني يا الله • نطق السيد  
نديم بهذه الكلمات وكأنه يهذي ، ثم أجهد في بكاء  
صامت •

تحاملت أم وسام على نفسها ، وكانت الى هذا الحد لم  
تتشارك بالحديث •

ثم نهضت باعياء وتقدمت من أبو وسام ، وتقدمت معها  
هناك وعاونته على النهوض ، وخرج الجميع الى المربع  
المجاور •

حز الامر في نفس وسام ، وكان قد سمع بعض الحديث ،  
وانه في خطر ، فلم يصدق ما سمع لاول وهلة • لكنه عاد  
بذاكرته الى أسابيع خلت ، يوم كان في الغابة واصيب  
بهذا الجرح المميت • واخذ يستعرض حالته يوما فيوم ،  
بل ساعة فساعة • فلم يلمس في صحته أي تقدم ، والجرح  
قد تقيح ، وهذا الاعياء ، وهذا الانحطاط الكلي بجسده ،  
ما معناه ، ما مدلوله ، ونظره قد شح ، وعندما يصاب بالدوار  
أحيانا تتماذج أمامه الاشياء ، فلا يستطيع تمييز بعضها  
عن البعض الاخر • ما معنى كل ذلك ، وجاءه جواب  
سريع ، أنه الموت •



وعندما وصل بتفكيره الى هذا الحد دفن رأسه في  
الوسادة وبكى شبابه الضائع •

تعجبت هناء من صمود أم وسام أمام هذه النازلة ، •  
الكل انهار ، أبو وسام ، أمال ، وهي ، • لكنها أخذت  
بالمظهر الخارجي للامور ولو استطاعت ان تلج الى داخل  
الجسد المكلوم الهرم لوقفت على ما تقشعر له الابدان •  
قلب الام تمزقه الاحزان ، لكن عطف الزوجية كان  
يلف الاشلاء المبعثر بشال التحامل والصبر •• وحيدها  
بين أشدق الموت ، • تستنجد الله بالصلوات والندورات  
ليشفيه ، • لكن بعلمها من القبر على قاب قوسين ، • وهو  
بحاجة الى رعاية وتشجيع ، • في رأسها الان آلاف الهواجس  
وآلاف الافكار ، • ووجها تسربله هالة من الحزن المهيب •  
أمال ، • قالتها ربة الدار بلهجة حنونة آمرة ، افصحي  
يا ابنتي ، قولي ، ماذا قال لك الطبيب ••

طأطأت أمال رأسها تهيبا ولم ترد جوابا • فزجرتها  
والدتها •

تكلمي ، • أي خطب دهاك ، • أنت خرساء ؟ •  
دفنت الاخت المصابة بفؤادها رأسها بصدر والدتها  
خوفا من رؤية أهلها عند وقوع النبا عليهم • أم هربا من  
نفسها ، • انها لا تدري وقالت :

ان وسام في خطر ، • وهو في أمس الحاجة الى دماء  
ومستشفى •

وجم السيد نديم وردد ، مستشفى ، مستشفى ، وسام  
في خطر اعني يا رب ، هذا ما كنت اخشاه •  
أما الست رفته فقد كان خوفها أقوى من صبرها  
ومن نفسها ، فلم تقو على تحمل الصدمة ، وتلعثت ••  
و ، و ، وسا ، سا ، سام ، ف •• ف •• دودور  
و - و - وسا - سا - سام - ف - ف - في - خ  
خا - خطر •• وأغمي عليها •

احتضنت أمال جسد والدتها المتراخي ، فشعرت بالبرودة  
تتسرب اليه • وكانت برودة شديدة تميل الى الصقيع •  
فها لها الامر ، وحزمت شجاعتها ، الى العمل ، وبسرعة •  
ان الكل بحاجة ماسة اليها ، والدتها ، وسام ، وعאותها  
هنا ، واستعادت ام وسام وعيها •

ماذا ، ماذا يا سيدة هناء ، انجدينا ، ماذا نستطيع  
ان نفعل ••

أفعمت الغبطة قلب هناء ، وقالت في سرها ، ها الحمل  
قد أحب الارتماء بين أشداق الذئب خوفا من الوقوع في  
مجرى العدير •

ان الامور تساق الي دون جهد ، ودون ان أجري  
وراءها • وردت على أم وسام ببرودة يشوبها نوع من  
الاهتمام •

من جهة الخطر على وسام ، وأخذت نفسا طويلا ، هذا  
أنا لا أسلم به • وأما من جهة دخوله الى المستشفى فهذا



عين الصواب • وكنت سأشير عليكم به قبل ان يأمر  
الطبيب لان في المستشفى وسائل عديدة تساعد المريض  
على الشفاء • وعناية أكثر ، • وأطباء فطاء يقهرون أقوى  
الامراض وأفتكها ، • وخصوصا الجراحون منهم • ووسام  
الحمد لله لا يشكو من أي مرض وبيل ، وهذا الجرح  
اللعين الذي تخافون منه سيشفى بمدة أسبوع فقط ان  
شاء الله •

دخل لامل الى قلوب العائلة المنكودة • وبلسم كلام  
هناء جراحها • وهدأ من غلوائها • وشخص اليها الجميع  
بأبصارهم • وهذا مما شجع هناء على الاسترسال بحدِيثها  
فوجهت كلامها الى السيد نديم •

أبي ، • اسمح لي ان احتمي تحت جناح بنوتك ، • ومسحت  
دمعة كانت قد سقطت على خدها ثم أكملت • لرفع الكلفة  
فيما بيننا وكأني فرد منكم •

أخذ السيد نديم بعاطفة هناء المتلونة وقاطعها قائلا :  
اقتربي ، • اقتربي يا ابنتي لا طبع على جبينك قبلة النبوة  
الصادقة ، اقرار بعظيم نبلك • وشهامة نفسك • ان الله  
قد أرسلك الينا رسول سلام من السماء •

واقتربت هناء ، وقبلت يد ابي وسام • فاحتضن رأسها  
بين يديه ، وطبع على جبينها قلبته الممتنة الحنون ، •  
وارتعشت ، • ومسها سلك خفي ، سلك الرهبة والخوف ،  
وأفاق في داخلها موات الضمير ثانية ، وأرادت ان تفر

أن تهرب ، ممن • من ماذا ؟ وعرفت ، من نفسها • ،  
من أنانيتها ، من الجميع ، لكن وتوقفت ساعة هذا  
الضمير ، وجاءها نداء من البعيد البعيد ، من غور الحياة ،  
من اعماق الالامحسوس ، أبقى حيث انت ، هكذا كتب  
لك • ، وهكذا سيكون • ، وتقدمت من ام وسام ، وطبعت  
على يدها الملائكية المعروفة قبلة رياء سبقتها دمعة زائفة  
التقطتها شفتاها الكاذبتان ، فطوقتها الست رفقة بذراعيها  
الاموميتين وضمتها الى حضن حنون دافئ • فشعرت  
بطوق من حديد يسور جيدها ويشدها الى أتون من  
النار لظي •

أحترق ضميرها بنار خداعها وتعودت هذا الاحترق ،  
وقال لها عودي الى صوابك • ، ان طريق الخير أمامك  
مشرعة أبوابها ، ادخليها دون خوف • ، دون وجل ، ادخليها  
نادمة ، موتي نفسك لان النواة التي لا تموت لا ثمرثانية •  
وكان صوت آخر يقول أ ان الحياة اثنان ما في الوجود  
والجسد دليل حسي على جمال الحياة • ، وما الموت سوى  
وسيلة لتشويه هذا الجمال ، اذا عبي من بحر الجمال حتى  
النشوة ، قدسي جسدك في بخور الموت ولو على حساب  
أجساد الآخرين ، ان موت ثمرة على غصن حياة ثانية لا اختها •  
ومع طواف هذا الشلال العاطفي تقدمت أمال من هناء  
مدفوعة بعامل خفي لم تدر كنهه ، واحتمت بها خوفا من  
مجهول تترقبه • وكان المستقبل استبق الاحداث ونهبها قائلًا:  
ان مصيرك بين يدي هذه اللاعبة مع الالباسة •



ورضخت ، ثم قالت برجاء :

هناء ، اختي ، ساعدينا ، ساعدينا يساعذك الله •  
وضعت هناء يدها على كتفها وفي عينيها بريق النصر •  
لا عليك يا أمال ، ان الله يساعد الجميع •  
ووجهت حديثها الى أبي وسام •  
على ماذا عولت يا أبي ••

لا أدري ، لا أدري ، ان هذا فوق ما استطيع  
تصوره ، اذا أرسلنا وسام الى المستشفى فمن سيطل عليه  
هناك ، وأنا كما ترين مريض لا استطيع ان أعيّل نفسي ،  
وأم وسام كذلك ، وجارى خياله في تصوراته ، واغمض  
عينيّه ، نم يبق الا أمال ، ونطق دون وعي ، ودون  
تفكير ، لا ، لا ، ان هذا سوف لا يكون •  
وأجابته بخبث ، وكأنها قرأت أفكاره ، و ••  
وأنا يا أبي ، ألم تمنحني حقوق بنوتك ، هل اسقطتني  
من حسابك ••

لا سمح الله يا ابنتي ، لكن يكفيننا مشاركتك لنا في  
أحزاننا ، ان هذا الجميل منك سنذكره ما حيننا ••  
ونظر الى زوجته يستنجد بها فيما يفعل ، بنظراته ،  
بلهفته ، ب ، وأجابته •  
لا مفر من الواقع ، ان وسام سيذهب الى المستشفى  
بصحبة أ ، وأرادت ان تكمل ، لكن شيئا غامضا كان  
يعصر فؤادها ، فتجلدت ، وأردفت بصحبة أمال •

بوغت هناء وظهرت عليها دهشة مصطنعة ..  
بصحبته أمال . ، ولماذا . لا . ، انها ستبقى هنا . واعدكم  
بأن سأكون له بمثابة أب وأم وأخت .  
شكراً يا ابنتي . لكنني أظن أن وجود أمال بقربه  
سيلطف عليه وقع الأمر .  
مثلاً تريدون يا امي . واحبت أن تختصر الحديث لئلا  
يغير القوم ما في افكارهم . أن أمال ستنزل عندي . ان  
بيتي وبيتكم واحد . ومستشفى الدكتور رزق قريب منا  
جداً . انه اشهر واحدث مستشفى في بيروت .  
ابنتي هناء . أمال . اقتربا . وضمها إلى صدره . ان  
وسام وديعتكما . فليحفظكما الرب .



## في بيروت

أخذت آمال بعظمة بيروت وجمالها . إذ طالعتها المدينة بروعة بنائها واتساع شوارعها وفخامة محلاتها التجارية ، ورددت في سرها ، . حقاً انها لمدينة بديعة ، . وغبطت نفسها بنفسها ، . نعم انني في بيروت مدينة الأحلام ، . بيروت ، . بيروت ..

مدينتي الحبيبة ، . كم تمنيت أن ازورك بعد أن سمعت عنك الكثير الكثير ، . ولم كان ما سمعت من وصفك الشائق قليلاً بالنسبة لما فيك من رونق وبهاء .

وبينما كانت السيارة تمر في ساحة الشهداء ، طالعتها تمثال كبير ينتصب فوق قاعدة من الحجر المقصوب جميل الهندسة ، ذو جلال ومهابة ، . واشكل عليها الأمر ، . لأي شيء يرمز يا ترى ..

هنا ، . هنا ، . ما هذا يا اختي ، . هذه المرأة الشابة ، . وهذا الفتى الجميل و ..

انفضت هنا كمن أخذ على حين غفلة لأنها كانت مندججة مع افكارها ، تحبك في رأسها خيوط مؤامرة جديدة . ماذا ، . ماذا تقصدين ؟

هذا التمثال يا اختي . وأشارت بيدها نحو نصب الشهداء .

انه تمثال الشهداء يا حبيبتي .

الشهداء ، . وأي شهداء يا ترى ، . وشهداء ماذا ، . لم اسمع بهم من قبل . وأردفت بتأفف ، . تباً لمحيط القرية ، . كم هو ضيق ، . ومكوم على ذاته ، . شجر ، . وغنم ، . وأبقار وثرثرة فتيات على العين ، . و . . و . .

وضحكت هناء ملء فيها ، . وتكلمت بضمير فيلسوف .  
لا تنقمني على محيطك يا اختاه ، . انه هادىء ، . وجميل ، .  
وقريب من الله هنيئاً لكم به . انه صومعة جميلة مزهورة  
الجنبات . ورددت في سرها ، . ليتك لم تتعرفني على مجتمعنا  
هذا انه فسق ، . وشرور ، . ومادة ، . انه ظل الشيطان  
على الارض .

هناء ، . لم افهم من جوابك اي شيء .

حقاً ، . انك تودين ان تعلمي اي شهداء . أليس كذلك ؟ .

نعم .

انهم شهداء الحرية الذين ارتفعوا على اعواد المشانق عندما  
طالبوا بحق استقلال لبنانهم ، على عهد جمال باشا السفاح  
الحاكم التركي .

نعم ، . نعم ، . ما اغباني ، . ووضعت يدها على رأسها .

وبحثت ضمن خلايا افكارها ، . لقد حدثتني جدتي عنهم .

وكم كانت فخورة .



وتمثلت لها جدتها بمهابتها ووقارها . وأوداج الجدة  
تنتفخ بعظمة .

انهم ابطال . انهم جبابرة . انهم عين قاومت مخرز .  
لكن الدمعات التي ذرفتها العين قد صادفت أرضاً خصبة  
زرعت بها بذور التضحية والحرية والفداء . فانبثقت شجرة  
الاستقلال التي نستظلها الآن . وتدحرجت على خدها المغضن  
دمعات التحسر واللهفة .

## على مذبح العقاق

دقت الساعة تمام الثامنة مساء في المنزل الفخم الذي يقع  
في وسط شارع ساسين في حي الأشرافية ومع دقائقها استقبلت  
هنا وأمال بعد أن وضعها وساماً في المستشفى وقد بان البشر  
على محياهما بعد أن طمنها الطبيب عليه وبشرها بقرب شفائه .  
دخلت أمال الى فناء الدار وتسمرت في مكانها كلما خوذت .  
وبقي نظرها وحده يجول هنا وهناك متفحصاً ما يحيط بها  
من أثاث فاخر ورياش ثينة . وقارنت بين موجودات بيتهم  
في القرية وبين الروائع التي امامها . فوجدت البون شاسعاً  
بين الاثنين .

عندئذ شعرت بحقارة وضعها ؛ وبانها دون هناء مكانة  
ومقاماً . وبان خجلها على محياها فتورد وجهها بهالة من  
الاحمرار . انتبهت هناء لوضعها فساعدتها على الخروج من الجو  
الذي أوجدت نفسها به . وذلك بنسكاتها اللطيفة ، . بظرفها  
ومودتها ومحبتها . ثم دخلتا سوياً الى غرفة الاستقبال ، .  
وبدأت هناء في الحديث .

كيف وجدت منزلي ، . هل راق لك .  
ضحكت أمال ضحكة ناعمة فيها بعض المرارة . وقالت انه



منزل جميل ، ذو أثاث فاخر . انك ذواقه فن . لكن  
كرمك يا اختي وحسن ضيافتك اجمل من كل ذلك .  
كرمي . وهل أبقيتم لنا أنتم اهل الجبل أي مجال  
للكرم بعد الذي احطتموني به من عناية واکرام .  
يا اختاه . مهيا كان كرم اهل الجبل كبيراً . انه لا يبدو  
شيئاً امام حياة البذخ والرفاه التي تعيشونها في قصوركم .  
قهقهت هناء ملء فيها وقالت :

قصور . حياة بذخ ورفاه . لا . انك غلطانة يا أمال  
ان حسن الضيافة وكرم الاخلاق اللذان تتحلون بهما اجمل  
من قصور الدنيا قاطبة . وهذه الحياة التي تبدو لك جميلة  
المظهر . اذا تعمقت بها . في جوهرها . تجدنيها سراياً  
خادعاً نعيشه على اعصابنا . ندفع ثمن لهُونا وملذاتنا من  
راحتنا . من صحتنا ان حياتنا مادية مئة في المئة . اذا  
وجد معك ليرة فانت تساوي ليرة . واذا وجد معك الف  
فانت تساوي الف واذا لم يوجد معك شيئاً فانك لا شيء .  
اذا اشتغلت تأكلي ، وان لم تشتغلي لا تأكلي . هذه هي  
الحياة في المدينة ورددت سرّاً . انت رأسمالي يا أمال .  
اذا خسرتك فربما لا اعود اجد ما أسد به رمقي .

وبينما هما في الحديث بدأت وفود الزائرين تقبل عليها  
وهنا تقدمهم لها .

هذا ابن عمي وهذه شقيقته . هذا ابن خالي ، هذه  
صديقتي . هذه رفيقتي وهذه صاحبته . الى ما هنالك من

صلاة الصداقة والقراية . وقد دعوتهم جميعاً للاحتفال بقدمك  
ولكي اعرفهم عليك .

لفت أمال بهالة من الحفر والحياء ، وتوردت وجنتاهما  
فبدت آية في الجمال والفتنة وقالت لهنا في همس ملائكي :  
من أنا كي تتكبدي من اجلي كل هذا العناء ؟

انت ، . وربت على كتفها ثم قبلتها في جبينها . انت  
الأخت الحنون والملاك الطاهر ، . و . وجاوبت نفسها انت  
يا حبيبي أكثر من أخت ، . أنت ، . وقهقهت الفرحة في  
داخلها أنت إكرامك واجب عليّ .

أتجهت الأنظار نحو أمال بشره ونهم . وكل من أصحاب  
هذه النظرات الغريزية يبتغيها لنفسه ، لأنهم قد عرفوا بأنها  
صيد جديد ، . مادة خام ، . ولاحظت هنا نظراتهم وخافت  
على صيدها . لأنها رأت الشك في عيني أمال . فزجرتهم بنظرة  
حاددة ولسان حالها يقول انتظروا قليلاً . . وكل آت قريب .  
تحركت غرائز الأنثى في نفس أمال . وشعرت بالخطر  
يحيق بها . لكنها كتمت كل ذلك خوفاً من أن تجرح شعور  
مضيفتها ، . وسرحت مع خيالها ، . وراجعت الفكرة التي  
كوتتها سابقاً عن حياة المدينة ، . عفاف ، . سرقة ، . ابن  
المدينة أزعز .

العفاف يسرق وسارقه المدنجي بحسب قول أم عساف وأم  
جميل ، . وأعتصر قلبها سر غامض ، . وجرحت كرامتها ، .  
لا ، . لا ، . إنني لا أريد إنه كلبوس ثقيل . .



لكنها عادت إلى صوابها . إن كل ما يجول في مخيلتي أو هام بأوهام .

لكن بعد قليل تجسدت أوهامها حقيقة إذ بدأ الجو يتبدل شيئاً فشيئاً من تحفظ مقصود إلى إباحية فاضحة أخرجت أمال عن هدوءها وثارَت لكرامتها الذبيح . وبقيت ثورتها ضمن جدران أربعة ، . وسدت في وجهها جميع منافذ الخلاص .

فأستنجدت ، . ونادت ، . وصرخت ، . استنجدت بشباب ممتلىء الأجساد عديم الشرف . فكانت كضحية تسترحم جلادها . ونادت ربهَا لينتشلها من وهدة الخطيئة فقصم آذانه عن نداءها ودفعتها إلى الهاوية دفعاً .

قهقهة الحضور ملء أفواههم لأنهم تعودوا مثل هذه المشاهد من المبتدئين أمثالها . إن هذا لا يعنيتهم ، . إن الثمرة عجراة وقريباً ستنضج ، . هذا كل ما كانوا يفكرون به .

والثمرة الفجة بحاجة إلى جو حار ليبرك في إيناعها . . وهذا الجو من صنع أيديهم . إذن إلى العمل ، . وتقدم منها أحدهم ، . وكان من المكلفين بترويض المشاكسين أمثالها . تقدم وأخذها بين أحضانه واضعاً يديه على برعميها الخفاقين ، . انتفضت كمن لدغتها أفعى ، . وحاولت الإفلات ، . لكن أنى لها ذلك وذراعاه الفولاذيتان يصهرانها بقوة . وفمه المخمور يطبق على قمها بنهم .

ثارَت كلبوة حبست في قفص من حديد ، وأشبالها في الخارج تعذبهم أيادي مروصيتهم . إنها تندفع رغبة في خلاصهم

لكنها تترد خائبة بعد أن تكون قد دفعت ثمن جهادها من  
فؤادها ، . من أظافرها التي تكون قد ذهبت طعاماً للقبضان  
الحديدية .

وتقدمت هناء من الوحش القابض على أمال وصفعته  
صفعة أطارت الشرر من عينيه . فارتد إلى الوراء وعيناه  
تروغان ككلب زجره صاحبه .

وباستكشاف أسرار الغيب علمت أمال بواسطة غرائرها  
الأنوثية أي مصير ينتظرها فجاهدت وكافحت كفاح المستميت  
لتحافظ على عفافها . ثم ارتمت على اقدام هناء واستحلفتها  
بقدسية صداقتها كي تقيها عثرة الذل .

ووقعت هناء بين حجري رحي ، ما ذنب هذه المسكينة .  
ما جرم هذا الحمل الوديع ، . حرام علي ، . يجب ان  
انقذها ، . يجب ان انقذها ، . وجاوبها صدى ماضيها ، .  
ماضي صداقتها في القرية . انك مثلها ، . فتاة ، . وأي معنى  
لفتاة دون عفاف ، . لقد مررت بنفس حالتها ، . لكن بفارق  
الوقائع .

لكن واقعها ردد . انقذها إذ وجدت الجرأة على ذلك ، .  
انك ستدفعين استقرار مستقبلك ثمناً لاستعجالك .  
انت مديونة وكل ما تملكين لا يسد جزءاً يسيراً من دينك  
الكبير . وأمامك الحبس ، . والتشريد ، . والحرمان ، . وهي  
املك الوحيد في هذه الحياة الدنيا ، . انها رأس مالك ، . انها  
كنز لك ، ، هل تحكين على نفسك بنفسك ، . لا ، . لا ، .



إذن الى العمل وعودتك الشيطان في كل ما تفعلين .  
بكى قلبها واختلطت دموعه بدماء ضميرها الذي طعن  
بجربة الأنانية الزائفة . وعادت نعمة الانتقام من المجتمع  
تتجارب في جوهرها .

وعادلتها رغبة الانقاذ . لأنقذها ولي الله فيما عمل .  
الله . والشيطان . الخير . والشر . مصلحتي . خلاصي  
في يدي . وامتزجت الافكار . ووضعت رأسها بين يديها  
رباه المجدني . انقذني . من هذه الحيرة القائلة .

انتقلت هناء متممصة شخصية الجلاذ ومعها الضحية إلى  
الغرفة المجاورة وكانت آمال بحالة يرثى لها من الاجهاد والاعياء .  
لكن قبساً من نور رجاء كان ينير نفسها . ان هناء ستساعد  
وهي ستفر إلى البلدة بأقرب سائحة . وتميزت وضعها . إنها  
قريبة من الباب الخارجي لا يفصلها عنه سوى فسحة الصالون  
ثم الممر الضيق . انها ستفر دون استئذان .

أما هناء فكانت تعد لها شيئاً آخر بعد ان حكمت على  
نفسيهما حكيمين مختلفين . فقد حكمت على نفسها بموت ضميرها  
نهائياً وعلى آمال بسلب عفافها ونادت خادمتها :

عبلة .. عبلة ..

نعم يا سقي . ماذا تريدن ..

احضري كوباً من عصير الليمون كي يساعد آمال على تهدئة  
اعصابها .

حاضر . وهل . ثم غمزت بعينها .

نعم ، وبسرعة ، وجاوبت نفسها أيضاً أن اعصابي لم  
تعد تتحمل اكثر من هذا وبكت .

ابتسمت الخادمة ابتسامه ذات مغزى وخرجت ثم عادت  
والكوب في يدها .

أخذت هناء الكوب من يد الخادمة وادنته من فم أمال  
فرشفت منه قليلاً . لكن رائحة ما قززت نفسها ، فأبعدت  
الكوب ، وقالت لجلادها ، شكراً يا أختي ، ان هذا  
يكفي ..

لا ، خذي ، وزادت في الالحاح أشربي يا روعي ،  
ان الشراب يساعدك على الهدوء ويزيل الصداع من رأسك .

لا ، شكراً ، اني أشعر بغثيان ، و ..

ولو ، كرمالي ، متكسريش بخاطري .

اتت أمال على آخر محتويات الكوب وكان هذا آخر  
عهدها باليقظة . وشعرت بهدوء يغمر كيانها . وبارتحاء في  
جميع مفاصلها .

خي ، وارتمت الى الوراء ، خي يا اختاه ، ان

ا ، ا ، ولم تستطع الافصاح أكثر من ذلك . لان الحذر  
الذي مزج بالشراب كان قد فعل فعله في الجسد الفتي وغابت  
في سبات عميق .

عند ذلك ابتسمت هناء ابتسام المنتصر وخرجت لتشبع  
فضول الحضور وبدأت المساومة على ثمن العفاف البكر .  
ورست الصفقة على كاهل شيخ متهدم حاك ببياض لته ثلج



صنين . ودبت الغيرة في قلوب الشباب المتوثب ، وحسدوا  
الشيخ الهرم على قطف الزهرة اليانعة لكنهم غلبوا على أمرهم ،  
فاستنجدوا بهناء ، فقلبت شفتيها بقله اكرثا ، وقالت :  
انه المال ، المال يا سادة ، المال الذي يدلل الصعاب  
ويفعل المستحيل ، فقد دفع أكثر ..

أفاقت أمال على حقيقتها المرة . لقد فقدت أعز ما  
تملك ، وأصببت بموجة من جنون وشعرت كأن جسدها  
بكامله جرح مكلوم ، ثم تضخم ذلك الشعور ، وتخيملت كل  
ما يحيط بها بحر من دم ، وهي غريق على وشك الاختناق ،  
ولوحت بيديها في الهواء ناشدة الخلاص . لكن ثورتها لم تدم  
طويلا لان هناء أتنها بكوب آخر من أكوابها المشؤومة ،  
فتخدرت ثانية ، ثم أفاقت بعد وقت طويل ، وكان قد  
نظف عن جسدها كل أثر للجريمة ، أفاقت مشتتة الأفكار ،  
وبحثت عن حقيقتها من خلال ضباب كثيف اكتنف جميع  
تصرفاتها السابقة وتصفحت كل ما مر بها مقطعا مقطعا من حين  
صحبتها هناء الى المدينة حتى الساعة التي تحياها . وظهرت  
لها الحقيقة الهائلة ، وعلمت الى أي درك انحدرت ، وقارنت  
حاضرها بماضيها وتساءلت أي حاضر ، وأي مستقبل ،  
وأي ماض ، وانحدرت دمعة على وردها الذابل وتبعتها  
دمعات ، وصحبت خيالها بعيداً ، الى أجواء القرية ،  
وقد علم بعارها الجميع ، وأصبحت محط استهزائهم وسخريتهم ،  
وتمثلتهم يشيرون اليها بالبنان ، ولسان حالهم يقول : ابتعدوا

عن الزانية لئلا تفسد أخلاق بنيكم ، ابتعدوا عن العاهرة  
لأنها وباء سيتفشى بأجساد شبابكم وشاباتكم ، ولاحقتها  
مهاترات العجائز تدق أصداعها بمطارق التنديد والتأنيب ،  
وصرخت ضمن حدود اللاوعي وكأنها تعيش تخيلاتها حقيقة .  
انني بريئة .. انني بريئة .. وهم .. هم المجرمون الذين  
أعمت أعينهم المادة .. لان المادة في عرفهم كل شيء .. هم  
الذين لا يهمهم انتهاك الاعراض أو هدم البيوت التي بنيت على  
أعصاب ساكنيها الودعاء .. وارتد اليها الصدى مردداً ..  
هم .. هم المجرمون ..

واختلط ذلك التريد بقمهات مصدرها الخارج .. مصدرها  
هنا وهى تراقب تأثير فعلتها على ضحيتها البريئة . وفجأة  
تسمر نظرها على أمال . إذ رأتها تحطم زجاج النافذة وتلتقي  
منه قطعة بشكل سكين وتهم بان تطعن صدرها .. وفكرت  
بسرعة .. هذه الدقيقة الفاصلة ستقرر مقدار انتفاعها من بقاء  
أمال على قيد الحياة .. ومع سرعة تفكيرها صحت من  
ذهولها .. الى العمل وبسرعة .. ان جميع أتعابها ستذهب  
أدراج الرياح ان هي توانت .. وانقضت على أمال .. ودفعتها  
دفعة قوية ألقت بها على الحضيض فضعضت قوتها .. وتحطمت  
قطعة الزجاج في يدها .. وهشمتها شر تهشيم وساعدها على  
بلوغ غايتها تردد أمال بالقضاء على نفسها لانها عندما قررت  
الانتحار كانت تحت سيطرة الشعور بعار الفضيحة .. وأرادت  
الموت لتتخلص من الذل والامتهان لكنها عندما وصلت الى



الثانية الحاسمة عاودها الشعور بلذة حب البقاء . وتصارع  
بداخلها عاملان جباران كانا المحرك الرئيسي ليدها . فعندما  
كان يقوى عليها الشعور بالذل تنحدر يدها لجهة قلبها . لكنها  
كانت تصطدم بالتعلق بحب الحياة فتصعد متمهالة والانفعال  
يهزها هزاً . وبقيت هكذا بين صعود وهبوط حتى أدركتها  
هناك وحطمت أداة الجريمة في يدها . ثم انهضتها وأرادت أن  
تضمد جراحها فصرخت في وجهها :

ابتعدي عني أيتها الأفعى الشريرة لأن عواطفك سم زعاف  
يتغلغل في أجساد الذين يؤمنون بجبائلك الجهنمية . ابتعدي  
عني لانك معول صنع خصيصاً من الغدر والانحطاط . لكي  
يهدم صرح القيم الأخلاقية . لكن سيأتي يوم يوضع به حداً  
لغوایتك . وتنالين جزاء أفعالك المنحطة . . وكل آت قريب .  
قهقهت هناك ملء شديها وأجابتها بتشف :

ان القدر يجاني كما ترين . والاجدر بك ان تنصاعي الى  
أوامري فتحيين حياة سعيدة مقرونة بالرفاه واللذة .  
انصاع الى أوامرك . وبصقت في وجهها . انت يا احط  
خلق الله . . كلا . . والف كلا . . اني أفضل الموت مراراً على  
ان أرى وجهك المشؤوم .

رويدك . . رويدك . . لم هذا التجني يا حبيبتي . . وان لم  
تبقي عندي أين ستهبين قالت ذلك ومسحت ما علق على  
وجهها من بصاق آمال .

ان بلاد الله واسعة . . اني لا اعدم وسيلة احصل بها على

قوتي . وذلك ان بقيت على قيد الحياة .

انتحار ؟ لا . هذا آخر ما ستقدمين عليه . ان الحياة شيقة ، ولذيذة ، وحب ، وجمال ، وانت لا تزالين في بداية عمرك ، لنسلم بما تقولين ايها القروية المتعجرفة فبأية وسيلة ستحصلين قوتك ، أبعلمك ، ام بصناعتك ، ام بماذا .

ا . ا . انني سا . ثم خنقتها العبرات ولم تستطع الافصاح عما ارادت ، وأكملت عنها هناك ..

انني قد رسمت لك سبيلاً لا تستطيعين الانحراف عنه . لأن شبحي سلاحك اينما اتجهت . وسيتسبب باذلالك . انك ستأكلين طعامك مغموساً بماء الدعارة والرذيلة . وكانت آمال تستمع الى كلامها وتساءل .. الى اين ستذهب .. وماذا سيكون مصيرها .. أتذهب الى البلدة ، كلا .. ان هذا مستحيل ، اذهب الى الشارع .. وماذا ستلاقي .. تراكمت كل هذه الأفكار في رأسها ولم تجد لها جواباً . وكان كلام هناك يدوي في صدغها كالرعد القاصف . ورددته أولاً .. وثانياً .. وثالثاً .

ان شبحي سلاحك اينما اتجهت . وسيتسبب في اذلالك . وقارنت بين شرودها في الشوارع وبين .. لكن هناك لم تتركها في استرسالها اذ قالت ..

على ماذا عولت ..

وراجعت في سرها نفس السؤال .. على ماذا عولت .. وعندما لم تجد جواباً أحنث رأسها بنذلة المكسور .



## ر ض و ع

مر الوقت متناقلاً وأصبحت أمال من افراد الأسرة  
الزندقية ، لكنها كانت تختلف عن المجموعة بانفرادها وانطوائها  
على نفسها ضمن جدران اربعة لا تتعدها إلا حين الضروريات  
نعم انها قد باعت جسدها الى الشيطان لا حباً بالمال وبما يجلبه  
لها من رفاهية وسعادة ، بل باعته تمشياً مع شريعة حب البقاء .  
ولكي تحتفظ بتلك الشعلة التي وهبتها إياها العزة الإلهية .  
لأن فراق هذه الحياة هو آخر شيء يمر بمخيلة الانسان ، وآخر  
شيء يضحى بالعزيم الغالي لأجله . وكانت في البداية تهاب  
السير على طريق رسمتها يد القدر مخافة من وسام ومن سخطه  
عليها . لكنه شجعها على فعلتها بعد رجوعه من المستشفى  
وإبلاله من جرحه ، وذلك بمغازلاته لأحد المومسات امامها  
وبنطقه بكلام بذيء يتناول لأحط ما في المرأة والرجل .  
واستنتجت . . نعم استنتجت بانه على علم بالمؤامرة التي حيكت  
لإذلالها وبأنه كان ربيب هناء ، طوال مدة غيابه عنهم .  
وكانت جميع أفعال وسام بإيحاء من هناء . لأنه عندما علم بما  
حل بشقيقته ثار غاضباً لدوس كرامته وتلويث شرفه بهذا

الشكل الفاضح . لكن هناء هددته بالطرد وبالقاءه في  
الشارع ان هو أفدم على أي أمر ينفر أمال ويقصصها عنهما  
فأنقاد لها صاغرا ونفذ كل ما أمرته به وبين الحين والحين  
كان يبعث لاهله برسائل تظمنهم عليه وعلى شقيقته ، وذلك  
تغطية لبقائهما في المدينة أطول مدة ممكنة .



## الفراشة الراقصة

لم يكن حظ عفيف تامر أقوى من حظ وسام فانجرف  
مع التيار الغادر الى المدينة يدفن شبابه ضمن خماراتها  
ومواخيرها وتنقل من بار الى بار ومن ملهى الى ملهى الى  
أن قذفت به التقادير الى حجر هناء على أيادي بعض  
سماستها الاشاوس حيث التقى به أحدهم في الشارع  
وهو في أشد حالات السكر ♦

اذ تبين له من مظهره انه صيد ثمين فاقرب منه وهمس  
في أذنه ♦

هل تريد بضاعة جيدة يا سيدي ♦  
نظر اليه عفيف، باستغراب ♦ ♦ كلاً ♦ ♦ انني لست بتاجر،  
انك قد اسأت فهمي يا سيدي ، لان بضاعتي ليست  
للمتاجرة ♦ بل لتحفظ بها لنفسك ، وتمضي بقربها اطيب  
أيام لهوك ، فهل تريدها شقراء ♦ أم سمراء ♦ أم بيضاء ♦  
تنبه عفيف، لما يرمي اليه محدثه ، وكان آنذاك في حالة  
سكر ظاهر تقود خطاه بعض ثورات جسده البهيمية ،  
فأجابه فوراً وبدون أي تفكير ♦

أنني أريد أجمل وأحلى ما عندك • ثم تحسس جيب  
سترتة فوجد ما قبضه من ثمن فاكهته لم يزل منتفخا •  
لكن سمسارنا العزيز فاجأه • الرعبون •• الرعبون  
يا سيدي •

أخرج عفيف محفظته ونقده ورقة لم يتبين ارقامها  
ودسها في يد صاحبنا لكن قيمتها كانت مرتفعة على ما  
يظهر لانها أسالت لعاب محدثه النهم •  
تقدمت هزاء عندما نظرت ورقة الخمسين تتراقص بيد  
سعيد ثم سألته •

ما هذا ••

قهقه سعيد ملء شذقيه وعلامات الغبطة تشد قامته  
الى فوق •

أنها عربون أثمن ما عندك •

عقدت الدهشة لسان سيدته وتساءلت •• أهذا عربون

فقط ••

نعم انها عربون •• وهل فيها ما يدهش •• قالها بخبت  
وعيناه تسترقا النظر الى هاتكة الاعراض •• ونفسه تتمنى  
المكافأة الجزيلة •

لا •• فإلتها هناء بقلة الاكتراث ، لكنني أحببت ان أتأكد  
بأنها ليست الا عربونا وكانت افكارها تحوم حول من  
ستكون سيده هذا المليونير المهووس ، عدلا •• كلا •  
جمالا •• لا •• جليلة ؟ لا تصلح ايضا ، من اذن ؟ أمال ؟



نعم آمال • ومن غير الفراشة الذابلة لهذا الدور الخطير • •  
والفراشة الذبلة لقب لامال أطلقه عليها أحد الزبائن الظرفاء  
لأنه أحب ان يدخل السرور والبهجة الى قلبها الحزين •  
فباء بالفشن وذهبت جميع محاولته ادراج الرياح ولاقي  
هذا اللقب الاستحسان عند الجميع فأصبحوا لا ينادونها •  
الابيه •

أمال • • حضري نفسك • • دعد رتبي الغرفة جيدا كي  
تليق بمقام الضيف الكبير • • ألفت هناء بكلامها الى  
مخدوميها وكأنها قائد يصدر أوامره الى ضباط فرقته  
ليخوضوا غمار حرب ضروس • وبدت الغرفة كأنها لاحد  
الاميرات تفخامة أثاتها ولكثرة ما توضع بها من عطور •  
وأفرغ على جسد أمال غلالة شفافة بلون السماء • قتلاً  
من خلالها كتلؤلؤ الدر في بحيرة صافية الاديم وسطح  
نور الكهرباء أحمر فزادها روعة على روعة وفتنة على فتنة  
وصدحت الموسيقى خافتة حاملة شاعرية كجسد فراشتها  
وذبولها •

وفي هذا الجو المشبع بالروائح العطرية وعلى الانغام  
الموسيقية رلج عفيف الى داخل الغرفة ليبدل آخر ما تبقى  
من قواه ، وكان الخمر قد غطى عينيه بغلالة هيوالية كالتي  
ترتديها صبوته • لذا لم يستطع تمييز ما أمامه لاول وهلة  
لكن أمال أقعدتها الصدمة • • وشلت حركتها لانها شاهدت  
من طرده بالامس شامخة مرفوعة الرأس ، يداهما الان



وهي متسربلة بثوب الدعارة والرذيلة • فتمنت أن تنشق  
الارض وتبتلعها • لكن كل ما تمته كان سرايا • وها هو  
عفيف يقترب منها ليروي قلبه من معينها الفياض • وخرجت  
من شفتها جملة تستفيض استرحاما في حدود اللاوعي •

عفيف • ارحمني يا عفيف • انني بريئة •  
فعلت هذه الجملة بعفيف فعل السحر ، وصحا من  
سكرته ، ثم رأى • • ويا لهول ما رأى ، أمال خطيبته  
ترتعد امامه كورقة خريفية في مهب الرياح • • وجسدها  
الراعى مكموم امامه ، كالطرد الفارغ • ظلم يصدق عينيه  
لاول وهلة ، وظن ما يتخايله أوها ما مصدرها الخمرة •  
وانه في حلم • • وان هذا كابوس خائق مصدره كثرة  
تفكيره بأمال • • وان عقله الباطن يصورها له بشكل  
مومس ، هينة المنال ، وان • • وان • • وفرك عينيه بكلتا  
يديه ليتحقق من ظنونه ، لكن صدى صوتها تردد في  
أذنيه • • عفيف • • ارحمني يا عفيف ، انني بريئة ، ولفها  
نظرة برهبة الواقع • • وأعادته حركاتها الى العالم الحسي  
الملموس • • وزحفت اليه • • وتعلقت بثوبه ، وطلبت منه  
الصفح والغفران • • وتسمر في مكانه • • وشد وعظم  
كأبي الهول • • وتعوذ جسده بين الارض والسماء •  
وأفكاره حامت حول الماضي القريب • • أمال معبودته  
الجميلة التي تمنعت عليه بالامس فخر ساجدا في محرابها  
تسرق منه الى الابد • • ان هذا هائل • • لا يصدق ،



وخياتتها الان لماذا ، ان المرأة شر ، لا يركن لها •• انها  
كالهرباء تلونا •• حيننا تكون بمصاف الآلهة ، وحيننا قرينة  
ابليس ، واحتقرها ورفسها •• ثم بصق عليها وخرج كلامه  
مع رذاذ لعابه •

ابتعدي عني يا أخط خلق الله •• ابتعدي عني يا بؤرة  
الموَبقات •

لا •• لا •• وبكت بلوعة ، لا تحقرني ، وجهت اليه  
زاحفة تارذ على صدرها وطورا على ركبتيها • انني بريئة  
وخنقت صوتها الفاجعة •

وكانت قوة الصدمة أقوى من ان يتحملها انسان • لان  
قلبه مشدود اليها بقيود لا تكسر وكان يأمل ان يصلح  
نفسه ويعود اليها • لكنه طبق قول المثل ( اتنا نريد ان  
نتوب ، لكننا لا نتوب حتى نموت ) • وكان في قرارة  
نفسه ينشد هذا الاصلاح • ينشد بتوق وحنين • لكن  
أمله في المستقبل ومفاسد هذه الحياة أقعداه عن ذلك •  
وعندما شاهدها ذليلة بين يديه • داخله الرحمة وشعر  
ببعض الغفران نحوها •• وكاد يصفح • ثم قابل • ألسنت  
بجانح •• ومتهور ، لماذا أجزى هذا لنفسني ، ولماذا أحرمه  
عليها •• لقد تفرغت بين أحضان عدة نساء •• زوجات  
محصنات وبنات بغاء ، وفتيات أبكار سليلات أعرق الاسر  
وأشرفها فقيرات •• غنيات •• ربات قصور ، ساكنات  
أكواخ •• وهي • لقد اصبحت قانصة رجال ، وكلانا في

الجرم سواء •• وسقطت دمعة على وجنتيه •• لكن أنا  
رجل ، وما يجيزه الشرع للرجل لا يجيزه للمرأة • ولماذا •  
ألأن الرجل قوي ومتعجرف •• ييسط ظله على هذا المخلوق  
الضعيف الذي يسمونه المرأة • والمرأة التي تسعى لتتحرر  
من تبعية الرجل ، وقد أقرها على فعلتها نخبة من رجال  
اليوم ، وأعطوها كامل حقوقها • ألا يحق لها ان تتصرف  
بجسدها على هواها •• وأن تنتقم من الرجل بواسطة هذا  
الجسد •• سلاحها الوحيد ضد عدوها المتمرد العاتي ••  
وحبي ، وغيرتي ، وأناي ، و •• وشعر بقلبه يتمزق وبثورة  
تجتاح كيانه •• انه ريح عاصف ، انه رجل • انه قوي ،  
الشرف العفة الطهارة ، الاخلاق ، جميع هذه القيم دفنتها  
في رمس الخلاعات المستوردة من الخارج وكفنتها بعبادات  
حب التقليد المهووس الذي يعبده شباب مخضرم ضائع ••  
شباب سيتزوج ويلد ويشيخ •• والاولاد سيشييون  
ويتزوجون ويلدون •• وستندثر عادات مع شيوخ سيموتون  
تقوم مقامها عادات أخرى •• ستترعرع •• وتشب ، وتشيخ  
مع كل جيل ، عندها سينقلب قول المثل ( الويل لمن له  
مرقد عنزة في جبل لبنان ) وتقدمت منه آمال • تقدمت  
مستعطفة أياه ، فلم تجد الا صخرا صلدا لا يلين •• وروت  
له الحقيقة فنعثها بالكذب •• وبكت فقال دموع تماسيح •  
ولان قليلا • لكن نداء الشرف كان أقوى من قلبه ••  
ومن ارادته • فخرج ضائعا نصف مجنون •



وثارت الفراشة الذابلة •• ونقمت على الحياة ، وقررت  
ان تهرب •• ان تنتحر ، لكن عيون الرقباء كانت لها  
بالمرصاد •• تحصي عليها تحركاتها •• وتمنعها عن كل ما  
تريد ، لان هناء قرأت افكارها مسبقا فاحتاطت للامر ،  
وبشت حولها العيون لتصددها عن جميع رغباتها ، وذلك  
لحين خمود العاصفة •

واحتج وسام •• ورجب بمغادرتها مع ضحيتها •• لكن  
دهاءها كان أقوى منه ، فعض على جرحه • واستكان ذليلا  
مغلوبا على أمره •

## جنون عفيف

جن عفيف جنونا مطبقا واصبح لا يعي ما يقول ولا يميز  
ما يفعل ، يسير اثناء الليل وأطراف النهار •• اشعث الشعر  
حافي القدمين • ممزق الثياب • ويحوم حول السنديانة مهد  
غرامه ويناجي النجوم ، ويهدد القمر ، ويصيح ، ويصيح ،  
وضجيج قاتل يهدر في رأسه • محور واحد افكاره في  
نطقه ، ومع صخب الضجيج كان صوت يتردد في داخله •  
ارحمني يا عفيف •• ارحمني • انني بريئة ، انني بريئة  
ويقوى عليه هذا الصوت • ويخرج على لسانه صراخا مملء  
فيه ، انني بريئة ، انني بريئة ، لا ، لا ، انت مومس ، انت  
عاهرة ، لقد رأيتك بأمر عيني ، أنت زانية •• والزانية  
ترجم •• ايها القوم ، تعالوا اقتربوا •• ان ملاك الامس  
قد اصبح الان يدعى الفرشة لذابطة ، هناء ، آمال ، دعارة  
فسق ، اقتربوا ، ساعدوني ، على رجمها ، لا •• لا ••  
تقتربي مني ، لا تدنسي محراب حنا ، لا •• انك •• هذا  
لا يصدق ، وتدوم ثورته وتدوم الى ان ينهار كليا ••  
وتتلقفه أيادي أصحاب الغيرة والمحين من الذين يصادفونه  
وسرى نبأ جنون عفيف تامر في بسكتنا سريان النار في  
الهشيم •• وتناقلته الالسن الفضولية •• ان عفيفا قد



جن لانه قبض على خطيئته بالجرم المشهود وهي تتعاطى  
الرديلة في احد مواخير المدينة المشبوهة •

وباتت البلدة على وجوم •• لا تصدق ما يقال لان ماضي  
أمال الشريف الطاهر كان خير شفيح لها عند غالبية القوم •  
فباتوا بين مصدق ومكذب للخبر • لكن القرائن كانت  
ضدها • فمن تعيها مع وسام •• الى جنون عفيف ، الى  
بقاء الغموض محيطا بقضيتهم • كل هذه الامور مجتمعة  
أسقطت في يد الاحباء والمقربين والاصحاب •• فبكوا  
شباب بلدتهم النضير وهو يدوي على مذبح الفحشاء •  
ويبذر في الرياح ليلطخ جبين تاريخها المجيد •

وكثر اللغظ والهمس حول هذه الفاجعة •• والتقطته  
آذان الوالدين التعييين •• فهالهم الامر •• ونزل على  
رأسيهما نزول الصاعقة ، وكانا في أثناء غياب ولديهما في  
المدينة يتعزيا بالرسائل التي تصلهما من وسام تباعا •• وينا  
على حرير أملا باللقاء القريب •• وانهارت الام وانهار  
الاب •• لكن دوس شرفهما وتمريغ سمعتهما بالوحد أعاد  
الى الاب بعض القوة •• وقرر ان يغسل عاره بالدم ••  
ان يقتل أمال ووسام اذا صدق الخبر •• وحكم عليهما  
بالاعدام •

وتطوع حنا ابن صديقه وصاحب أبو وسام لمرافقته •  
وكان قد استقى بعض الاخبار من عفيف وذلك في بعض  
حالات وعيه •• واندفعا الى المدينة • وأبو وسام يجسر



خلفه ذكرى ثمانين عاما ، عاشهما شامخ الانف •• عالي  
الجبين •• وشرفه الاثيل لا تشوبه اية شائبة • وكانت  
أفكاره تتأرجح بين الشك واليقين •• بين مصدق لما  
يقال ومكذب له •• وعندما استعاد بمخيلته صور الماضي ،  
شاهد ولديه كالملاكين •• ترفرف فوق رأسيهما اعلام التقوى  
والفضيلة • فتشع نفسه بنور السلام والاطمئنان وتبلور  
جسده المغضن المتهالك وينشق من عينيه أشعاع عاطفي  
خالص • وعندما ينتقل الى وضع وسام وتبدله في الاونة  
الاخيرة •• ثم غيابه هو وأمال طوال هذه المدة دون مبرر •  
وتشويش أخبارهما • والاشاعات التي تلوك سمعتهما ••  
وتتناول شرفهما تطغى عليه موجة من سويداء داكنة ، وتسطو  
على الانوار المشعة في نفسه كسطو الليل على النهار •

وعاش وقته في حرب داخلية بين تلك القوتين الجبارتين  
حتى ولج دار السيدة هناء •• وشاهد •• ويا لهول ما  
شاهد ، فضيلة الامس تتمرغ على أقدام ابتدال اليوم ••  
وولده في وضع مريب بين احضان احدى المومسات ••  
اذن كل ما قيل له صحيح •• وتعامى عن كل ذلك وانتقل  
بخطره الى آمال ، وصرخ بصوت سليل كالقدر • عميق  
كالمجهول •• وسام •• أين شقيقتك يا وسام ، ماذا صنعت  
باختك يا قايين •

وصم صوته آذان وسام •• وتبين حراجة موقفه فعقدت  
لسانه الدهشة •• ولم ينبث بينت شفة •• وتسمرت انظاره  
على باب يواجهه •• وكان اشعاع الجريمة التي تجري وراءه



قد نفذ الى قرارة نفسه ، فانجذبت اليه انجابا كليا • وكانت نظراته بمثابة ناقوس الخطر عند الاب •• فاندفع نحو الباب ليستجلي حقيقة ما خامره من شكوك •• وأراد فتحه ، لكن زبانية البيت حلوا بينه وبين ما أراد • وقبضوا عليه وقذفوا به بعيدا فقبل الارض بوجهه ، ولون بلاطها بدماء أنفه •

واستجمع شتات قوته ثانية •• وشعر بأن شبابه قد عاد اليه •• فهض وصدم الباب بكتفه صدمة جبارة ، وأتبعها بثانية وثالثة • وكان رفيقه ضاهر أشد منه ثورة ، فلطم أحد الحضور لكمة قوية ألقته بعيدا ، ولكم آخر، ورفس غيره ، فتهيبوا الموقف وارتدوا الى الوراء ، ثم أمر أحدهم قائلاً :

افتح الباب والا ••

وتهيب صاحبنا الموقف •• ونظر الى هناء مستفسرا :  
ياها ماذا يفعل •

وانهارت هناء •• وأسقط في يدها • ان أب الامس قد أصبح جلاذ اليوم ، وأرادت ان تهرب ، لكن لا ، يجب ان تعمل •• وبسرعة •• وأعيثها الحيلة ، عندما رأت عنق رجلها يكاد يكسر بين ذراعي ضاهر الحديدتين ، وخافت على نفسها فأستنجدت بأخر لكن الجميع في هذه الساعة الحرجة أصابهم الذهول • فتفرقوا من حولها الواحد تلو الآخر وبقيت وحيدة •• وشعرت بذلها • وبأن نهايتها قد دنت •

والرجل المغلوب على أمره لم ينتظر أوامرها ثانية



فتقدم من الباب وفتحه •

وولج السيد نديم الى الداخل ، لكنه تسمر في مكانه •  
اذ طالعه مشهد تقشعر لهوله الابدان •• الانسان في  
حيوانيته وقد تجرد من كل معالم انسانيته •• الانسان في  
عريه الكامل ، • حتى من ورقة التين •• ومع من ، • مع  
حشيشة قلبه ، مع أمال البريئة •• مع العفاف •• مع  
الطهارة، ووضع رأسه بين يديه وجأر ثانياً ان هذا لا يصدق  
زهوته النضرة تتمرغ في الأوحال ، صرح أمانيه ينهار أمام  
ناظريه في ومضة عين • ما بناه طوال ثمانين حولاً أمضاهم  
بالعناء والتعب يتحول في أقل من لحظة الى هباء •• نفسه  
التعيسة تداس بأقدام الشذاذ الدخلاء •

ابنته أمال تباع سلعة رخيصة في سوق التخاس ••  
وجسدها •• جسدها •• شرفها ، تراثها الخالد بدرهمات  
تافهات •

لا ، لا ، ان هذا لا يطاق ، انه حلم •• انه كابوس  
أعدني الى الحقيقة يا الله ، الى الواقع ••

وصرخت أمال . أبي ، صرخت نصن، مشولة وصراخها  
أعادته الى الواقع •

ان ما رآه حقيقة ، وحقيقة مجردة . وجأر منددا •  
تبا لك ايها القدر ، بماذا باديتك حتى قصمت ظهري  
وحرمتني نشوة الحياة ؟• ماذا جنيت حتى حكمت علي  
هذا الحكم القاسي ، وقضيت علي كل آمالي ، وكأنتي  
مجرم دنس ، وكوريده ، وهدد الفضاء ، • وخرج كلامه



فحيحا تغذيه الضراوة الناقمة والحقد الناهش •  
أنت ملعون ابن ملعون ايها الكون ، لان كل ما عليك  
زائل ، فلا حقيقة ترجى ولا عدل ينتصر ، • بل شرور  
وفساد ، وانحطاط ورذيلة • • دناءة وخسة ، تلك هي  
شرائعك السافلة ، شرائعك المنبثقة من قرارة نفسك الموبوءة  
بداء الفتك والاجرام ، نفسك التي تسيطر عليها المادة ، •  
الطريق المفضلة لدوس الكرامات والقيم الاخلاقية ، وتسرب  
الموت الى صوته ، وتلاشى رويدا ، • رويدا ، واحتضنه  
ضاهر ليحجب عنه المنظر البشع •

وهز دوي الصراخ أمال هزا • وملا الرب فؤادها ،  
وتحسست المصيبة قبل حدوثها ، • وأرادت النهوض لتستر  
عريها • لكن الوحش الرابض على صدرها لم يمكنها من  
الافلات لانه كان في ، • وكان وجودي النزعة • فاسترحمته  
والدموع في قلبها وفي عينيها •

انه أبي ، • ارحمني ، • ان ابي في الخارج • ولم تعلم بان  
أباها قد شاهدها • وهي على حالتها هذه ، لان وجه فارسيها  
كان يحجب عنها كل ما دونه ، • دعني استر عرضي واختفي  
من أمامه • لكنه أجابها والدك ، • هه ، هه • ها وماذا  
يهمني ان كان والدك او شخصا آخر ، • ألم أدفع فلوسي  
ثمنا لجسدك ، • ولذتي ، • وان شاهدنا العالم أجمع ،  
فأي ضمير في ذلك • ونقم على المتطفل الدعي الذي أفسد  
عليه نشوته ، • فليذهب الى الشيطان ، • انني لكن ، • لا  
يجب أن اتركها • رحماك ، رحماك ، يا هذا ، أشفق على

محنتي ، اشفق على شقائي ، تصور أية بلية تنتظرني •  
• ورق قلبه ، • ونهض ، • لكن الاب كان في باب الغرفة  
يتشاحن مع دليله ، • وتسمر الجميع في مواضعهم ، • وصرخت  
أمال صرخة مكبوتة ، اذ رأته تلك الشعلة النيرة في جسد  
والدها تخبو شيئاً فشيئاً • وصوته الذي كان منذ لحظات  
يشق عنان السماء يتحول الى حشرجيات تحمل بين لهاتها  
روحا تعيسة ألمها البقاء في مجتمع موبوء وآثرت الصعود  
الى عالم افضل ، حيث لا اجرام ولا فساد •  
وذابت المسكينة ذلاً ، • وضاق عليها جسدها ، وشعرت

باختناق قاتل ، وحضنت عنقها بيديها الراجفتين ، • انها  
تريد القضاء على نفسها ، لكن حيننا الى البقاء راودها ••  
ولو لفترة وجيزة ، • أحببت أن تموت ، • وتمنت لو انتحرت  
عندما قضي على شرفها في المرة الاولى والان •• انها تريد  
الحياة لا حياء بالحياة نفسها •• بل لتوضح لوالدها ما  
مر بها •• انها بريئة من دنسها ، بريئة من عارها ، وكان  
لسان حالها يقول •• هم ، هم المجرمون •

ومع أفكارها المشوشة تقدمت نحو والدها • زحفا على  
ركبتيها ، لان قواها خذلتها ولم تستطع النهوض • لكن  
الاب المفجوع حدجها بنظرة احتقار سمرتها في مكانها •  
وكان منظرها وهي تحبو اليه في عريها الكامل قد أعاد  
اليه القوة ثانية فنهرها قائلاً :

أغربي عن وجهي ايتها الملعونة ، لانك لطختي صفحات



شيخوختي بعارك الرجس ♦♦ بعارك الذي سيلبسك ثوب  
 المدلة قاتما كالحا ♦♦ بعارك الذي كفن عاطر ماضيك بكفن  
 حبكت خيوطه من ارجاس المجتمع المجلل بجلل المدينة  
 الدنسة ♦♦ المدينة المقتبسة ♦♦ المدينة المستوردة من وراء  
 البحار ♦♦ المدينة التي لا تطبق قوانينها الا على البيئات  
 التي ترعرعت فيها وسبقه خياله الى الجبل موطن النسور  
 ومشتل العادات الشريفة، والقيم الاخلاقية السامية ♦ وتنبأ ♦  
 ان الجبل وعاداته في خطر ♦♦ ان المدينة السافلة قد زحفت  
 اليه يقضها وقضيضها لتزرع في تربته البكر الخصبة ،  
 بذور الرذيلة والخطيئة ♦ وصرخ فؤاده ضمن كيانه المتداعي  
 اه ♦♦ وحسرتاه عليك يا جبلي الحبيب ♦♦ وجسد له  
 الخيال ما رآته عين بصيرته ♦♦ وشاهد الجبل ينهار على  
 ذاته ♦♦ واشلاء مثله العليا تلملم بقاياها وتتجه الى  
 المجهول حيث لا موطن لها ♦♦ وصرخ في حدود اللاوعي،  
 ان هذا عار ♦♦ على المدينة ، عار على العالم اجمع ♦  
 عار ، عار ، في أي واقع أنا ♦  
 وعاد الى الواقع على بحة صوت آمال المتقطع ♦

أ — أ ♦♦ اب ♦♦ اب ، أبي

لا ♦♦ ابتعدي عني ♦♦ ووضع يده على عينيه ليحجب عنهما  
 المشهد المريع ، ان عارك سينحدر معي الى القبر لانك  
 ألبستني ثوب الذل محاكا من خيوط أنفاسك الشريرة ♦♦ من

دعارتك الفاضحة .

وركعت بين يديه . . . ورددت ، رحماك يا ابي . . . رحماك . . .  
لا تتسرع بحكمك علي . . . انني ضحية . . . والله ضحية .  
ضحية ماذا . . . أضحية شهواتك وملذاتك . . . ام ضحية  
نفسك الفاضله . . . والجملة الأخيرة قالها بقرف وترفع .  
كلا . . . كلا . . . لا تسمني بميسم الشهوة واللذة . . . انني ضحية  
القدر .

ضحية المجتمع . . . ضحية المادة .

أخرسي يا عاهرة . . . أتقري بأنك ضحية المادة . . . وأي  
شيء بخلت به عليك وأنت في القرية . . . ألم تكوني وحيدتي  
المدللة . . . والمادة التي انت بسبيلها هل منعتها عنك يوماً . . .  
وهزت آمال برأسها . . . وأرادت أن تصدم به الحائط . . .  
انها تريد أن تفهم والدها بأن المادة لم تكن غايتها هي بل  
غاية الموتورين أمثال هناء . . .

ان المادة . . . المادة . . . المادة . . . سيدلك الوحيد . . . واختلط  
عليه الكلام . . . ضحية المادة . . . الجشع . . . الطمع . . .  
الشرف . . . الدم . . . الموت . . .

وعندما وصل الى حدود الموت كانت روحه تستعد لمقابلة  
خالقها ، كأنه استدرك ما سيحل به مسبقاً وأصبح كلامه غير  
واضح تقطعه فترات هدوء . . . ثم تحول بعد حين الى حشرجات  
مستديمة . . . اخخ . . . اخخ . . . خرخ . . . خرخ . . .  
اخخ . . . خرخ . . . ووصلت روحه الى شفتيه . . . بوق بوقف . . .  
بوق ، ف ، ف ، وصعدت الى باربيها .



## فرار وسام

بينما كانت الستارة في داخل الغرفة تسدل على آخر  
فصول الرواية . كان وسام يفر بعيداً مخافة من توبيخ والده  
ومن تقريع ضميره الذي استفاق فجأة ووعى ما جناه . لكن  
بعد فوات الأوان .

ودار رأسه كحجر الرحي ، وهام على وجهه دون وعى  
ولا إدراك . واختلطت عليه الأمور وبدأ يفقد ذاكرته شيئاً  
فشيئاً ، ومشى بعيداً ، وكانت سيارة مسرعة قادمة  
باتجاهه ، وكادت تدهسه لكن فطنة السائق أنقذته في اللحظة  
الاخيرة ، فانحرف عنه بعد ان استعمل ضابط سيارته ،  
وصدمه في مؤخرة السيارة صدمة خفيفة ألقته أرضاً ، وخاف  
مغبة العاقبة فسار هارباً لا يلوي على شيء ، وتحلق حوله  
بعض المارة وانفضوه ثم فحصوا جسده فلم يجدوا به أي ضرر  
من جراء الحادث .

وجلس بينهم كالمخبول ، وفرك عينيه بيديه الإثنتين ،  
وقال : أين أنا ؟ من انتم ؟ ماذا حل بي ؟  
وأجابه بعض الحضور بعد أن وضع يده على فم آخر  
كاد يخبره عن حادث السيارة وكان نسيها فطيناً . أراد أن

يخفي عنه الحادث . كي لا يصدمه في عقله عندما يعرف  
خطورة ما مر به . ولأنه رآه مشوش الأفكار .

لاشيء . ، انك كنت في حالة غير طبيعية ملقى في وسط  
الشارع . وكانت بعض الجارات قد احضرت كوب ماء  
فسقينه وتفرقن عنه بعد ان عاد الى حالته الطبيعية . وشكر  
مسعفه على ما ابداه نحوه من مساعدة وعطف . ، وأكمل  
طريقه . ، لكنه سأل نفسه الى أين أنا ذاهب . ، نعم إلى أين .  
أين أنا ، . أين كنت ، . وبدأت الأمور تتسلسل في رأسه  
كأنها شريط سينمائي . وظهرت له الحقيقة عارية كجسد  
شقيقته الذي تركه منذ حين مكشوفاً امام أنظار والده . ،  
وتمنى لو لم يولد .

وشعر بنفسه تتناثر كالهباء وبكلمات والدته تتردد في  
تجاويف فؤاده .

وسام . ، ولدي . ، ابتعد عن مسببات الرسوب في هذه  
الحياة . ابتعد عن معاقررة الخمرة لأنها تفقدك عقلك الذي  
يميزك عن الحيوان . ولأنك اذا فقدت هذه الجوهرة تصبح  
انث وحيوان صنوان .

ابتعد عن المقامرة لأنها تنحدر بك الى الدرك الأسفل .  
فتفقد شرفك وتداس كرامتك . ومن يفقد شرفه وتداس  
كرامته خير له لو لم يولد . لأن السيد المسيح قد قال :  
( الشجرة التي لا تعطي ثمرأ تقطع وتلقى في النار ) . والانسان  
بلا شرف ولا كرامة كالشجر بلا ثمر تماماً .



ابتعد عن النساء الشريرات لأنهن علة العلل .  
وكانت بكلامها هذا كمن تدفعه الى الشر دفعا . بعد أن  
فتحت له باب الفساد على مصراعيه . فسكر . وعربد .  
وقامر . وشرب كأس الفحشاء ، حتى الثمالة . وكان في  
حياته أكثر من امرأة . لكن هناء كاذت له بمثابة الجميع .  
عندما وصل بتفكيره الى هذا الحد وتحقق . . ان كل  
ما مر به من حوادث مؤلمة كانت هناء سببها فلا الحقد في  
نفسه كالمرجل . ونظر اليها بمنظار حاضره المفجع . .  
وانقضعت الغشاوة عن عين بصيرته . . ووعى حقيقتها . .  
شهوة . . أنانية . . جشع . . طمع . . شر . . فساد . . مادة . .  
وتجاوب في كيانه صوت قادم من البعيد البعيد .  
وسام . . اقتلها يا وسام . . اغسل عارك بدماء الفاجرة . .  
انتقم لعرضك من الحرباء . . اثار لشرفك . . لكراحتك ممن  
كانت السبب في اذلالك .

وساعده وضعه الشاذ الذي كان يعيشه على تجسيم هذه  
الافكار . وسيطر على ارادته . . ثم انتقل من حيز التفكير  
الى التصميم . . الى العمل . . وتحولت جميع المرئيات أمامه  
الى بركان من الدم . . ونكص على عقبه . . وعاد لينفذ  
ما قرر . . وعاد ذاك الجبلي الأبى .

## الانتقام

تفرق القوم على وجل . وفروا من امام النمر الجريح .  
وكان وسام بانقلاب سحنته واحمرار مقلتيه أشد هولاً من  
الأسد وأشرس من اللبوة . وزاد الخنجر اللامع في قبضته  
المشهد رهبة على رهبة فتقدم وغايته تبحث بغيته . لكن  
قدمه تعثرت بنموذجه فهوى فوق جثة ابيه .

من . ، ماذا أرى . ، لا . ، ان هذا لا يصدق وخرّ امام  
الجثة لهفة ولوعة . ، وجأر بصوت ضارع ، أبي . ، أبي . ،  
روحي فداك يا أبي . . وترجى به بقية من روح . . خذ  
خنجيري . . اقتلني . . الموت لي . . وارثد الخنجر الى صدره .  
وكاد يزهق روحه . . لكن لا . . الموت للعاهرة .

واغتتمت هناء فرصة انشغاله بوالده . . وحاولت الفرار .  
لكن عين العدالة الساهرة وقفت لها بالمرصاد . لتنتقم للضحايا  
التي أصابتها بسهام شرورها ومكائدها . . وفي اللحظة التي  
كادت تفر بها . كان وسام يردد : الموت للعاهرة . ومع ترديد  
شفتيه لكلمة الموت كانت عيناها تبحث عن طريدته أيضاً  
وشاهدها تنطلق بأقصى سرعتها نحو باب الغرفة الذي هو  
يحاذيه وسد الباب بجسده النحيل وبسمة الانتقام تعلو شفثيه



ثم ناداه الى اين ..

وسام .. وسام .. ماذا تريد أن تفعل .. هل جنتت ..  
واصطكت ركبناها .. وزجف صوتها .. وحجبت عينها  
بيديها لترد عنها بريق الخنجر .. لا .. لا .. انك تمزح قل  
بربك أليس كذلك .. وأرادت أن تضيفي على كلامها مسحة  
من الاطمئنان لتوهم وسام بأنها لا تخشاه .. وبأنها سيدة  
الموقف كما كانت دائماً .. وقهقهه وسام ملء شديقه . لكن  
الحقد القاتل كان يتجاوب مع تموجات قهقهاته ليرتد الى نفس  
هناء سماً بطيئاً يتغلغل في روحها ويسلبها جوهرها رويداً  
رويداً .. وتجلت الحقيقة لعينها ساطعة كوجودها وأحست  
برعشة الموت تدب في أوصالها ديبياً .. ووهنت أمام الامر  
الواقع .. ورأت التصميم على قتلها في نظرات جلادها ..  
والعزم من خلال قهقهاته فتكومت أمامه كما تتكوم الذبيحة  
أمام جزارها .. ونطق الرجاء في نظراتها وفي فمها .. وسام ..  
وسام .. ارحمني يا حبيبي .. ارحم ضعفي .. ارحم ..  
وقهقهه وسام ثانية .

ارحمك .. وما معنى الرحمة في قاموسك .. هل رحمتني  
انت يا ترى .. هل رحمتني في صحتي .. في مالي .. في  
شرفي وعرضي .. هل رحمتي العفاف في اختي .. هل رحمت  
الحياة في والذي .. لا .. اذن بالكيل الذي تكيلون به  
يكال لكم .. خذنها طعنة نجلاء تذهب بروحك الى الجحيم  
لتريح الآمنين من فجورك وآثامك .. وهوى الخنجر على

الجسد المكوم .. لكن حب الحياة وهب هناء بعض القوة  
فانحرفت عن الطعنة القاتلة . وحبت على يديها نحو الباب  
بقصد الفرار منه . وكان لها ما أرادت . لكن عماء بصيرتها  
ادخلها في باب آخر فتبعها وسام وتبعته جلبة قوية من الخارج .  
استساموا باسم القانون .

وسمعت هناء مثلما سمع هو صوت رجال الأمن .. وقوى  
الرجاء في قلبها .. وصرخت الي .. انقذوني من القاتل ..  
النجدة .. النجدة .. لكن قرب المسافة بينهما حال دون  
بغيتها فأدركها وسام وقفل الباب وراءه لكن مفاجأة أخرى  
ضعضت صوابه وثلت حر كته فتسمر في مكانه كالأخوذ .

أمال الجسد العاري فاقدة العقل تزوغ ببصرها يميناً وشمالاً  
وهناء تحتمي بها .. جسدان .. جسد من لحمه ودمه ..  
شرفه وعرضه .. وجسد أحبه واشتهاه .. جسد قذف به  
بتوره وتعاميه في حمأة الرذيلة . وجسد غرف من معينه  
أروع معاني اللذة .

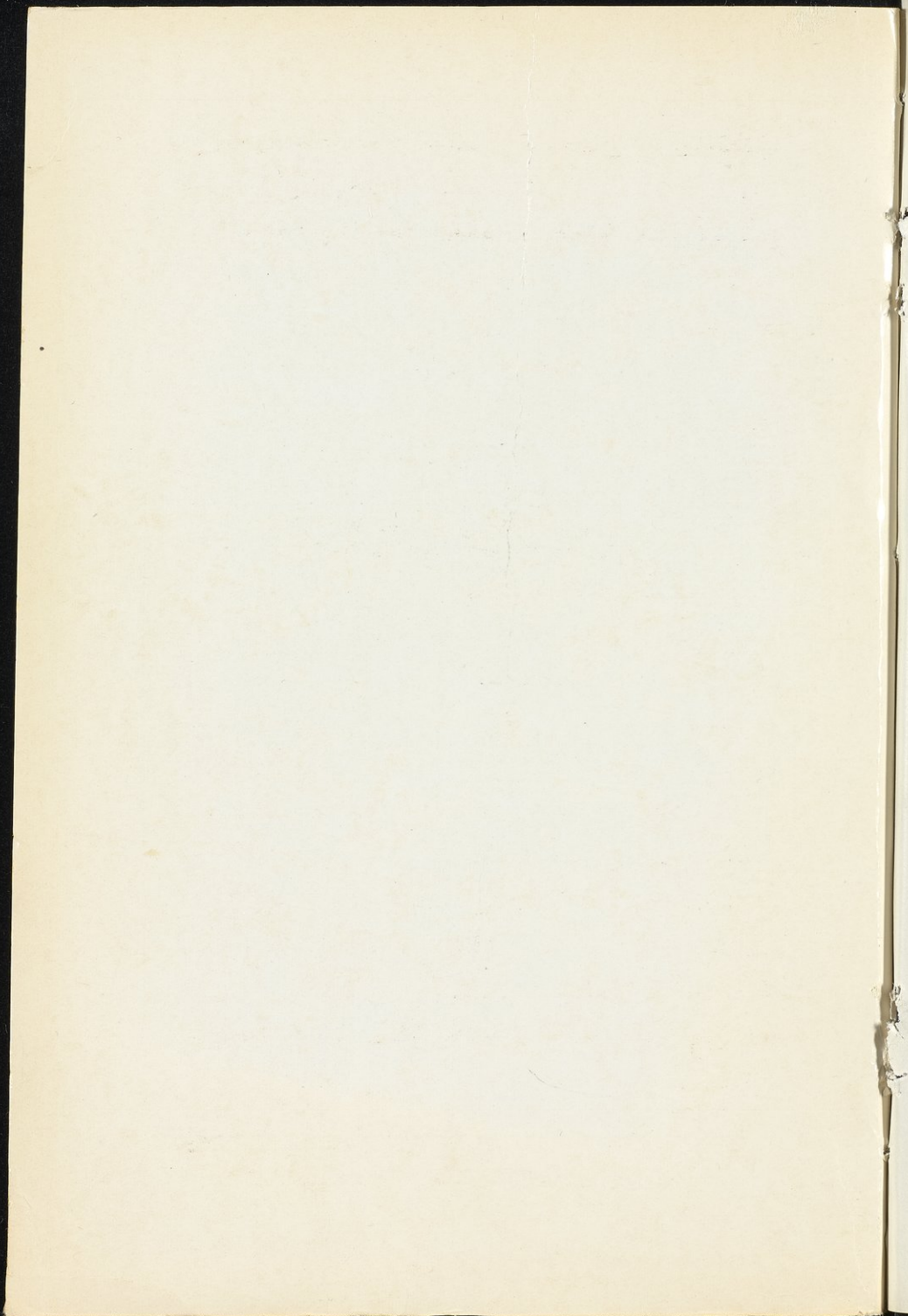
هل يغفر .. هل يعفو .. هل يرحم .. واذا عفا فماذا  
سيكون حكم كرامته عليه ..

لحظات خاطفة كادت تقرر مصير حياة .. لا .. يجب  
أن انتقم .. وقوي القرع في الخارج وتحول الى آلة قوية  
تحطم الخشب الواقف سداً بين الروح والمادة .  
ومع تحطيم الباب كان الخنجر يخترق قلب هناء فخرجت  
أنفاسها من فمها دماً .

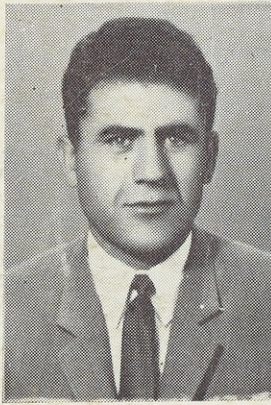


وخرج رجال الأمن ومعهم مجرم قاتل • وفي محفظتهم  
تقريراً شامل عن جريمة مثلثة •  
أب مفجوع •• جثة هامدة •• وضحية مجنونة ومومس  
رعناء قتيل •

( ت م ت )







نايف ابو فرح

ثمة فعاليات يبدعها

الزمن العتيق في كل

رحلة نحو النفس

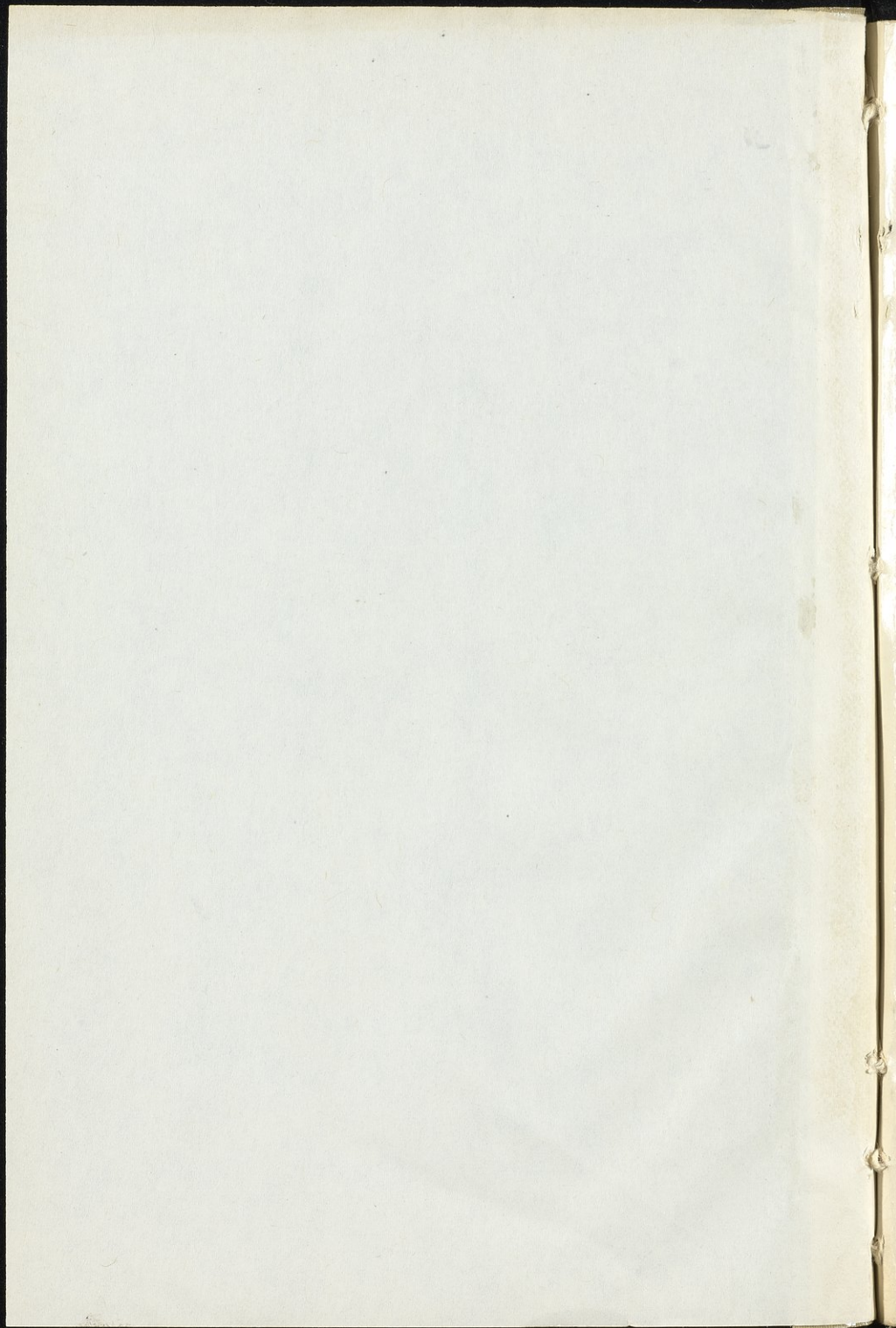
والعزله ، يوم نستفيق على انساننا الضائع في متاهة

اعماقنا فيدب في وجداننا الحنان والانطواء .

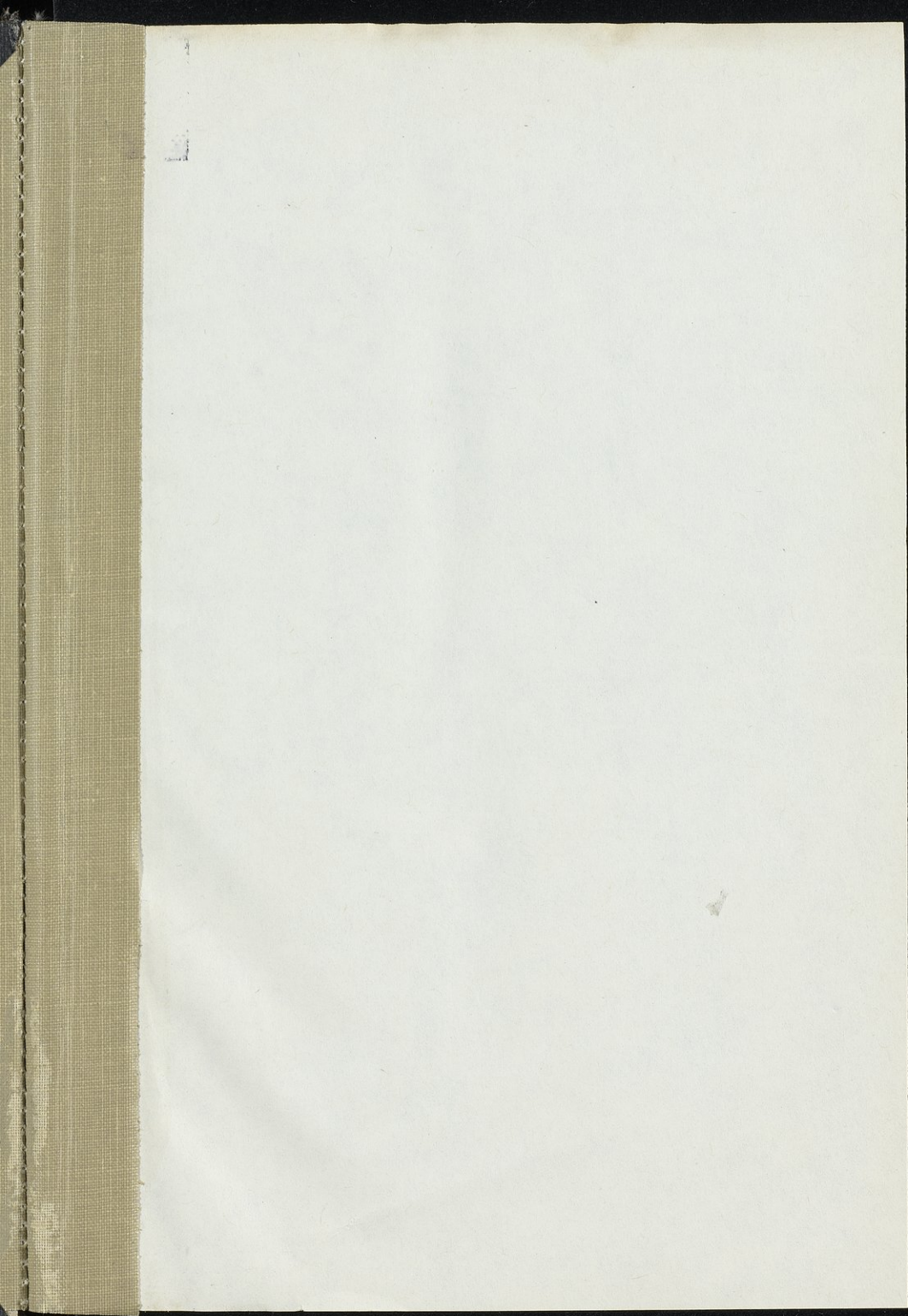
الشعور الدافئ والاحساس الحزين . . .

والجميل المنهار . . . قصة . . . الانسان المنهار . . .

قصة الضياع والجبين المملطخ بالقلق .









LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY



Princeton University Library



32101 073833855